

..... :

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ. ق

المركز الإسلامي للدراسات

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثلاثون

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثامن:

جيش الإسلام في تبوك

نزول المسلمين في تبوك:

عن حذيفة، ومعاذ بن جبل، قال: إنه خرج مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام تبوك.

قال: فكان يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، قال: فأخر الصلاة يوماً، ثم خرج فصلّى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل فصلّى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال: «إنكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي».

وفي حديث حذيفة: «بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن في الماء قلة، فأمر منادياً ينادي في الناس: أن لا يسبقني إلى الماء أحد».

قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من مائها، فسألهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل مسستما من مائها شيئاً».

قالا: نعم.

فسبهما، وقال لهما ما شاء الله أن يقول.

ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شن، ثم غسل رسول

الله «صلى الله عليه وآله» فيه وجهه ويديه، ومضمض، ثم أعاده فيها، فجرت العين بهاء كثير.

ولفظ ابن إسحاق: فانخرق الماء حتى كان يقول من سمعه: إن له حساً كحس الصواعق، وذلك الماء فوارة تبوك. انتهى.

فاستسقى الناس، ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا معاذ، يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا مليء جنائاً»^(١).

وعن عروة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين نزل تبوك وكان في زمان قلّ ماؤها فيه، فاغترف غرفة بيده من ماء فمضمض بها فاه، ثم بصقه فيها، ففارت عينها حتى امتلأت. فهي كذلك حتى الساعة^(٢).

وعن جابر قال: انتهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك، وعينها تبض بهاء يسير مثل الشراك، فشكونا العطش، فأمرهم فجعلوا فيها

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٠ و ٤٥١ عن مالك، وابن إسحاق، ومسلم، وأحمد. والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٧ وج ٦ ص ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١١٠ و ١٢٠. وراجع: البحار ج ٢١ ص ٢٥٠ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٤٥ والمصنف للصنعاني ج ٢ ص ٥٤٦ وصحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ٨٢ وج ٤ ص ٤٦٩ وج ١٤ ص ٤٧٥ والمعجم الكبير ج ٢٠ ص ٥٧ وكنز العمال ج ١٢ ص ٣٧٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٣٦ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٥٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ عن أبي نعيم، وعن البيهقي في الدلائل، وعن ابن عائد. وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٥٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١١٠ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ١١٣.

..... : ..
ما دفعها إليهم، فجاشت بالماء، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمعاذ:
«يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جناناً»^(١).
ونقول:

النبي ' لا يسب أحداً:

قد تقدم بعض هذا الحديث فيما سبق حين الكلام عن سبب تسمية
عين تبوك، وذلك أول هذا الجزء من الكتاب، وقد قلنا: إنه لا يصح قولهم:
إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سب أحداً من الناس، وهو الذي نهى
الناس عن السباب..

الجمع بين الصلاتين وتأخير الصلاة:

وقد تضمن النص المتقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جمع بين
صلاتي الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، وهذا لا إشكال فيه، إذ

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥١ عن مالك وعن الخطيب في كتاب الرواة،
وقال في هامشه: أخرجه مسلم ج ٤ ص ١٧٨٤ - ١٧٨٥ حديث (٧٠٦/١٠)
وأحمد ج ٥ ص ٢٣٨ وابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (٥٤٩)، والبيهقي في
الدلائل ج ٥ ص ٢٣٦ وابن خزيمة (٩٦٨) ومالك في الموطأ ١٤٤ وانظر كنز
العمال (٣٥٣٩٨). وراجع: صحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ٨٢ وصحيح ابن حبان
ج ٤ ص ٤٧٠ والمعجم الأوسط ج ٧ ص ٧٦ والمعجم الكبير ج ٢٠ ص ٥٧ و
التمهيد ج ١٢ ص ١٩٤ والإستذكار لابن عبد البر ج ٢ ص ٢٠٥ وتاريخ مدينة
دمشق ج ٢ ص ٣٨ وج ٦١ ص ٢٧٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٣٧
ومصادر كثيرة أخرى.

الجمع بين الصلاتين جائز في فقه أهل البيت «عليهم السلام» مطلقاً، أي سواء أكان ذلك في السفر أو في الحضر، مع عذر من مطر أو غيره وبدونه.. ولكن غير الشيعة يلزمون أنفسهم بالتفريق في الحضر، ويميزون الجمع في السفر، وفي حال وجود عذر من مطر أو غيره..

وقد بدأ الشيعة بالتفريق وبالجمع بين صلاتي الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، من عهد الرسول «صلى الله عليه وآله»، وذلك اقتداءً منهم بهذا النبي الكريم والعظيم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، حيث صرحت الروايات الكثيرة المروية عند السنة والشيعة، بأسانيد صحيحة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جمع بين الصلوات من دون عذر من سفر، ولا مطر، ولا غير ذلك^(١).
علماً بأن الشيعة لا يرون الجمع واجباً، كما لا يرون التفريق حتماً لازماً..

يضاف إلى ذلك: أن القرآن نفسه لم يحدد سوى ثلاثة أوقات للصلاة اليومية، حيث قال: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً}^(٢).

وقد دلت روايات أهل البيت «عليهم السلام» أيضاً: على صحة الجمع

(١) سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٩٢ وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ٢٢٣ و ٣٥٤، وصحيح مسلم ج ٢ ص ١٥٢ وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٧٢ وسنن النسائي ج ١ ص ٢٩٠ والسنن الكبرى ج ٣ ص ١٦٧ وج ١ ص ٤٩١ وتحفة الأحوذى ج ١ ص ٤٧٨ والموطأ (ط دار إحياء التراث العربي) ج ١ ص ١٤٤.

(٢) الآية ٧٨ من سورة الإسراء.

والتفريق، فقد روي: أنه إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الصلاتين، إلا أن هذه قبل هذه^(١).

وهذا معناه: أن وقت فضيلة الظهرين يكون قد بدأ بمجرد الزوال، مع حتمية تقديم صلاة الظهر، ثم يستمر وقت فضيلتهما معاً إلى حين صيرورة ظل كل شيء مثله كما دلت عليه روايات أخرى، فينتهي حينئذٍ وقت فضيلة الظهر، ويستمر وقت فضيلة العصر إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه.. فينتهي هذا الفضل.

فمن صلى الظهر بعد صيرورة ظل الشيء مثله، إلى آخر الوقت، فإنه يكون قد صلاها في غير وقت فضيلتها.

ومن يصلي العصر بعد صيرورة ظل كل شيء مثليه إلى الغروب، فإنه يكون قد صلاها في غير وقت فضيلتها.

ثم إن علينا أن لا ننسى أن الجمع بين الصلاتين حتى في السفر، أو المطر، أو غير ذلك دليل على أن أوقات الصلاة اليومية ثلاثة، لأنها لو كانت خمسة لكان الجمع بين الصلاتين يقتضي أن تكون إحدى الصلاتين قد وقعت في خارج وقتها، أو الإلتزام بسقوط شرطية الوقت في الصلوات الأربع من الأساس، لأن الجمع بين الصلاتين قد يكون بتقديم العصر إلى

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٣ ص ٩٥ والكافي ج ٣ ص ٢٧٦ وراجع: من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢١٥ والإستبصار للطوسي ج ١ ص ٢٤٦ وتهذيب الأحكام للطوسي ج ٢ ص ٢٦ وفقه الرضا لابن بابويه ص ٧٤ والهداية للصدوق ص ١٢٧ وتذكرة الفقهاء (ط.ج) للحلي ج ٢ ص ٣٠٨ ومتهى المطلب (ط.ج) للحلي ج ٤ ص ٩٤ وجواهر الكلام ج ٧ ص ٧٨ والبحار ج ٨٠ ص ٣٢ و ٤٦.

وقت الظهر، وقد يكون بتأخير الظهر إلى وقت العصر، كما أنه قد يكون بتقديم العشاء إلى وقت المغرب، وقد يكون بتأخير المغرب إلى وقت العشاء..

وأما ما ذكرته الرواية المتقدمة عن تأخير النبي «صلى الله عليه وآله» لصلاته، فلا بد أن يكون المقصود به هو التأخير مع البقاء في داخل وقت الفضيلة، وبدون ذلك، فإن الحديث يكون مكذوباً لأن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يختار من الأعمال إلا ما هو أفضل وأتم..

خطبة النبي ' في تبوك:

وقالوا: خطب رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام تبوك وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال: «ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس إن من خير الناس رجلاً يحمل في سبيل الله على ظهر فرسه، أو على ظهر بعيره، أو على قدميه حتى يأتيه الموت. وإن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً، يقرأ كتاب الله، لا يرعوي إلى شيء منه»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٢٧٣ وج ٥ ص ٤٥٢ عن أحمد وقال في هامشه: أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ٣٧ و ٥٨ و ٤١٤ والحاكم ج ٢ ص ٦٧ وسنن النسائي ج ٦ ص ١٢، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٦٠ والجهاد لابن المبارك ص ١٥٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٤ ص ٥٩٢ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٣٠٥ والسنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٩ والجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٤٣٩ وكنز العمال ج ١٥ ص ٧٧١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٣ وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٤٣٧.

وعن عقبة بن عامر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أصبح بتبوك حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

«أيها الناس، أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص القرآن.

هذا وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة.

ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً.

ومن أعظم الخطايا اللسان الكذاب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، وخير ما وقر في القلوب اليقين، والإرتياب من الكفر، والنياحة من أعمال الجاهلية، والغلول من جثى جهنم، والسكركة^(١) من النار، والشعر من إبليس، والخمر جماع الإثم، والنساء حباله الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المأكّل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى الآخرة،

(١) السكركة: خمر الحبشة، وهو من الذرة، وتسمى الغيراء أيضاً.

وملاك العمل خواتمه، وشر الرؤيا رؤيا الكذب، وكل ما هو آت قريب،
وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله عز
وجل، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتألّ على الله يكذبه، ومن يغفر يُغفر
له، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على
الرزية يعوضه الله، ومن يبتغ السمعة يسمع الله به، ومن يصبر يضعف الله
له، ومن يعص الله يعذب الله.

اللهم اغفر لي ولأمتي - قالها ثلاثاً - استغفر الله لي ولكم^(١).

الإرتياب من الكفر:

ومن الواضح: أن الإرتياب الذي هو من الكفر هو ذلك الذي يكون
في الله عز وجل.. أو في نبوة نبيه «صلى الله عليه وآله»، أو في البعث، أو في
القرآن، وغير ذلك، وكذلك الحال إذا كان الريب في صفات الله، كأن
يرتاب في علمه تعالى، أو في عدله.. أو في قدرته وما إلى ذلك..

النياحة من أعمال الجاهلية:

والنياحة التي هي من أعمال الجاهلية هي النياحة بالباطل، أو تلك
التي تصاحبها بعض الأمور المحرمة..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٢ عن البيهقي، وقال في هامشه البيهقي ج ٥
ص ٢٤١ قال الحافظ ابن كثير في البداية ج ٥ ص ١٣ و ١٤ هذا حديث غريب،
وفيه نكارة، وفي إسناده ضعيف. وراجع: كنز العمال ج ١٥ ص ٩٣٠.

الشعر من إبليس:

والشعر الذي هو من إبليس هو الذي تحدث الله تعالى عنه بقوله:
{وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} (١).

وهو الشعر الذي يراد به إشاعة الباطل، أو العدوان على الناس، أو ما إلى ذلك.

الشقي من شقي في بطن أمه:

وعن قوله: «الشقي من شقي في بطن أمه» نقول:

قد يتخيل البعض أن هذه الفقرة تؤيد مقولة الجبر الإلهي للعباد على أفعالهم..

وهو تخيل باطل، فإن الآيات الكثيرة وكذلك الروايات المتوافرة قد دلت على أن الإنسان هو الذي يختار طريق السعادة، أو طريق الشقاء..
وعلم الله تعالى بما يختاره لا يؤثر في ذلك الإختيار شيئاً، ولا يجعله مقهوراً أو مجبوراً على فعله، بل يكون مثل علمنا بأن فلاناً سوف يأكل أو سوف يشرب، وأن الشمس ستطلع في صباح اليوم التالي، وأن الأرض سوف تنبت نباتها وزرعها.. وما إلى ذلك..

كما أن وجود الدوافع القوية نحو الشر في داخل الإنسان لا تجعله مجبراً

(١) الآيات ٢٢٤ - ٢٢٧ من سورة الشعراء.

على اختيار طريق الشر، مهما كانت تلك الدوافع والنوازع قوية، وعاصفة، وحتى لو كانت قد ولدت معه..

فقد ورد أن محمد بن أبي عمير، قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر «عليهما السلام» عن معنى قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه». فقال: الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء. قلت له: فما معنى قوله «صلى الله عليه وآله»: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»؟

فقال: إن الله عز وجل خلق الجن والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه، وذلك قوله عز وجل: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (١). فيسر كلاً لما خلق له، فالويل لمن استحب العمى على الهدى (٢). ولهذا البحث محل آخر، وقد تقدم بعض منه أكثر من مرة في هذا الكتاب فراجع..

عباد بن بشر على الحرس في تبوك:

وقد استعمل رسول الله «صلى الله عليه وآله» على حرسه بتبوك من

(١) الآية ٥٦ من سورة الذاريات.

(٢) التوحيد للصدوق ص ٣٥٦ والبحار ج ٥ ص ١٥٧ ونور البراهين للجزائري ج ٢ ص ٢٨٥ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٥٩٠ وميزان الحكمة ج ٢ ص ١٤٧٩ وراجع: نور الثقلين ج ٢ ص ٣٩٦.

يوم قدم إليها، إلى أن رحل منها عباد بن بشر، فكان عباد يطوف في أصحابه على العسكر، فغدا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوماً، فقال: يا رسول الله، ما زلنا نسمع صوت تكبير من ورائنا حتى أصبحنا، فولّيت أحدنا يطوف على الحرس؟!!

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما فعلت، ولكن عسى أن يكون بعض المسلمين انتدب».

فقال سُلَكان بن سلامة: يا رسول الله، خرجت في عشرة من المسلمين على خيلنا، فكنا نحرس الحرس.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «رحم الله حرس الحرس في سبيل الله، ولكم قيراط من الأجر على كل من حرستم من الناس جميعاً أو دابة»^(١).

ونقول:

إن هذا النص ملتبس بدرجة كبيرة، وذلك من عدة جهات. الأولى: في أن سلكان بن سلامة وتسعة معه كانوا يحرسون الحرس، وهذه سابقة غير معهودة، فإن الناس إنما ينتدبون لحراسة الجيش الذي يخلد إلى الراحة، خوفاً من أن يفاجئه عدو متربص، ويوقع به.. أما حراسة الحرس، فلم نسمع بها في التدابير المألوفة في مسير الجيوش، وفي حلها وارتحالها.. الثانية: ما معنى أن يسمع الحرس ذلك التكبير بالقرب منهم، ولا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٣ عن الواقدي، وراجع: إمتاع الأسماع ج ٢ ص ٦٨.

يتحرون مصدره، ولا يسعون لكشف حقيقته، فلعلها مكيدة لهم ولعله
عدو متربص بهم، ولعل.. ولعل..

الثالثة: هل الذي يتصدى للحرس يعلن بالتكبير حتى يسمعه
الآخرون؟! فلو فرض أن جماعة تفكر في الإيقاع أو الإغارة على بعض
أطراف الجيش، ألا يكون صوت الحرس في جوف الليل، من موجبات
تحديد موقعهم، وذلك بالتالي يعطي القدرة للعدو على تجنب المرور على
مواضع تركز ذلك الحرس، ويبحث عن ثغرات أخرى يستطيع التسلل
والنفوذ منها؟!.

الرابعة: هل كان الحرس متمركزين في موقع بعينه، حتى استطاع
عشرة أشخاص فقط أن يقوموا بمهمة حفظهم وحراستهم في ذلك الموقع
علماً بأن ذلك الجيش الذي يتولون حراسته كان يعد بثلاثين، أو أربعين أو
سبعين ألفاً، وتحتاج حراسة موقع نزول هذا العدد، بما معه من دواب
ومراكب إلى أعداد كبيرة، قد تصل إلى المئات، لأن المساحة التي يحتاجونها
ستكون كبيرة..

الخامسة: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد دعا لهم لأنهم قد
حرسوا الحرس، فما معنى أن يتحدث عن الأجر على حراسة الدواب
أيضاً.. فإن المفروض: أنهم لم يحرسوها.
وما معنى قوله: «جميعاً أو دابة».

السادسة: لماذا انتظر عباد بن بشر إلى الصباح ليعلم النبي «صلى الله عليه
وآله» بأمر ذلك التكبير الذي سمعه؟! ألم يكن الأحرى به، والأصوب له أن
ينخبره «صلى الله عليه وآله» بالأمر فور سماعه لذلك التكبير؟!

..... : ..
السابعة: ما معنى أن تقتصر حراسة عباد على الطواف بأصحابه على
العسكر؟! ألم يكن ذلك من شأنه أن يهيء الفرصة للعدو ليورد ضربته
حين يصبح الحرس المتجولون بعيدين عن النقطة التي يريد الهجوم منها..

مسجد تبوك:

قالوا: لما انتهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك وضع حجراً
قبلة مسجد تبوك، وأوماً بيده إلى الحجر وما يليه، ثم صلى بالناس الظهر،
ثم أقبل عليهم فقال: «ما ها هنا شام، وما ها هنا يمن»^(١).
ونلاحظ هنا ما يلي:

١- تحديد الجهات:

إن تحديد الجهات للناس الذين يدخلون بلاداً لم يعرفوها ضروري
جداً، ليعرفوا قبل كل شيء موقعهم، والجهة التي يترصد بهم عدوهم فيها،
أو يأتهم الخطر من جهتها، كما أنه يحدد لهم الجهة التي يشعرون بالأمن
والسكينة فيها، وتحن قلوبهم إليها أو يرجون الخير فيها..

٢- مسجد تبوك وقبلته:

ثم إن أول شيء صنعه «صلى الله عليه وآله» في تبوك هو تحديد المسجد
والصلاة فيه، وتعيين قبلته بواسطة وضع حجر فيها، ليعرف الناس موضع
صلاتهم، ويكون المسجد هو نقطة الارتكاز في تحركهم في تلك المنطقة ثم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥١ ص ٤٥١ عن الواقدي.

أشار إلى الحجر، وإلى الجهة كلها لتصبح جهة القبلة معلومة للجميع.
وإنما أشار إلى ما يلي الحجر، حتى لا يدخل في وهم أحد أن للحجر نفسه
خصوصية كما هو الحال بالنسبة لعبادة الأصنام.. بل الخصوصية للجهة، من
حيث إنها جهة القبلة، فيتوجه الناس إليها، لا إلى الحجر بما هو حجر..

٣- ما هاهنا يمن:

وقوله «صلى الله عليه وآله»: «ما هاهنا شام، وما هاهنا يمن». يؤيد ما
ذكرناه في موضع سابق من هذا الكتاب، من أن اليمن يطلق حتى على أهل
مكة، بل وعلى أهل المدينة أيضاً.

بل إن هذه العبارة المذكورة هنا تفيد أن كل ما بعد تبوك إلى جهة
اليمن، هو يمن.. وأن كل ما قبل تبوك إلى جهة الشام فهو شام.. فتبوك هي
الحد الفاصل بين هاتين المنطقتين..

واللافت هنا: أنه قد عبر عن ذلك بالاسم الموصول، وهو كلمة «ما»
بالنسبة لليمن والشام على حد سواء، فدل ذلك على أنه يريد إطلاق كلمة يمن
وشام على كل أرض بعد تبوك لتكون يُمنًا، وكل أرض قبلها، فهي شام..

النبى ' في تبوك يصلى على ميت في المدينة:

عن معاوية بن أبي سفيان، وعن أنس قالوا: كنا مع رسول الله «صلى
الله عليه وآله» بتبوك، قال أنس: فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم
أرها طلعت بمثلهم فيما مضى، فأتى جبريل رسول الله «صلى الله عليه
وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا جبريل ما لي أرى الشمس
اليوم طلعت بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثلهم فيما مضى؟!»!

قال: «ذلك معاوية بن معاوية المزني مات بالمدينة اليوم، فبعث الله تعالى سبعين ألف ملك يصلون عليه، فهل لك في الصلاة عليه؟
قال: «نعم».

فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» يمشي، فقال جبريل بيده هكذا يفرج له عن الجبال والآكام، ومع جبريل سبعون ألف ملك، فصلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وصف الملائكة خلفه صفين، فلما فرغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لجبريل: «بم بلغ هذه المنزلة».
قال: «بِحَبِّهِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}»^(١) يقرؤها قائماً أو قاعداً، أو راكباً أو ماشياً وعلى كل حال^(٢).

«قال الحافظ في لسان الميزان في ترجمة محبوب بن هلال: هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وله طرق يقوى بعضها ببعض.
وقال في فتح الباري، في باب الصفوف على الجنائز: إنه خبر قوي بالنظر إلى مجموع طرقه.
وقال في اللسان في ترجمة نوح بن عمر: طريقه أقوى طرق الحديث.
انتهى.

(١) الآية ١ من سورة الإخلاص.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٦ و ٤٥٧ عن الطبراني في الكبير والأوسط، وابن سعد، والبيهقي، وأبي يعلى، وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ١٤ وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٥١ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٣٧ ومسند أبي يعلى ج ٧ ص ٢٥٨ والمعجم الكبير ج ١٩ ص ٤٢٩ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١٤٢٣ وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٨٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٤٠.

وأورد الحديث النووي في الأذكار في باب: «الذكر في الطريق».
فعلم من ذلك رد قول من يقول: إن الحديث موضوع لا أصل له^(١).
ونقول:

١ - لقد مات سلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، بل لقد
استشهد أو مات الكثيرون من الأنبياء، والأوصياء، والأولياء، ولم نرَ
الشمس قد طلعت بضياء وشعاع ونور فريد، لم تطلع بمثله. باستثناء
حالات خاصة أريد بها إفهام الأمة معنى، وإيقافها على حقيقة تحتاج إلى
معرفتها في دينها وبقينها. كما هو الحال بالنسبة لاستشهاد الإمام الحسين
«عليه السلام» في كربلاء.

٢ - لم توضح الرواية تلك الخصوصية التي ظهرت في نور الشمس
وشعاعها، ونورها، هل هي الحمرة؟ أم الحدة؟ أم تمازج الألوان؟ أم ماذا؟
٣ - ما الفرق بين ضياء الشمس ونورها، وكيف اختلف حالهما فيما
بينهما، ثم اختلف الحال بينهما وبين الشعاع.

٤ - حين خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» يمشي، وكان جبريل
يزيح الجبال والآكام من أمامه.. إلى أين كان يقصد؟! وإلى أين بلغ؟! ولماذا
احتاج إلى قطع هذه المسافات؟! ألم يكن يمكنه «صلى الله عليه وآله» أن
يُصَفَّ الناس، ويصلي على ذلك الميت، وهو في موضعه؟!!

٥ - لم يذكر النص الآنف الذكر ما يدل على خروج أحد من المسلمين
مع النبي «صلى الله عليه وآله» إلى تلك الصلاة، بل يذكر - فقط - أن سبعين

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٧.

ألف ملك اصطفوا خلف النبي «صلى الله عليه وآله»، وصلوا بصلاته.
 ٦ - هل يمكن القبول بافتراض أن لا يكون النبي «صلى الله عليه وآله» عارفاً بأثر قراءة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} في هذه الأحوال، أو أنه قد عرف ذلك لكنه لم يعلم حتى الخلص من أصحابه به، حتى فاتتهم هذه المنزلة والكرامة؟

قد يدعى: أن سؤال النبي «صلى الله عليه وآله» لجبرئيل عن سبب بلوغ هذه المنزلة يدل على صحة الإحتمال الأول، وهو أن هذه الرواية المزعومة تريد أن تدعي: أنه لم يكن عالماً بذلك. نعوذ بالله من الزلل والخطل في الاعتقاد وفي القول وفي العمل..

٧ - وأخيراً لو صح هذا الحديث - ودون إثبات صحته خرط القتاد - فهو لا يدل على مشروعية صلاة الغائب، لاحتمال أن يكون ما صنعه جبرئيل قد جاء لإكرام رسول الله «صلى الله عليه وآله» بخفض كل رفع، ورفع كل خفض له، حتى أصبحت جنازة ذلك الرجل أمامه، فصلى عليه النبي «صلى الله عليه وآله» صلاة الحاضر لا الغائب، تماماً كما كان الحال بالنسبة للنجاشي ملك الحبشة حسبما تقدم في بعض فصول هذا الكتاب..

المرور بين يدي المصلي:

عن يزيد بن نمران قال: رأيت رجلاً بتبوك مقعداً، فقال: مررت بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا على حمار، وهو يصلي، فقال: «اللهم اقطع أثره»، فما مشيت عليها بعدها.
 وعن سعيد بن غزوان عن أبيه: أنه نزل بتبوك وهو حاج، فإذا رجل

مقعد فسأله عن أمره، فقال: سأحدثك حديثاً فلا تحدث به ما سمعت أنني حي، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزل بتبوك إلى نخلة فقال: «هذه قبلتنا»، ثم صلى إليها.

فأقبلت وأنا غلام أسعى حتى مررت بينه وبينها، فقال: «قطع صلاتنا قطع الله أثره». فما قمت عليها إلى يومي هذا^(١).

ونقول:

إننا لا نشك في كذب هذه الرواية.

فأولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يدعو بقطع الأثر على غلام لا يحسن تقدير الأمور، ولم يبلغ سن التكليف، كما أن الله تعالى لا يستجيب دعاءً على بريء، ولا يشارك في ظلم أحد..

ثانياً: حتى لو كان هذا الغلام قد بلغ سن التكليف، ثم مر في حال الغفلة أمام المصلي، فإنه معذور، ولا يستحق أن يدعو عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل لا يجوز له ذلك..

ثالثاً: من الذي قال: إن ذلك الغلام كان يعرف أن المرور بين يدي المصلي حرام؟!

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٣ عن أحمد وأبي داود، وقال في هامشه: أخرجه أبو داود (٧٠١) و (٧٠٥)، وأحمد ج ٤ ص ٦٤، والبيهقي في السنن ج ٢ ص ٢٣٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٤ والبخاري في التاريخ ج ٨ ص ٣٦٦، وراجع: عمدة القاري ج ٤ ص ٢٧٩ والمغني لابن قدامة ج ٢ ص ٧٥ ومسند الشاميين ج ٣ ص ١٩٥ والتاريخ الكبير للبخاري ج ٨ ص ٣٦٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢١ ص ٣٣٦.

..... : ..
رابعاً: إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» في دعائه على ذلك الشخص:
«قطع الله أثره» ليس معناه أن لا يقف على رجله.. بل هو شيء آخر يختلف
عن مضمون تلك الدعوة تماماً..

فما معنى جعل عدم قدرته على الوقوف على رجله استجابة لتلك
الدعوى؟!..

خامساً: روي عن عروة عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله «صلى
الله عليه وآله» يصلي، وأنا معترضة بين يديه اعتراض الجنازة.

وقد روي هذا بوجوه مختلفة.

وقالت في بعضها: وأنا حائض.

وفي بعضها: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يغمز رجلها فتقبضها، فإذا
رفع رأسه بسطتها^(١).

(١) عمدة القاري ج ٤ ص ٢٧٢ عن البخاري، ومسلم وص ٢٩٧ وراجع: صحيح
البخاري باب التطوع خلف المرأة، وباب من قال: لا يقطع الصلاة شيء، وباب
هل يغمز الرجل امرأته عند السجود؟ وصحيح (ط دار الفكر) ج ١ ص ١٠١ و
١٣٠ وصحيح مسلم ج ٢ ص ٦١ وراجع: وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية)
ج ٣ ص ٤٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ١٢٨ وج ٢ ص ٢٦٤ و ٢٧٦
والسنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ٩٨ وصحيح ابن حبان ج ٦ ص ١١٠ ومعرفة
السنن والآثار ج ٢ ص ١٢١ والإستذكار ج ٢ ص ٨٥ والتمهيد لابن عبد البر
ج ٢١ ص ١٦٦ و ١٧٠ ونصب الراية للزيلعي ج ١ ص ١٢٧ وعمدة القاري ج ٤
ص ٢٩٧ والمصنف للصنعاني ج ٢ ص ٣٢ و سنن النسائي ج ١ ص ١٠٢ والموطأ
(صلاة الليل) ومسنند أحمد ج ٦ ص ٤٤ و ٥٥ و ١٤٢ و ٢٢٥ و ٢٥٥ و ١٨٢ =

فإذا كان اعتراض المرأة خصوصاً الحائض بين المصلي، وبين القبلة لا يقطع الصلاة، فالمرور من بين يدي المصلي بطريق أولى^(١).

وعن عائشة وهي ترد على قولهم: لا يقطع الصلاة إلا الكلب والحمار والمرأة قالت: أعدلتمونا بالكلب والحمار؟! لقد رأيتني مضطجعة على السرير، فيجيء النبي «صلى الله عليه وآله»، فيتوسط السرير فيصلي، فأكره أن أسنّحه (أي أن تستقبله ببدنها في صلاته)، فأنسل من قبل السرير، حتى أنسل من لحافي^(٢).

قال العيني: «وفيه دلالة على أن مرور المرأة بين يد المصلي لا يقطع صلاته، لأن انسلاها من لحافها كالمرور بين يدي المصلي»^(٣).

وقال الطحاوي: «دل حديث عائشة على أن مرور بني آدم بين يدي المصلي لا يقطع الصلاة»^(٤).

= وفي (ط دار الحديث) ما ورد برقم: ٢٤٥١٠ و ٢٥٣٠٨ و ٢٤٠٢١ و ٢٤٤٤٣ و ٢٥٥١٣ و ٢٥٥٢٣ و ٢٥٨١٨ و ٢٤١١٨ و ٢٥٥٧٢ و ٢٥٤٧٥ و ٢٦٠٥٩ و (ط دار صادر) ج ٦ ص ١٤٨ و ٢٢٥.

(١) عمدة القاري ج ٤ ص ٢٧٩.

(٢) صحيح البخاري (كتاب الصلاة) باب الصلاة إلى السرير، وباب استقبال الرجل وهو يصلي، وباب من قال: لا يقطع الصلاة شيء و (ط دار الفكر) ج ١ ص ١٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٢٧٦ وصحيح مسلم ج ٢ ص ٦٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٢٧٦ ومسنند ابن راهويه ج ٣ ص ٨٣٥.

(٣) عمدة القاري ج ٤ ص ٢٨٨.

(٤) عمدة القاري ج ٤ ص ٢٩٩.

ونضيف هنا: أن نفس أن يبادر النبي «صلى الله عليه وآله» للصلاة في موضع يكون هناك إنسان معترض في قبلته فيدفعه ذلك إلى الإنسلاخ من أمامه يدل على عدم قاذحية وجود أو مرور إنسان أمام المصلي..
سادساً: إن الروايات عن أهل البيت «عليهم السلام» وهم أعرف بما فيه تدل على عدم حرمة المرور بين يدي المصلي^(١).

سابعاً: إن ظاهر رواية غزوان عن المقعد الذي رآه في تبوك: أنه لم تكن لغزوان معرفة بذلك الرجل المقعد، فلماذا وكيف وثق ذلك المقعد به، حتى باح له بسرّه، وأوصاه ألا يحدث به ما سمع أنه حي؟! مع العلم: بأن غزوان إنما نزل بتبوك، وهو حاج، فكيف يسمع بحياة ذلك المقعد وهو في بلد البعيد عن تبوك مئات الأميال.. فهل كان ذكر ذلك الرجل المقعد واسمه يطبق الآفاق؟! لكي يسمع به غزوان..

كرامات لرسول الله ' في تبوك:

قال رجل من بني سعد هُذَيم: جئت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو جالس بتبوك في نفر، فقال: «يا بلال أطعمنا».
فبسط بلال نطعاً ثم جعل يخرج من حميت له، فأخرج خرجات بيده من تمر معجون بسمن وأقط، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كلوا».

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٣ ص ٤٣٤ - ٤٣٦ و ٤٢٦ عن كتاب التوحيد للصدوق ص ١٧١ و ١٧٧ وعن تهذيب الأحكام ج ١ ص ٢٢٨ وعن الإستبصار ج ١ ص ٢٠٤ وعن الكافي ج ٣ ص ٨٢ وقرب الإسناد ص ٥٤ وعن من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٨٠.

فأكلنا حتى شبعنا، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأكل هذا وحدي.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الكافر يأكل في سبعة أمعاء،
والمؤمن يأكل في معاء واحد». ^١
ثم جئت في الغد متحِيناً لَغْدَائِهِ لِأَزْدَادٍ فِي الْإِسْلَامِ يَقِيناً، فإذا عشرة نفر
حولهُ، فقال: «هات أطعمنا يا بلال». ^٢
فجعل يخرج من جراب تمرّاً بكفه قبضة قبضة، فقال: «أخرج، ولا
تحش من ذي العرش إقللاً». ^٣
فجاء بالجراب ونشره، فقال: فحزرتهُ مُدَّيْنِ، فوضع رسول الله «صلى
الله عليه وآله» يده على التمر وقال: «كلوا باسم الله». ^٤
فأكل القوم وأكلت معهم، وأكلت حتى ما أجد له مسلماً.
قال: وبقي على النطع مثل الذي جاء به بلال، كأننا لم نأكل منه ثمرة
واحدة. ^٥

قال: ثم غدوت من الغد، وعاد نفر فكانوا عشرة أو يزيدون رجلاً أو
رجلين، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا بلال أطعمنا». ^٦
فجاء بلال بذلك الجراب بعينه، أعرفه، فنشره، ووضع رسول الله
«صلى الله عليه وآله» يده عليه وقال: «كلوا باسم الله». ^٧
فأكلنا حتى نهلنا، ثم رجع مثل الذي صب، ففعل ذلك ثلاثة أيام^(١).
عن عرياض بن سارية قال: كنت ألزم باب رسول الله «صلى الله عليه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٤ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠١٧ وإمتاع
الأسماع ج ٢ ص ٦١.

..... : ..
وآله» في الحضر والسفر، فرأيتنا ليلة ونحن بتبولك، وذهبنا لحاجة، فرجعنا إلى منزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقد تعشى ومن معه من أضيافه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد أن يدخل قبه - ومعه زوجته أم سلمة - فلما طلعت عليه قال: أين كنت منذ الليلة؟

فأخبرته، فطلع جعال بن سراقه وعبد الله بن مغفل المزني، فكنا ثلاثة كلنا جائع، إنما نغشى باب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» البيت، فطلب شيئاً نأكله، فلم يجده، فخرج إلينا فنادى: «يا بلال هل من عشاء لهؤلاء النفر».

فقال: والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا وحمتنا.

قال: «انظر عسى أن تجد شيئاً».

فأخذ الجرب ينفضها جراباً جراباً، فتقع التمرة والتمرتان، حتى رأيت في يده سبع تمرات، ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها، ثم وضع يده على التمرات، وسمى الله تعالى، فقال: «كلوا باسم الله».

فأكلنا، فحصيت أربعاً وخمسين ثمرة، أعدّها عدّاً، ونواها في يدي الأخرى، وصاحباي يصنعان مثل ما أصنع، وشبعنا، فأكل كل واحد منا خمسين ثمرة، ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هي. فقال: «يا بلال ارفعها، فإنه لا يأكل منها أحد إلا نهل شبعاً».

فلما أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلى صلاة الصبح ثم انصرف إلى فناء قبه، فجلس وجلسنا حوله، فقرأ من «المؤمنون» عشراً، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل لكم في الغداء»؟

قال عرباض: فجعلت أقول في نفسي أي غداء، فدعا بلالاً بالتمرّات،

فوضع يده عليهن في الصحيفة، ثم قال: «كلوا بسم الله».
فأكلنا، فوالذي بعثه بالحق، حتى شبعنا وإنا لعشرة، ثم رفعوا أيديهم
منها شبعاً، وإذا التمرات كما هي، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:
«لولا أني أستحي من ربي لأكلنا من هذا التمر حتى نرد المدينة عن آخرنا».
وطلع عليهم غلام من أهل البدو، فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله»
التمرّات فدفعها إليه، فولى الغلام يلوكه^(١).

الكافر يأكل في سبعة أمعاء:

ونقول بالنسبة لما تقدم، من أن الكافر يأكل بسبعة أمعاء، والمؤمن يأكل
في معاء واحد^(٢) نقول:
قد ذكرنا أن هذا الحديث إن ثبت، فلا بد أن يكون المراد منه المعنى
المجازي، وهو:

أولاً: أن المؤمن لا يأكل رزقه إلا من باب واحد وهو باب الحلال، أما
الكافر فلا يبالي من أي باب أكل، ومن أين أكل، فأبي باب فتح له أكل
منه.. فمآكل الكافر كثيرة، وذكر السبعة إنما هو لإفادة الكثرة، كقوله تعالى:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٤ و ٤٥٥ عن الواقدي، وأبي نعيم، وابن
عساكر، والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠١٧ وراجع: كنز العمال ج ١٢ ص ٤٣٢
وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ ص ١٨٩ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٠ وج ١٤
ص ٥٢.

(٢) راجع: البحار ج ٦٣ ص ٣٢٥ و ٣٣٧ والخصال ص ٣٥١ والمحاسن ص ٤٤٧
ومصباح الشريعة ص ٢٧ و ٢٨.

..... :
{وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ} (١).

ثانياً: أو يقال: إن المؤمن يأكل ليعيش، أي أنه لا يهتم إلا بما يمسك به الرmq، ويقيم الأود، ولا يعيش ليأكل، فيكون كالدابة المربوطة همها علفها، وشغلها تقمّمها. فكأن المؤمن لشدة قناعته يأكل بمعاء واحد، وكأن الكافر لشدة شرهه، واستقصائه في البحث عن اللذة له سبعة أمعاء..

ثالثاً: أو يقال: إن هذا كناية عن طمع الكافر وجشعه، وحبه للدنيا، واستغراقه في طلبها، واتساع رغبته بها، فهو يأكل كل ما يحصل عليه، يأكل الدينار، ويأكل القنطار، ويأكل البلاد والعباد..

وأما أن يكون المراد: أن الكافر يأكل سبعة أضعاف ما يأكله المؤمن، فلا مجال لقبوله، لأن المشاهد خلاف ذلك، وأنه لا فرق بين المؤمن والكافر في مقدار الطعام الذي يتناوله كل واحد منهما.

رابعاً: يفهم من بعض النصوص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: ستكون من بعدي سنة، يأكل المؤمن في معاء واحد، ويأكل الكافر في سبعة أمعاء (٢) ..

فإن كان المراد هو الإخبار عن سنة من الزمان يكون فيها ذلك، فالأمر واضح، وإن كان المراد بها - كما احتمله العلامة المجلسي - السُّنَّة (٣) - بالضم والتشديد - فالحديث يشير إلى أمر سيحصل، ولا نعرف متى سيكون ذلك.

(١) الآية ٧٧ من سورة لقمان.

(٢) المحاسن ص ٤٤٧ والبحار ج ٦٣ ص ٣٣٧ والكافي ج ٦ ص ٢٦٨ والوسائل (ط) مؤسسة آل البيت) ج ٢٤ ص ٢٤٠ و (ط دار الإسلامية) ج ١٦ ص ٤٠٦.

(٣) البحار ج ٦٣ ص ٣٣٧.

حديث الجراب في ميزان الاعتبار:

ونحن نعتقد: أن حديث الجراب الذي يرويه ذلك الرجل، الذي لم نعرف اسمه، وإن كان ممكناً في حد نفسه، وأن له نظائر كثيرة جداً في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن صدور أمثال هذه المعجزات والكرامات منه «صلى الله عليه وآله» وعنه يعد بالعشرات، إن لم يكن بأكثر من ذلك..

إلا أن اللاف هنا: أن نقل هذه الحادثة قد اقتصر على رجل مجهول من بني سعد هذيم..

مع أن هذا الحدث قد تكرر أمام جماعة من الناس.. وتكرر مع بلال حامل الجراب ثلاث مرات، فهل زهد المسلمون بنقل هذه الحوادث لكثرتها؟!

على أن لنا أن نسأل: لماذا لم يأت هذا الرجل نفسه في اليوم الرابع أيضاً؟! لكي يأكل من جراب رابع وخامس. ويلاحظ هنا: أن رقم عشرة تكرر في اليومين الأخيرين، مع الإشارة إلى أن العشرة الأخيرة كانت هي نفس العشرة التي جاءت في اليوم السابق.

عرباض ملازم لباب الرسول :

وعن رواية عرباض بن سارية نقول:

إن دعواه أنه كان ملازماً لباب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في السفر والحضر.. لا نجد ما يؤيدها، بل المعروف خلافه، إلا إن كان يقصد أنه كان ملازماً للمسجد مع أهل الصفة، الذين كان رسول الله «صلى الله عليه وآله»

..... : ..
يهتم بأمرهم، ويقوم بإعالتهم، لكونهم من الفقراء، وكان عرباض منهم^(١)..

لماذا المعجزة والكرامة هنا؟!

على أننا لا ندري سبب إظهار هذه الكرامة لعرباض، وجعال، وابن مغفل، فإن كان السبب هو جوع هؤلاء، فإن غيرهم أيضاً كان يعاني من نفس المشكلة، فلماذا أثر هؤلاء وحرم أولئك؟!.. فليظهر هذه الكرامة لكل جائع.

وإن كان السبب هو أن هؤلاء كانوا يحتاجون إلى إظهار المعجزة، لترسيخ يقينهم، وإزالة الريب من نفوسهم، فذلك يعني أن شائبة النفاق كانت ماثلة فيهم، أو في بعضهم.
وتستمر هذه الشبهة حولهم إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله». ولعل مما يؤكد هذا الأمر بالنسبة لبعضهم: أنهم يقولون: إن إبليس تصور بصورة مغفل بن سراقعة يوم أحد^(٢)..

لولا أني أستحي من ربي!!

وحين نقرأ قوله «صلى الله عليه وآله»: «لولا أني أستحي من ربي، لأكلنا من هذا التمر حتى نرد المدينة عن آخرنا».. قد يراودنا خاطر يزعج

(١) الإصابة ج ٢ ص ٤٧٣ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٣٩٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ ص ١٧٦ و ١٧٧ و ج ٤٠ ص ١٨٧ وتهذيب الكمال ج ١٩ ص ٥٤٩ وتقريب التهذيب ج ١ ص ٦٦٩ وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٥٧.
(٢) الإستهباب (بهامش الإصابة) ج ١ ص ٢٦٠ و (ط دار الجليل) ج ١ ص ٢٧٤.

اليقين لدينا بصحة هذا القول، من حيث تضمنه جرأة على مقام العزة الإلهية، لأنه يعطي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان أكرم من الله على عباد الله، وأرفق بهم منه.. وهذا المنطق مرفوض ومدان جملة وتفصيلاً.. لأنه يؤدي إلى الخروج من الدين.

فلا بد أن يكون المقصود: أنه «صلى الله عليه وآله» يستحي من الله لأن هذا الطلب يؤدي إلى نقض الغرض من المعجزة أو الكرامة.. لأن أولئك الناس قد ينتزعون منه فكرة خاطئة، أو يزينها الشيطان لهم، وهو أن هذا العطاء، وهذه الكرامة.. قد منحهم الله إياها عن استحقاق منهم لها. أو لربما يدخل في وهمهم: أن هذا العطاء هو السنة الإلهية التي لو لم يجرها الله تعالى فيهم لكان ظالماً لهم، ولكان لهم الحق في أن يطالبوه بها.. أو غير ذلك من الأوهام الشيطانية التي تؤدي إلى أن يصبح حالهم مع النبي «صلى الله عليه وآله» حال بني إسرائيل مع موسى «على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام»..

أو لأن المقصود هو - كما ذكره بعض الإخوة: أنه لا ينبغي للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يعتمد، ولا يغري المؤمنين بالاعتماد على المنح الإلهية التي حباه الله تعالى بها في تحصيل الأرزاق، فإن ذلك يؤدي إلى قعود الناس عن طلب الرزق، وإلى غير ذلك من أمور..

نفضنا جُرَبَنَا:

إن ثمة سؤالاً يحتاج إلى إجابة، وهو أنه إذا كان الطعام قد فقد، وكانوا قد نفضوا جُرَبَهُمْ و.. و.. حتى احتاجوا إلى التصرف النبوي، والاستجابة

الإلهية.. فماذا كانوا سيأكلون، وينفقون في الأيام التالية، وإلى حين رجوعهم إلى المدينة؟! والحال أن البلاد ليست بلادهم، وليس لهم فيها زراعة ولا تجارة، ولا غير ذلك!!.

إلا أن يكون المقصود: أن الطعام الذي كان عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استنفد، أما الآخرون فكان لديهم طعام، ولعلهم لا يتركون رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الأيام التالية.. أو يقال: إن نفاد الطعام لا يعني نفاد المال الذي يشتري به في اليوم التالي حيث يبيعه المسلمون أو غيرهم من سكان تلك المنطقة.

يطلع قرن الشيطان من المشرق:

وقالوا: كان رجل من بني عذرة يقال له: عدي يقول: جئت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتبوك، فرأيت على ناقه حمراء يطوف على الناس، يقول: «يا أيها الناس، يد الله فوق يد المعطي، ويد المعطي الوسطى، ويد المعطي السفلى، أيها الناس، فتغنوا ولو بحزم الحطب، اللهم هل بلغت» ثلاثاً.

فقلت: يا رسول الله، إن امرأتِي اقتتلتا، فرميت إحداهما، فَرَمِي في رميتي - يريد أنها ماتت - فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «تعقلها ولا ترثها».

فجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» في موضع مسجده بتبوك، فنظر نحو اليمين، ورفع يده يشير إلى أهل اليمن، فقال: «الإيمان يمان» ونظر نحو الشرق، فأشار بيده فقال: إن الجفاء وغلظ القلوب في

.....
الفدادين أهل الوبر، من نحو المشرق، حيث يطلع الشيطان قرنيه^(١).

ونقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات، نقتصر منها على ما يلي:

تعقلها، ولا ترثها:

هناك حكم شرعي يقول: لا يرث القاتل من المقتول إذا قتله عمداً، وإذا كان القتل شبيهاً بالعمد، كأن يكون قاصداً لإيقاع الفعل على المقتول غير قاصد للقتل، وكان الفعل مما لا يترتب عليه القتل في العادة، فقد اختلفت كلمات الفقهاء فيه، تبعاً لاختلاف ما استفادوه من النصوص..

أما قتل الخطأ فلا يمنع من التوارث..

فقد يقال: إن قتل هذا الرجل لزوجته لم يكن متعمداً، بل هو شبيه بالعمد.. وقد حكم النبي «صلى الله عليه وآله» بعدم إرثه منها.. فهذا يؤيد قول من قال: بعدم الإرث في شبه العمد.

ونجيب: بأن هذا المورد ليس من موارد شبه العمد، لأن الآلة التي استعملت، والفعل الذي حصل هو بحسب الظاهر مما يترتب عليه القتل

(١) المغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠١٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٥ عنه، وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٧ ص ٢١٣ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٦٠ ومسند الحميدي ج ٢ ص ٤٥٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٥٢ وراجع: مسند أحمد ج ٤ ص ١١٨ وج ٥ ص ٢٧٣ وصحيح البخاري ج ٤ ص ٩٧ و ١٥٤ وج ٥ ص ١٢٢ وج ٦ ص ١٧٨ وصحيح مسلم ج ١ ص ٥١ وفتح الباري ج ٦ ص ٢٥٠ وعمدة القاري ج ١٥ ص ١٩١ وج ١٨ ص ٣١ وج ٢٠ ص ٢٩٣ والمعجم الكبير ج ١٧ ص ٢٠٩.

عادة، لأن الظاهر من كلامه أنه رماها بسهم، والسهم يقتل عادة، أو هو من آلات القتل والقتال.

إن قلت: لكن رواية الضحاك تقول: «فرميت إحداهما بحجر»^(١). قلنا: إن الحجر يمكن أن يكون كبيراً بحيث يقتل عادة، أو يكون رماه بحيث يصيب منها مقتلاً في العادة بحسب جلستها أو نومتها أو حالها، وعلى كل حال، فمع مثل هذه الاحتمالات لا يثبت أنه شبه العمدة، لأنه على بعض الوجوه عمد كرميها بسهم أو نحوه.

ها هنا يطلع قرن الشيطان:

وقد ادعت الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أشار إلى الشرق، وقال: إن الجفاء، وغلظة القلوب في الفدادين أهل الوبر، من نحو الشرق، حيث يطلع قرن الشيطان.. ونقول:

إن الحديث المعروف والثابت والمتداول هو ذلك الذي رواه البخاري عن نافع، عن ابن عمر قال: قام النبي «صلى الله عليه وآله» خطيباً، فأشار إلى مسكن عائشة، وقال: ها هنا الفتنة - ثلاثاً - من حيث يطلع قرن الشيطان^(٢).

(١) الآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٠٢ و (ط دار الدراية للطباعة) ج ٥ ص ٣٠٨.
(٢) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٤٦. والعمدة لابن البطريق ص ٤٥٦ والطرائف لابن طاووس ص ٢٩٧ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٢٣٧ ووصول الأخبار إلى أصول الأخبار ص ٨٣ والجمل لابن شدقم ص ٤٧ والبحار ج ٣١ ص ٦٣٩ وج ٣٢ ص ٢٨٧ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ٤٧١ ومسنند أحمد ج ٢ ص ١.

وفي البخاري أيضاً قال: خرج النبي «صلى الله عليه وآله» من بيت عائشة، فقال: رأس الكفر من ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان^(١).
وحين صدمتهم دلالة هذا الحديث حاولوا إيجاد مخرج له.. فتمخض الجبل فولد فأرة حين زعموا: أن حجرة عائشة كانت إلى جهة الشرق.
وباقى الأحاديث تقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أشار إلى الشرق، وقد فسره «صلى الله عليه وآله» بقوله: «حيث يطلع قرن الشيطان»، أي من جانب الشرق..

قالوا: ولو كان المراد حجرة عائشة، فكيف يصح أن يقول: إن الشيطان يطلع من حجرته المقدسة؟!.

والحال أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يطلع من الحجرة؟!^(٢).
ونقول:

أولاً: إن ظاهر الكلام يمنع من إرادة جهة الشرق، بل المقصود هو مسكن عائشة، الذي يزعمون أنه يقع في جهة الشرق، ولذلك صرح البخاري: بأنه أشار إلى مسكن عائشة، وأورده في باب ما جاء في بيوت أزواج النبي «صلى الله عليه وآله»، فإن كان قد ذكر جهة الشرق حقاً، فلأن

(١) مسند أحمد ج ٢ ص ٢٣ و ٢٦ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٨١ والمصنف لابن أبي شيبه ج ٧ ص ٥٥٢ وكنز العمال ج ١١ ص ١١٩.

(٢) دلائل الصدق ج ٣ ق ٢ ص ١٥٧ عن فضل بن روزهان، والخصائص الفاطمية للكجوري ج ١ ص ٥٠٤ والبحار ج ٢ ص ٨٧ ح ٢٤١ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٣٠٨ وكشف الغطاء (ط.ق) ج ١ ص ١٩ ووصول الأخبار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي العاملي ص ٨٣ عن صحيح البخاري عن ابن عمر.

..... : ..
مسكن عائشة كان يقع في تلك الجهة حسب زعمهم.. أي أن المطلق، وهو
جهة الشرق يحمل على القيد، وهذا هو طبع الكلام في الموارد المختلفة..
ثانياً: إن مسكن عائشة كان إلى جانبه بيوت كثيرة، ولم يكن وحده في
تلك الجهة، فلماذا خص الراوي مسكنها بالذكر؟!..
ثالثاً: لماذا قال «صلى الله عليه وآله»: «من ها هنا» (الذي هو للإشارة
للقريب)، ولم يقل: من هناك الذي يشار به للبعيد؟!..
في حين أنه قد استعمل لفظ: «هناك» في الحديث الذي أشار به إلى نجد
فقال: هناك الزلازل والفتن^(١).
رابعاً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يرد أن كل من يطلع من تلك الحجرة
فهو قرن شيطان، لكي يشمل نفسه بهذا الكلام - كما زعموا - بل أراد
التكنية عن شخص بعينه، يكون منه ما لا يرضاه الله تعالى. كما أظهرته
الوقائع بعد استشهاد النبي «صلى الله عليه وآله»..
خامساً: إننا نقول: إن الروايات التي تتحدث عن الشرق ربما تكون
مجمولة، من أجل تخفيف وطأة حديث البخاري، ويكون ذلك مخرجاً له..

(١) الإستذكار لابن عبد البر ج ٨ ص ٢٢١ وصحيح البخاري ج ٢ ص ٢٣ وج ٨
ص ٩٥ وفتح الباري ج ٢ ص ٤٣٣ وج ١٣ ص ٣٩ وعمدة القاري ج ٧ ص ٥٨
وج ٢٤ ص ٢٠٠ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ص ٥٢٤ وج ١٥ ص ٣٥٦
وعوالي اللآلي ج ١ ص ١٥٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٢ ص ٢٧٧ والتمهيد
لابن عبد البر ج ١ ص ٢٧٩ وج ٢١ ص ٢٦٧ والعهود المحمدية للشعراني
ص ٥١٣ وكنز العمال ج ١٢ ص ٣٠٠ والدر المنثور ج ٣ ص ١١٣ وتاريخ مدينة
دمشق ج ١ ص ١٣٣ و ١٣٤ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ٨٣٦.

إذ إن بيت عائشة لم يكن إلى جهة الشرق، بل كان في جهة القبلة في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله». فلاحظ ما يلي:

١ - قالوا: «والمعروف عند الناس أن البيت الذي على يمين الخارج من خوخة آل عمر المذكورة هو بيت عائشة»^(١)..

وخوخة آل عمر كانت قبلي المسجد الشريف، وهي اليوم، «يتوصل إليها من الطابق الذي بالرواق الثاني من أروقة القبلة. وهو الرواق الذي يقف الناس فيه للزيارة أمام الوجه الشريف، بالقرب من الطابق المذكور»^(٢)..

وكان دار حفصة قبلي المسجد^(٣)، ملاصقاً لبيت عائشة من جهة القبلة^(٤).

٢ - وقال محمد بن هلال عن بيت عائشة: كان بابه من جهة الشام^(٥).

وقال ابن عساكر: «وباب البيت شامي»^(٦)..

ومن المعلوم: أن الجهة الشامية التي للمسجد هي الجهة الشمالية، فإذا كان باب بيت عائشة يقابل الجهة الشمالية، فإنه لا يكون لجهة الشرق.. سادساً: وأخيراً نقول:

إنه لا مانع من أن يطلع قرن الشيطان من موضعين أحدهما: جهة المشرق..

(١) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٧١٩.

(٢) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٧٠٦.

(٣) رحلة ابن بطوطة ص ٧٢.

(٤) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٥٤٣.

(٥) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٥٤٢ و ٥٥٩ و ٤٦٠.

(٦) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٥٤٢ و ٥٥٩ و ٤٦٠.

..... : ..
وثانيهما: مسكن عائشة، الذي لم يكن في تلك الجهة، وليس ثمة ما يحتم
أن تكون الروايات مسوقة لبيان أمر واحد، إذ لعل هناك حالتين لا بد من
أن يخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عنهما جميعاً..

الإيمان يمان:

وعن قوله «صلى الله عليه وآله»: «الإيمان يمان»، نقول:
قد تحدثنا عن هذا الموضوع قبل بضعة صفحات تحت عنوان: «٣ - ما
ها هنا يمين». وفي فصل: «خمسة وفود بلا تاريخ». تحت عنوان: «وفد
الأشعرين». فراجع..
غير أننا نحب أن نشير إلى أنه إذا كان المقصود باليمين واليمان هو ما
يشمل الحجاز كله، واليمين أيضاً، فلا ضير في ذلك ما دام أصل الإيمان
المتمثل بالنبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام»، قد ظهر في
هذه المنطقة، وتبعهم أولئك الذين تربوا على أيديهم، ونهلوا من معين
علمهم..
فإن أريد معارضة هذا الحديث بحديث: لو كان الإيمان بالثريا لناله
رجال من فارس^(١). فيجواب عن ذلك: بأننا لا نمنع من أن ينال رجال من

(١) المعجم الكبير ج ١٨ ص ٣٥٣ والإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٢ ص ٦٣٦ وكنز
العمال ج ١٢ ص ٩١ وتفسير السمعاني ج ٥ ص ١٨٧ والتفسير الكبير للرازي
ج ٢٨ ص ٧٦ وتفسير أبي السعود ج ١ ص ٥٦ وذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ٥ و
٨ و ٩ و فضل آل البيت للمقرئ ص ٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ١١٦
والبحار ج ٢٢ ص ٥٢ وج ٦٤ ص ٦١ ومجمع البيان ٩ ص ١٠٨ والإختصاص =

فارس الدين والعلم، ولكن أصله الأصيل، وحقيقته الظاهرة المتمثلة
بصفوة الخلق كله، إنما كان في منطقة الحجاز اليمانية..

ما ذنب الفدادين؟!:

قد ذكرت الرواية المتقدمة: أن الجفاء، وغلظ القلوب، في الفدادين
أهل الوبر، من نحو المشرق الخ..

والفداد: هو الشديد الصوت.

والفدادون: هم الرعيان، والبقارون، والجمالون، والفلاحون وسواهم.
وهم أهل الوبر، لغلظ أصواتهم، وجفائهم. ولعله لأجل رفع أصواتهم في
حروثهم ومواشيهم، وهم أصحاب الإبل الكثير الذين يملك أحدهم المائتين
من الإبل إلى الألف، وهم مع ذلك جفاة وأهل خيلاء^(١).

ونقول:

١ - إنه لا دليل على أن رفع الصوت للرعي، والبقر، والجمال،
والفلاح، يوجب الجفاء وغلظ القلب، إلا إذا كان الدليل هو هذه الرواية
وأمثالها، ثم أخذ المصنفون في اللغة تفاسيرهم من هذه الأحاديث.

ومجتمع أهل الإيمان لا يشير إلى وجود أي فرق في أخلاق الناس الذين
يشتغلون بهذه الأمور مع غيرهم من سائر الناس..

٢ - لو كان الرعي أو الفلاحة، أو اقتناء الإبل، من موجبات الجفاء

= ص ١٤٣ والتاج الجامع للأصول ٣ ص ٤٢٣ وج ٤ ص ٢٣٥ وفقه القرآن
للراوندي ج ١ ص ٣٧١.

(١) لسان العرب (ط سنة ١٤١٦ هـ) ج ١٠ ص ٢٠١.

والخيلاء، فإن ذلك يفرض انحسار الإهتمام بهذه الأمور في مجتمع أهل الإيمان، ولكن هذه الأمور قد بقيت كما كانت عليه قبل الإسلام، واستمرت على نفس الوتيرة عبر العصور والدهور..

٣- إننا لم نجد فرقاً بين الفدادين من أهل المشرق والفدادين في المناطق الأخرى، ولم نجد الشيطان يطلع قرنيه في مشرق جزيرة العرب، أكثر مما كان ولا يزال يطلعه في سائر المناطق، مثل بلاد الشام ونجد، فضلاً عن سائر البلاد التي لا تدين بالإسلام، فإن الشيطان يطلع قرنيه في كل موقع لا يهيمن فيه دين الله تبارك وتعالى..

فلماذا اختص الفدادون المشرقيون بهذا التوصيف الحاد؟!.

٤- إن من الأنبياء من كان يرعى الأغنام، وبعضهم كان يحرق الأرض ويزرعها، فهل هذا الوصف يشملهم؟!.

هبوب ريح لموت عظيم النفاق:

قالوا: وهاجت ريح شديدة بتبوك، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هذا لموت منافق عظيم النفاق.

فقدموا المدينة، فوجدوا منافقاً عظيماً النفاق قد مات^(١)..

ونقول:

قد تقدم حين الحديث عما جرى في الحجر، ومنع النبي «صلى الله عليه

(١) مسند أحمد ج ٣ ص ٣٤١ و ٣٤٧ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٥ عن الواقدي، وراجع: البحار ج ١٨ ص ١٣١ وج ٢١ ص ٢٥١.

.....
وآله» الناس من الإستفادة من مائها، وإكفائه القدور الخ..: أنه «صلى الله عليه وآله» أخبر الناس هناك بأنه ستهب في تلك الليلة ريح شديدة، وأن سبب ذلك هو موت عظيم من المنافقين.. وقد حصل ذلك فعلاً.

وقد تكرر ذكر هذه القضية هنا، غير أن الروايات لم تذكر اسم هذا العظيم النفاق في الموضعين، مع أنهم يهتمون بتسمية من هو أقل شأنًا وخطرًا بمراتب، ولو من دون مناسبة.

فهل كان هذا الرجل العظيم النفاق من أقارب بعض من يرغبون في تفخيّمه وتعظيمه، ولا يريدون التلميح، فكيف بالتصريح بأدنى شيء يشير إليه أو إلى أحد من أقاربه، إذا كان مما يشين؟!.

وهل كانت الريح تهب كلما مات منافق عظيم النفاق؟! وهل هبت الريح عند موت عبد الله بن أبي، الذي يحبون أن يصفوه بأنه رئيس المنافقين في المدينة؟! .
وأما الرواية التي تصرّح باسم رفاعه بن تابوب، أو رافع بن تابوت فيرد عليها: أن هذا العظيم لم يعرف له ذكر أو دور ذو بال في تاريخ الإسلام، ولا أشار إلى أسباب عظّمته في شيء، بخلاف عبد الله بن أبي، الذي زعموا أنه كان ينظم له الخرز ليتوج قبيل قدوم النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة..

بئر سعد بن هذيم:

قالوا: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفر من سعد هذيم، فقالوا: يا رسول الله، إنا قدمنا إليك، وتركنا أهلنا على بئر لنا قليل ماؤها، وهذا القيظ، ونحن نخاف إن تفرقنا أن نُقْتَطَعَ، لأن الإسلام لم يفش حولنا

بعد، فادع الله تعالى لنا في مائها، فإننا إن رويناه به فلا قوم أعز منا، لا يعبر بنا أحد مخالف لديننا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ابغوا لي حصيات». فتناول بعضهم ثلاث حصيات، فدفعنهن إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ففركهن بيده، ثم قال: «اذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم، فاطرحوها واحدة واحدة، وسمُّوا الله تعالى».

فانصرف القوم من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» ففعلوا ذلك، فجاشت بئرهم بالروء، ونفوا من قاربهم من أهل الشرك ووطئوهم، فما انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة حتى أوطئوا من حولهم غلبة، ودانوا عليه بالإسلام.

ونحن لا نريد أن نرهق القارئ بالأسئلة عن مدى صحة أن يكون هؤلاء قد وطأوا جميعاً من حولهم غلبة، ودانوا عليه بالإسلام في غضون أيام يسيرة - فإن ذلك مما لا يغفل عنه القارئ الكريم إن شاء الله تعالى.

أعطيت خمساً:

عن عبد الله بن عمر قال: كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتبوك، فقام من الليل يصلي، وهو كثير التهجد بالليل، ولا يقوم إلا استاك، فقام ليلة فلما فرغ أقبل على من كان عنده فقال: «أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي: بعثت إلى الناس كافة، وكان النبي يبعث إلى قومه. وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، أينما أدركتني الصلاة تيممت وصليت، وكان من قبلي لم يعطوا ذلك، وكانوا لا يصلون إلا في الكنائس

والبيع، وأحلت لي الغنائم آكلها، وكان من قبلي يجرمونها، والخامسة هي ما هي، هي ما هي، هي ما هي» ثلاثاً.
قالوا: يا رسول الله، وما هي؟
قال: «قيل لي سل، فكل نبي قد سأل، فهي لكم، ولمن شهد أن لا إله إلا الله».

ونقول:

إن لنا مع هذه الرواية عدة وقفات نذكر منها:

متى بعث النبي للعالمين :

جاء في الرواية المتقدمة: أن الله تعالى بعث محمداً «صلى الله عليه وآله» إلى الناس كافة في غزوة تبوك.

ونقول:

أولاً: إن الله تعالى يقول في سورة التكوين: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} ^(١).
وسورة التكوين نزلت في مكة قبل الهجرة.. وقال تعالى في سورة الفرقان: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} ^(٢).
والجمهور على أن سورة الفرقان مكية. وقال الضحاك: مدنية ^(٣).

(١) الآية ٢٧ من سورة التكوين.

(٢) الآية ١ من سورة الفرقان.

(٣) الإتيان في علوم القرآن (ط سنة ١٤٢٢ هـ) ٢٦ و (ط دار الفكر) ج ١ ص ٤٣ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٤ ص ١٩٩ والجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ١ وتفسير السمعاني ج ٤ ص ٥ وتفسير الألوسي ج ١٨ ص ٢٣٠.

ثانياً: قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (١). وهي مكية أيضاً.
رابعاً: إن رسائله إلى ملوك الأرض في سنة ست دليل على أنه مبعوث
إلى الناس جميعاً.

آية التيمم متى نزلت؟:

وقد صرحوا: بأن آية التيمم قد نزلت في غزوة المريسيع، وغزوة
المريسيع قد سبقت غزوة تبوك بعدة سنوات، وقد قدمنا طائفة من المصادر
الدالة على ذلك في فصل: «ما عشت أراك الدهر عجباً»، في فقرة: «ضياع
العقد مرة أخرى».

فكيف تقول الرواية الآنف الذكر: إن الله تعالى أعطاه التيمم في غزوة
تبوك؟!!

الصلاة في الكنائس والبيع، وحرمة الغنائم:

ولا ندري مدى صحة ما أطلقتها الرواية: من أن الأنبياء قبل النبي
«صلى الله عليه وآله» كانوا لا يصلون إلا في الكنائس والبيع.. فإن ذلك لم
نجده إلا في هذه الرواية التي تعاورت عليها العلل والأسقام، وهل كان
الانبياء، وغيرهم من المؤمنين لا يصلون في أسفارهم وفي حضرهم إذا لم
يكن ثمة بيعة أو كنيسة قريبة منهم؟! وكذلك الحال بالنسبة لتحريم الغنائم
من قبل من سبقه من الأنبياء..
أو أنهم كانوا كلما أرادوا الصلاة في أسفارهم بنوا بيعة أو كنيسة لأجل ذلك.

(١) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

هي! ما هي؟!:

إننا لم نفهم ماذا عناه بقوله ثلاثاً: هي! ما هي؟!...
هل القصد أن يطرحها عليهم كأحجية، يطلب منهم حلها؟!.. أم أنه
هو نفسه قد نسي الخامسة، ثم هو يحاول أن يتذكرها?!..

نقض أول الكلام بآخره:

واللافت هنا: أن الرواية تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» قد نقض أول
كلامه بآخره، فإنه قد قرر أولاً: أن الله تعالى قد أعطاه أولاً خمساً لم يعطها
أحداً قبله.. ثم عاد أخيراً فنقض ذلك وقال: إن كل نبي قد سأل، وأنه هو
أيضاً له الحق في أن يسأل كما سأل من سبقه، فلم تكن الخامسة مما اختصه
الله تعالى به.. وبذلك تكون الخمسة قد نقصت واحدة، لم تكن مختصة به
«صلى الله عليه وآله»، دون من سبقه..

لو تركته لسال الوادي سمناً:

عن حمزة بن عمرو الأسلمي قال: خرج رسول الله «صلى الله عليه
وآله» إلى غزوة تبوك، وكنت على خدمته، فنظرت إلى نحيي السمن قد قل ما
فيه، وهيات للنبي «صلى الله عليه وآله» طعاماً فوضعت النحيي في الشمس،
ونمت فانتبهت بخير النحيي، فقممت فأخذت رأسه بيدي.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ورآني: «لو تركته لسال الوادي سمناً»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٠ عن أبي نعيم، والطبراني، ودلائل النبوة لأبي
نعيم (١٥٥٠) وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١٧.

.....

..

:

الفصل التاسع:

رسائل.. وأجوبتها

رسائل بين النبي ' وقيصر:

قالوا: لما وصل رسول الله «صلى الله عليه وآله» تبوك كان هرقل بحمص - وقيل: بدمشق - ولم يكن يهتّم بالذي بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنه من جمعه، ولا حدثته نفسه بذلك..

وعن أبي بكر بن عبد الله المزني قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من يذهب بهذا الكتاب إلى قيصر وله الجنة»؟ فقال رجل: وإن لم يقبل؟

قال: وإن لم يقبل.

فانطلق الرجل فأثاه بالكتاب^(١).

ونص كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لقيصر هو التالي:

من محمد رسول الله إلى صاحب الروم: إني أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم، فإن لم تدخل في الإسلام

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٧ عن الحارث بن أسامة، والمعجم الكبير للطبراني ج ١٢ ص ٤٤٢ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٠٦ وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٢٠٢ وصحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٣٥٧ وموارد الظمان ج ٥ ص ٢١٨.

فأعط الجزية، فإن الله تبارك وتعالى يقول: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} ^(١).
وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه، وأن يعطوا
الجزية ^(٢).

فقرأه فقال: اذهب إلى نبيكم، فأخبره أني متبعه، ولكن لا أريد أن أدع
ملكي.

وبعث معه بدنانير إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فرجع، فأخبره،

(١) الآية ٢٩ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٧ عن الحارث بن أبي أسامة والمعجم الكبير
للطبراني ج ١٢ ص ٤٤٢ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٠٦ وراجع: مكاتيب الرسول
ج ٢ ص ٤١٠ و ٤١١ وأشار إلى المصادر التالية: الأموال لأبي عبيد ص ٢٢ وفي
(ط أخرى) ص ٣٢ رواه بإسناده عن عبد الله بن شداد، ورسالات نبوية
ص ١١٧/٣١٣ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٤٧ عن جمهرة رسائل العرب،
ومجموعة الوثائق السياسية ص ١١٠/٢٧ عن الأموال، وسنن سعيد بن منصور
ج ٢ ص ١٨٧ وصبح الأعشى ج ٦ ص ٣٦٣ و ٣٧٧ والمطالب العالية ج ٤
ص ٢٢٣١/٢٤٧٩ عن الحارث بن أبي أسامة، وقال: انظر مجلة المعارف شهر
يونيو ١٩٣٥ م ص ٤١٦ - ٤٣٠) وراجع نشأة الدولة الإسلامية ص ٢٩٩ و
٣٠٠ (عن أبي عبيد والقلقشندي ومحمد حميد الله) وراجع أيضاً: ص ٧١٣.
وأوعز إليه الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٣٧٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٥ وابن
عساكر ج ١ ص ١١٣ و ١١٤ ودحلان (هامش الحلبي) ج ٢ ص ٣٧٤. ومجمع
الزوائد ج ٥ ص ٣٠٧ وقال: «رواه الطبراني ورجاله صحيح».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كذب»، وقسم الدنانير^(١).
وعن سعيد بن أبي راشد قال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله
«صلى الله عليه وآله» بحمص، وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ المائة أو قُرْبَ،
فقلت: ألا تحدثني عن رسالة رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى هرقل؟
فقال: بلى، قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» تبوك، فبعث دحية
الكلبي إلى هرقل، فلما أن جاء كتاب رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله»
دعا قسيسي الروم وبطارقتها، ثم أغلق عليه وعليهم الدار.
فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل يدعوني إلى ثلاث
خصال: أن أتبعه على دينه، أو أن أعطيه مالنا على أرضنا، والأرض أرضنا،
أو نلقي إليه الحرب. والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذن

(١) صحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٣٥٨ وموارد الظمآن ج ٥ ص ٢١٨ وسبل الهدى
والرشاد ج ٥ ص ٤٥٧ وبغية الباحث عن مسند الحارث ص ٢٠٢ وراجع:
مكاتب الرسول ج ٢ ص ٤١٠ و ٤١١ وأشار في هامشه إلى المصادر التالية:
تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٢ وفي (ط أخرى) ص ٦٧ وأشار إليه الحلبي ج ٣
ص ٢٧٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٦٧ والدلائل للأصبهاني ص ٢٩٢
والبحار ج ٢٠ ص ٣٧٩ و ٣٩٥ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٨/١١١ عن
اليعقوبي، وعن منشآت السلاطين لفريدون بك ج ١ ص ٣٠ وقال: قابل السهيلي
ج ٢ ص ٣٢٠ ومسند أحمد ج ٣ ص ٤٤٢ وج ٤ ص ٧٤ ودلائل النبوة للبيهقي
ج ١ ص ١٦٦. والطبقات الكبرى ج ١ ق ٢ ص ١٦ وفي فتح الباري ج ١ ص ٤٢
«ذكر السهيلي أنه بلغه أن هرقل وضع الكتاب في قسبة من ذهب تعظيماً له وأنهم
لم يزلوا يتوارثونه..» وراجع الأموال ص ٣٦٢.

أرضنا، فهلهم فلتتبعه على دينه، أو نعطه مالنا على أرضنا.
فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا: تدعونا أن
نذر النصرانية، أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟
فلما ظن أنهم إذا خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رقاهم ولم يكد،
وقال: إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم^(١).
ثم دعا رجلاً من عرب تحيب كان على نصارى العرب، قال: ادع لي
رجلاً حافظاً للحديث، عربي اللسان، أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه.
فجاءني، فدفع إلي هرقل كتاباً، فقال: اذهب بكتابي هذا إلى هذا الرجل،
فما سمعته من حديثه، فاحفظ لي منه ثلاث خصال: هل يذكر صحيفته التي
كتب إلي بشيء؟
وانظر إذا قرأ كتابي هذا هل يذكر الليل؟
وانظر في ظهره هل فيه شيء يريبك؟
قال: فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوكاً، فإذا هو جالس بين ظهري
أصحابه محتباً على الماء، فقلت: أين صاحبكم؟

(١) حياة الصحابة ج ١ ص ١٠٦ و ١٠٧ عن عبد الله بن أحمد، وأبي يعلى، وراجع:
تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٢ ص ٦٥١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٧ و
٢٦٨ وج ٥ ص ١٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ٢٠ وتهذيب تاريخ
ابن عساكر ج ١ ص ١١٤ وفتح الباري ج ١ ص ٤١ ومجموعة الوثائق السياسية
ص ٢٨/١١٢ - ألف ب. وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٣٩٢ ومجمع
الزوائد ج ٨ ص ٢٣٥. وراجع: مسند أحمد ج ٣ ص ٤٤٢ و السيرة النبوية لابن
كثير ج ٤ ص ٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٨.

قيل: ها هو ذا.

قال: فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه، فناولته كتابي، فوضعه في حجره، ثم قال: «ممن أنت»؟

فقلت: أنا أخو (أحد) تنوخ.

فقال: «هل لك في الإسلام، الحنيفية، ملة أبيك إبراهيم»؟

فقلت: إني رسول قوم، وعلى دين قوم، [لا أرجع عنه] حتى أرجع إليهم.

فضحك، وقال: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} ^(١).

يا أخا تنوخ، إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه، والله ممزقه وممزق ملكه، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فمزقها، والله ممزقه وممزق ملكه.

وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير.

قلت: هذه إحدى الثلاث، التي أوصاني بها صاحبي، فأخذت سهماً من جعبتي، فكتبتها في جفن سيفي.

ثم ناول الصحيفة رجلاً عن يساره، قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟

قالوا: معاوية.

فإذا في كتاب صاحبي: تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض

(١) الآية ٥٦ من سورة القصص.

أعدت للمتقين، فأين النار؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سبحان الله أين النهار إذا جاء الليل».

قال: فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جفن سيفي، فلما فرغ من قراءة كتابي قال: «إن لك حقاً، وإنك لرسول، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها، إنا سفر مرملون».

قال قتادة: فناداه رجل من طائفة الناس قال: أنا أجوزه، ففتح رحله، فإذا هو بحلة صفورية، فوضعها في حجري.

قلت: من صاحب الجائزة؟

قيل لي: عثمان.

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أيكم ينزل هذا الرجل؟» فقال فتى من الأنصار: أنا.

فقام الأنصاري وقمت معه، حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «تعال يا أخا تنوخ».

فأقبلت أهوي حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه، فحل حبوته عن ظهره وقال: «ها هنا امض لما أمرت له».

فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم النبوة في موضع غضروف الكتف، مثل المحجمة الضخمة^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٨ عن أحمد وأبي يعلى، وقال في هامشه: قال الحافظ ابن كثير ج ٥ ص ١٦: هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به، تفرد به =

قال محمد بن عمر: فانصرف الرجل إلى هرقل، فذكر ذلك له.
فدعا قومه إلى التصديق بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فأبوا حتى خافهم
على ملكه، وهو في موضعه بحمص لم يتحرك ولم يزحف، وكان الذي خبر
النبي «صلى الله عليه وآله» من تعبئة أصحابه، ودنوه إلى وادي الشام لم يرد
ذلك ولا هم به^(١).

= الإمام أحمد. ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٤١٥ و ٤١٦ وأشار في هامشه إلى
المصادر التالية: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٠ والسيرة النبوية لزيني دحلان (بهامش
الحلبية) ج ٣ ص ٧٠ وإعلام السائلين ص ١٩ ورسالات نبوية ص ٢٧٨ وأعيان
الشيعة ج ٢ ص ١٤٢ وفي (ط أخرى) ج ٢ ص ٢٤٤ وجمهرة رسائل العرب،
والخطط للمقريزي ج ١ ص ٢٩ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٤٢ والمواهب اللدنية
للقسطلاني ج ١ ص ٢٩٢ وج ٣ ص ٣٩٧، ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣٠٤ عن
فتوح مصر (ط ليدن) ص ٤٦، ومجلة الهلال أكتوبر سنة ١٩٠٤ م، وصبح الأعشى
ج ٦ ص ٣٥٨ - ٣٦٦ و ٣٧٨ وزاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ٦١ ونصب الراية
للزيلعي ج ٤ ص ٤٢١ وراجع: الإصابة ج ٣ ص ٥٣١ ودائرة المعارف لوجدي ج ٩
ص ٣١٧ وشرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٣٤٧ وتأريخ الخميس ج ٢ ص ٣٧
ولغت نامه دهخدا ج ٤٣ ص ٩٥٥ وصبح الأعشى ج ٦ ص ٣٦٤ والمصباح المضيء
ج ٢ ص ١٢٩ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٤٩/١٠٥ ورسالات نبوية، وإعلام
السائلين، ومفيد العلوم للقزويني، وحسن المحاضرة للسيوطي، ونصب الراية
للزيلعي، وصبح الأعشى، والبيهقي، والمنفلوطي، ومنشآت السلاطين لفريدون
بك، وشرح المواهب للزرقاني، والحلي وغيره.
(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٩ عن الواقدي، والبحار ج ٢١ ص ٢٥١ وتاريخ
مدينة دمشق ج ٢ ص ٣٧ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٦١ ج ٩ ص ٢٦٤.

وذكر السهيلي: أن هرقل أهدى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هدية
فقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» هديته، وفرقها على المسلمين^(١).
ثم إن هرقل أمر منادياً ينادي: ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه،
فدخلت الأجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله، فأرسل إليهم: إني
أردت أن أختبر صلابتكم في دينكم، فقد رضيت عنكم، فرضوا عنه.
ثم كتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً مع دحية يقول فيه:
إني معكم، ولكنني مغلوب على أمري، فلما قرأ رسول الله «صلى الله عليه
وآله» كتابه قال: «كذب عدو الله، وليس بمسلم بل هو على نصرانيته».
ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات:

نص الراوندي:

قد روى الراوندي: هذا الحديث باختلاف ظاهر عما ذكرناه آنفاً، ففيه:
أن رسول قيصر كان رجلاً من غسان، وأن الثلاث التي أمره أن يحفظها
هي: من الذي يجلس على يمين النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلى أي شيء
يجلس، وخاتم النبوة.

فوجد الغساني رسول الله «صلى الله عليه وآله» جالساً على الأرض،
وكان علي «عليه السلام» على يمينه، ونسي الغساني الثالثة، فقال له «صلى الله
عليه وآله»: تعال، فانظر إلى ما أمرك به صاحبك، فنظر إلى خاتم النبوة..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٩ وج ١١ ص ٣٥٦.

.....
:
فعاد الغساني إلى هرقل، فأخبره بما رأى وجرى، فقال: «هذا الذي بشر به عيسى بن مريم، أنه يركب البعير، فاتبعوه، وصدقوه». ثم قال للرسول: أخرج إلى أخي، فاعرض عليه، فإنه شريكى في الملك.. فقلت له: فما طاب نفسه عن ذهاب ملكه^(١).

وليس في الرواية: أن ذلك قد حصل في تبوك، بل فيها ما يدل على خلاف ذلك، فإن ذكر أمير المؤمنين «عليه السلام» يدل على أن ذلك كان في المدينة، لأنه «عليه السلام» لم يكن مع النبي «صلى الله عليه وآله» في تبوك، لأنه خلفه في المدينة..

ولعل الرواة قد خلطوا بين ما حصل في تبوك من مراسلات، وبين ما حصل في المدينة قبل ذلك، حين راسل «صلى الله عليه وآله» الملوك ومنهم قيصر الروم.

على أن لنا أن نحتمل: أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتب إلى ملك الروم، ثم جاء جوابه مع دحية إلى تبوك، ثم جاء رسوله الآخر، وهو ذلك الرجل التنوخي إلى المدينة، ولكن الرواة قد تعمدوا أو اجتهدوا، فذكروا تبوك دون المدينة..

لماذا ضمان الجنة؟!

وقد ضمن النبي «صلى الله عليه وآله» الجنة لمن حمل رسالته إلى ملك الروم.. ولعل هذا يشير إلى أن الناس كانوا يشعرون بخطر عظيم من التوغل

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٠٤ والبحار ج ٢٠ ص ٣٧٨ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٥٣٢.

في بلاد الروم، ويرون أن من الصعب جداً وصول الرسول إلى هرقل حياً. وحتى لو وصل إليه، فإن خطر أن يأمر ذلك الطاغية الغاضب والханق بقتل الرسول قائم، وجدي، لا سيما وأن مرسل الرسالة هو قائد هذا الجيش العظيم الذي يقف على مشارف بلاده، ويخشى أن ينقض عليها، وينقض ملك ذلك الجبار، وربما ينتهي الأمر بقتله، والتعجيل بروحه إلى النار..

فلأجل ذلك كان ثمن الدخول في هذا الخطر العظيم والجسيم هو الجنة، إذ لا شيء سواها يمكن أن يطمع به من يعرض نفسه للقتل..

غير أن لسائل أن يسأل هنا فيقول: إذا كان الله يطلع نبيه على الغيب فلماذا لم يسترشد النبي «صلى الله عليه وآله» من ربه سبحانه، ويستأذنه بإعلام هذا الرسول بنجاته من شر هرقل، ومن شر الروم كلهم.. ويدفع بذلك الخوف عنه، ويكون من ثم أكثر ثباتاً وإقداماً؟!

ولنا أن نجيب: بأنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يعود أصحابه على هذه الطريقة في التعامل مع الأمور، ومواجهة قضاياهم.. أي أنه لا يريد لهم أن يتكلوا على الغيب إلى هذا الحد، فإن سلبات هذه الطريقة كثيرة وخطيرة، إذ هي تؤدي:

أولاً: إلى حرمانهم من ثواب الجهاد في سبيل الله، وقصد القربة، وثواب الخوف والتغرب، وحمل النفس وتوطئتها على مواجهة الضرر والخطر..

ثانياً: إن ذلك يجعلهم إتكاليين في مواجهاتهم، ويسلب منهم روح الإبداع والخلاقية، ويمنعهم من التدبر في الأمور ومن التدبير الصحيح والسليم..

ثالثاً: إنه إذا مست الحاجة إلى ارتكاب المخاطر حتى الاستشهاد، وكان

العمل بالإستناد إلى الغيب، الذي يحتم تعريف الناس بمآل الأمور، فقد لا نجد أحداً يقدم على ذلك باختياره، وسيظهر الفشل، وتحل الكارثة، إما بسقوط الهكيل على رؤوس الجميع، وإما بالخسران في الآخرة.

رابعاً: إن ذلك قد يخترن في داخله نزاعات، واعتراضات، وانقسامات، وعداوات، وتشكيكات في المعصوم، تخرج الناس من الدين، وتؤدي بهم إلى الردة، وإلى تركه ليوافقه وحده المحنة والشدة.

بقي أن نشير إلى أن ذلك الذي تبرع بحمل الرسالة طمعاً بالجنة، كأنه تخيل أنه لا يكون له ما وعده به رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا إذا استجاب هرقل إلى دعوة النبي «صلى الله عليه وآله» وقبل الإسلام..

فجاءه الجواب: أن المطلوب منه هو مجرد إيصال الرسالة، وأن ذلك يكفي لاستحقاق ما وعده به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

إذا جاء الليل أين يكون النهار؟!

وقد أجاب «صلى الله عليه وآله» على السؤال عن مكان النار بقوله: إذا جاء الليل فأين يكون النهار؟!

وهو كلام في غاية الدقة والأهمية، حيث إنه يتضمن حقيقة علمية لم تكتشفها الأمم إلا في العصور المتأخرة، حيث أشار «صلى الله عليه وآله» إلى كروية الأرض، لأن الليل إذا كان من جهة الأرض، فإن الجانب الآخر يكون هو المقابل للشمس، ويكون النهار في ذلك الجانب..

بل هو يترقى إلى ما هو أهم من ذلك، حيث يقرر أيضاً: أن هذه المجرة السابحة، أو حتى منظومة المجرات نفسها السابحة في الكون ربما تكون

جميعها ككومة من حبات عنب، منظومة في عنقود أو بدونه، إن هذه المجرات التي ربما تكون في حالة اتساع مستمر على قاعدة: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} (١). فإن الجنة إذا كانت في جهة من هذه المجرة، أو منظومة المجرات، فلتكن النار في الجهة الأخرى، فإن ما يسبح في الفضاء أي جهة من جهاته توازي الجهة الأخرى، وتقابلها تماماً كما يكون الليل في جهة من الأرض السابحة في الفضاء والنهار في الجهة الأخرى.

توضيحات لا بد منها:

إن الألفاظ إنما وضعت لمعانٍ يدركها الإنسان وهي بالدرجة الأولى المعاني المحسوسة، بالبصر أو السمع أو اللمس.. ثم المعاني القريبة من الحس، كالكرم، والشجاعة، والعدالة والغضب وغير ذلك مما يرى دلائله، ويحس بآثاره. ثم هو يرگب من هذه وتلك معاني جديدة، ويستفيد منها في الإنتقال إلى ما هو أدق وأغرب.

ولكن القرآن يريد أن يوصل للإنسان معاني أسمى وأعظم مما يخطر على باله، أو يمر في خياله.

وقد احتاج إلى أن يضعها في قوالب لفظية، كانت قد وضعت لمعان مبتذلة وعادية، وقريبة ومحدودة؛ فكان عليه أن يتوصل لإيصال الإنسان إلى تلك المعاني العالية بالمجازات والكنيات، والاستعارات، واستعمال تراكيب مختلفة، وإشارات وتلميحات، ومختلف أنواع الدلالات.

(١) الآية ٤٧ من سورة الذاريات.

فحين أراد مثلاً بيان حجم الكون..
قال أولاً: هناك سماء وأرض، والسماء مأخوذة من السمو، وهو العلو..
ثم قال: هناك سماء دنيا، وهي القرية الدانية، وهناك سماوات عُلَى.
ثم ذكر: أن السماوات سبع.

ثم قال: إن جميع ما نراه من نجوم يسطع نورها، فإنما هو في السماء الدنيا، فقال تعالى: {وَرَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} ^(١).

وحيث إنه قد يفهم من ذلك: أن هذا يختص بالنجوم التي تظهر في الليل، لأن المصابيح تكون في الظلمة، عاد فذكر في آية ثانية ما يفيد التعميم لكل كوكب حتى للشمس التي تطلع في النهار، فقال: {إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ} ^(٢).

أو لعل كلمة «المَصَابِيحَ» توهم الاختصاص بما يكون نوره نابعاً من ذاته، كما هو الحال في المصباح، فلا يشمل ما كان نوره مكتسباً من غيره، فجاءت الآية الثانية لتفيد الشمول إلى كل ما يضيء، سواء أكان في الليل أم في النهار، حيث عبرت بكلمة «الْكَوَاكِبِ» ثم جاء التعبير بـ «الزينة» ليشير إلى أن هناك رؤية وتلذذاً، وإدراكاً لهذه الحالة الجمالية «الزينة».

وإذا رجعنا إلى ما لدينا من معلومات، فسنجد: أنهم يقولون: إن هناك كواكب لم يصل نورها حتى الآن إلينا. وإن هناك كواكب يحتاج نورها إلى ملايين السنين الضوئية ليصل إلينا، ثم هم يقولون: إن الضوء يقطع ما

(١) الآية ١٢ من سورة فصلت والآية ٥ من سورة الملك.

(٢) الآية ٦ سورة الصافات.

يقارب الثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية.

فإذا ضممنا ذلك كله بعضه إلى بعض، وعلمنا: أنه كله في السماء الدنيا، فسندرك: أن حجم هذه السماء لا يمكن أن يناله وهم أو خيال.. فكيف إذا جاء الحديث ليقول لنا: إن السماء الدنيا بالنسبة للثانية كحلقة ملقاة في فلاة. وإن السماء الثانية بالنسبة للثالثة كذلك.. وهكذا السماوات السبع في الكرسي كذلك، والكرسي بالنسبة للعرش كذلك.. كما أن الله تعالى قد قال: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} ^(١). وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} ^(٢). وصرح أيضاً بقوله: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} ^(٣).

وقال تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} ^(٤).

وذلك كله يظهر لنا: أن القمر الذي يبعد عن الأرض أقل من ثانية ونصف بحسب مسيرة الضوء، لا يعد بعيداً، بل هو أقرب من قريب.. وكذلك سائر الكواكب التي يفكر الإنسان بالوصول إليها كالمرخ والزهرة ونحوها، ولا يعد هذا البعد شيئاً ذا بال في حساب مسافات السماء الدنيا، فضلاً عن السماوات العلى..

هذا وقد ذكرت الآية الشريفة: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ

(١) الآية ٣ من سورة الملك.

(٢) الآية ١٥ من سورة نوح.

(٣) الآية ٤ من سورة المعارج.

(٤) الآية ٤٧ من سورة الذاريات.

.....
:
أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ {^(١)،
أن الإنسان قادر على اختراق أقطار السماوات والأرض كلها، والخروج من
دائرتها إلى عالم جديد، لأنه تعالى قد حدد للإنسان طبيعة المانع، وسماه له،
وأخبره أنه إن تغلب عليه فسيتمكن من الخروج من جميع جهات السماوات
والأرض، لا من جهة واحدة وحسب، ولذلك قال «مِنْ أَقْطَارٍ».

فمن وصل إلى القمر لا يكون قد خرج من دائرة السماوات، أو
اخترقها من أقطارها وجوانبها المختلفة، بل يكون في بداية انطلاقته إلى
مسافات تحتاج إلى مليارات المليارات التي لا تنتهي من السنين الضوئية،
ليقترب حتى من بعض الكواكب البعيدة نسبياً في السماء الدنيا، فضلاً عن
غيرها من السماوات..

وبعد كل هذا الذي ذكرناه من حقائق مثيرة وعظيمة وهائلة نقول:
لا شك في أن الأرض واقعة في محيط السماء الدنيا، في هذه المجرة،
ولكن أين هي السماوات السبع، والكرسي، والعرش، وسدرة المنتهى؟!
وكيف يكون موقعها بالقياس إلى الأرض؟!

هل تكون مثل طبقات البصلة التي يحيط بعضها ببعض؟!
أم هي منظومات هائلة من المجرات المختلفة.. يقع بعضها إلى جانب
البعض الآخر، على نحو الاستطالة، أو الاجتماع المنتظم في صعيد واحد..
أو التفرق غير المنتظم؟!..

إن تحديد ذلك كله لا يدخل في نطاق قدراتي شخصياً، ولا أدري إن

كان ثمة من يستطيع أن يعطي تصوراً حاسماً في هذا المجال، سوى الإمام المهدي المعصوم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين.. غير أن من المقطوع به: أن السماء الدنيا محيطة بالأرض، وبكل ما يقع في داخلها.. ولكن إحاطتها لا تعني استدارتها في مجموع تكوينها.. كما أن موقعها بالنسبة إلى سائر السماوات لا يمكن تحديده كم أسلفنا. وقد ظهر من جميع ما تقدم: أن مجموع السماوات والأرض وكل ما تحويه من مجرات إن هي إلا ساحة في الفضاء، وهو محيط بها من كل جانب.

لم تحدثه نفسه بشيء:

تقدم: قولهم إن هرقل لم يكن يهمل بالذي بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» عنه، ولا حدثته نفسه بذلك.. ونقول: إننا قد نقبل من هؤلاء أن يقولوا: إن فلاناً لم يفعل الشيء الفلاني، لأن المعرفة بصدور ذلك منه أو عدم صدوره قد تكون متيسرة في كثير من الأحيان، ولا سيما إذا كان ذلك الأمر جمع الجيوش، والتهيؤ للحرب، وغير ذلك من الأمور التي لا تخفى عادة. ولكننا لا نقبل من أحد أن يقول لنا: إن فلاناً لم يهمل بالأمر الفلاني، لأن الهمم بالشيء فعل قلبي قد تصاحبه بعض الحركات باتجاه ما يهمل به، وقد يخلو عنها.

وأما أن يقول قائل لنا: إن فلاناً لم تحدثه نفسه بالشيء الفلاني، فذلك ما لا يمكن قبوله من أحد إلا من نبي، أو وصي نبي، لأنه قول يستبطن العبث بنا، والإستخفاف بعقولنا، وهذا ما لا نرضاه لأنفسنا، لأنه من إنسان لم

.....
: يطلعه الله على غيبه، ولا أوقفه على ما يكنه ضمائر عباده.

صاحب الروم.. وعظيم الروم:

وقد عرفنا فيما سبق حين الكلام حول مراسلات النبي «صلى الله عليه وآله» لملوك الأرض في سنة ست: أنه «صلى الله عليه وآله» كتب إلى ملك الروم بعنوان: «إلى عظيم الروم» وكتب إليه في تبوك بعنوان: «صاحب الروم».

ولا ندري هل هذا هو نفس الملك السابق، أم أن ذاك قد مات أو عزل، وحل محله ملك آخر احتاج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الكتابة إليه، كما كان الحال بالنسبة للنبي «صلى الله عليه وآله» مع ملك الحبشة؟
غير أن ما رأيناه في الحالتين: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يخاطبه بصفة «ملك»، ربما لكي لا يتوهم أحد أن ذلك يمثل إقراراً من نبي لا ينطق عن الهوى بالملك له، ثم يشيعون: أن هذا يثبت له حقاً منحه الله تعالى إياه، ويتخذ ذلك ذريعة لخداع السدج والبسطاء من الناس.

بين هرقل وفرعون:

ولا شك في أن رسالة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى هرقل كانت في غاية الدقة. وهي رسالة هادئة وحازمة، وقد راعت أهداف الإسلام، من دون أن تعطي ذلك الطاغية أية ذريعة للتمرد، أو اللامبالاة، كما أنها لم تخل بشرط الاختيار، والحرية لطاغية الروم، فقد خيره بين أمور لم يذكر له الحرب، ولا إبرام العهد..

ولكن هرقل تخلص أولاً من دحية الكلبي بكذبة كان يعرف أنها لا

تنفع مع النبي «صلى الله عليه وآله»، حين زعم له أنه قد أسلم.
ثم هياً رسولاً آخر، يستطيع أن يأتيه بالمعلومات التي يحتاج إليها،
ولكنه على ما يظهر أراد أن يطمئن إلى ولاء قومه، وطاعتهم له.. فعقد
جلسة مع قسيسي الروم وبطارقتها وأخبرهم بالخيارات التي كتب بها إليه
رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد بهرج الكلام بحيث أثار حفيظتهم،
وأيقظ عنجهيتهم الدينية أولاً، حين وضعهم وهم بطارقة وقسيسون أمام
خيار قبول الإسلام، والحال أنهم يرون أن كل ما لديهم هو نتيجة الالتزام
بالنصرانية، والتسويق لها، فالتخلي عنها معناه الخسارة لكل شيء.

فلم يبق أمامهم إلا خيار قبول الجزية أو والسياف، وقد عرض عليهم
إعطاء الجزية بصورة تحريضية على الرفض، من خلال ما يثيره فيهم من
شعور بالمظلومية.. حيث قال لهم: «أو أن أعطيه مالنا، والأرض أرضنا».

ثم إنه قد صعد من لهجته التحريضية، التي تسوقهم إلى المقاومة
بشراسة وبقسوة حين قال لهم مرة أخرى: «ليأخذن أرضنا».

ثم قال لهم ثالثة: «فلتبعه على دينه، أو نعطه مالنا على أرضنا»..
ويذكرنا هذا الأسلوب بما فعله فرعون «لعنه الله» في مواجهة موسى
«عليه السلام»، وذلك حين كان الحوار يجري بينهما لإبطال ادعاء فرعون
للألوهية، فأظهر الله تعالى المعجزة على يد موسى «عليه وعلى نبينا وآله
السلام»، بانقلاب العصا إلى ثعبان، وظهور يده البيضاء، لكن فرعون {قَالَ
لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ: إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ..} (١).

(١) الآيتان ٣٤ و ٣٥ من سورة الشعراء.

ثم أكد لهم ذلك بإعلانه خروجه عن دائرة الصراع، وإيكال أمر اتخاذ القرار في حق موسى «عليه السلام» إليهم، لأن الأمر يعينهم، والقضية قضيتهم، وهو إنما كان يساعدهم على درء الخطر فقال لهم: {فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟} (١). وقد جاءت النتائج وفق ما خطط له قيصر، فقد «نخروا نخرة رجل واحد، حتى خرجوا من برانسهم، وقالوا: تدعوننا أن نذر النصرانية، أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز»؟ فلما اطمأن إلى أنه قد نال ما أراد بادر إلى استيعابهم من جديد، فطمأنهم إلى أنه إنما أراد أن يختبرهم، ويقف على مدى صلابتهم.

ذهاب ملك النجاشي:

قد يعترض على النصوص المتقدمة بأنها تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قال لرسول ملك الروم: «وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فمزقتها، والله مزقه ومزق ملكه».

مع أن الروايات تقول: إن النجاشي أسلم على يد جعفر بن أبي طالب، وإنه قد مات في حياة النبي «صلى الله عليه وآله». فصلى عليه النبي «صلى الله عليه وآله»، بعد أن رفع الله له كل خفض، وخفض له كل رفع، حتى رأى جنازته أمامه..

والجواب: أن هذا الذي مات اسمه أصحمة، وليس هو المقصود بكلام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل المقصود هو الذي تولى بعده،

(١) الآية ٣٥ من سورة الشعراء.

ويقال له «النجاشي» أيضاً، لأن هذه الكلمة هي لقب ملك تلك البلاد كما يقال: كسرى وقيصر لملكَي الروم والفرس..

مؤتة هي القوة الرادعة:

ونعتقد: أن ما جرى في مؤتة على يد القادة الثلاثة الذين استشهدوا كان له أكبر الأثر في قرارات هرقل، وكل بطارقه وأعوانه، فقد رأيناه مذبذباً يسعى إلى التملص، والتخلص من المواجهة، فيزعم للنبي «صلى الله عليه وآله» في بادئ الأمر أنه على دينه، ويرسل إليه هدية..

ثم يرسل له رسالة أخرى، يحاول فيها أن يطرح بعض الأسئلة، ربما بهدف تسويق الوقت، وعدم إفساح المجال لإلزامه بشيء..

ولكن ما لا بد من الوقوف عنده ملياً هو: أن قيصر كان لا يزال يعيش نشوة النصر على كسرى قبل نحو ستين، ويرى نفسه أنه يملك نصف الدنيا، وكانت حتى بلاد الشام، وفلسطين والأردن، وسواها من بلاد العرب خاضعة لسلطانته، وتدين بالولاء له.

وكان يستطيع أن يزحف بمئات الألوف من الجيوش المجهزة بأفضل الأسلحة، لمواجهة بها عربياً يعيش في صحراء الحجاز، لا يملك من المال ما يهيء به نعالاً لجيشه الذي يريد أن يخترق به تلك الصحراء الشاسعة ليتقي بها ذلك الجيش حر الرمضاء، فيضطر الكثيرون منه إلى قطع تلك المسافات مشاة وحفاة.

إن هرقل هذا لا يجرؤ على التفوه بكلمة «لا» أمام دعوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» له، رغم أنه يدعو وقومه إلى إعطاء الجزية عن يد

وهم صاغرون..

ولم يحدث في تاريخ طواغيت الأرض وعتاتها أن تأتي عساكر أعدائهم لتقف على تخوم بلادهم، وهي ثلة قليلة العدد ضعيفة العدد، ثم يسكتون ولا يحركون ساكناً، وكأن شيئاً لم يكن، مع قدرتهم على تجنيد عشرة أضعاف ذلك العدو بأفضل عدة، وأتم وأوفى عدد!!

بل تراه يتحایل على ذلك العدو، ويرسل له بالهدايا، وبالكلمات المعسولة، حتى إنه ليدّعي - كاذباً - الإنقياد له، والقبول به، والتبعية والطاعة لكل ما يأمر به وينهى عنه.

ثم يتبع ذلك بما يشير إلى أنه بصدد التأكد من أمر النبوة، وأنه يبحث عن الحقيقة، لكي يسلب منه القدرة على التصميم على مهاجمته، وليخرجه في قرار المضي بالحرب معه، أو في التوغل في بلاده، لو أنه فكر في ذلك، لأنه كان يعلم أنه لا يمكن للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يتخذ قراراً كهذا في حق من يظهر أنه يبحث عن الحق، ويتلمس دلائله..

والذي يبدو لنا: هو أن سبب هذا الإستخذاء من هرقل، ومن أصحاب القرار في مملكة الروم هو ما جرى في مؤتة..

فهي قد عرفت قيصر، ومن معه: أن الأمر في أية مواجهة مع هذا النبي الكريم «صلى الله عليه وآله»، سيكون بالغ الخطورة، إن لم نقل: إنهم كانوا على يقين من أنه لن يأتي لهم بغير الخزي والعار، والذل والصغار، والهزيمة النكراء، والفضيحة الصلعاء..

إذ إن مئات الأولوف التي جاء بها قيصر إلى حرب مؤتة قد واجهت ثلاثة آلاف فقط من المسلمين، وكان من المتوقع: أن يسقط أكثر المسلمين

صرعى في أول ساعة بل في الدقائق الأولى من المعركة، حيث لا بد أن تتناهبهم سيوف ورماح مئات الألوف من الرجال، إن لم نقل: إن الحجارة كانت تكفيهم، لتبيد جميع أعدائهم وتفنيهم..

ولكن ما حصل كان نقيض ذلك، فإن الحرب لم تنته في اللحظات الأولى، بل طالت ربما لأيام، ولم يسقط فيها من الشهداء سوى عدد ضئيل جداً، لا يتجاوز السبعة أشخاص، كان القادة الثلاثة منهم، ولولا الهزيمة التي فرضها عليهم خالد بن الوليد، فلربما بلغ السيل الزبى، والحزام الطيين.. والذين قتلوا من غير القادة لعلمهم قتلوا بعد فرار خالد بالمسلمين، أو على الأقل لا يمكن تأكيد قتلهم في ساحة المعركة قبل ذلك.. وقد كان هذا، والحال أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن معهم.. فلو كان «صلى الله عليه وآله» معهم، فكيف ستكون عليه الحال والمآل..

ولعل قيصر وأهل الروم قد سمعوا بمعاقة النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين للعائدين من مؤتة، حتى لقد حثوا في وجوههم التراب، واستقبلوهم بما يكرهون، وقد قاطعهم وعاداهم أهلهم وذووهم وإخوانهم، وحتى نساؤهم ومحبوهم.. ولم يقل لهم أحد: «الحمد لله على سلامتكم»..

وها هو قيصر يرى عشرة أضعاف الثلاثة آلاف، ومعهم قائدهم، ورائدهم وسيدهم الذي يقدسونه، ويفدون به بأنفسهم، فأى جيش يمكن أن يواجه هؤلاء وينتصر عليهم، ولذلك اتخذ قرار الخداع دون الإنصياح، والمخاتلة والمماطلة، بديلاً عن المواجهة والمقابلة..

ولا يبعد أن حصول هرقل على أخبار إلهية من كتب سماوية وصلت إليه تتحدث عن شأن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي اضطره لاتخاذ

الإجراءات التي اتخذها، أو كان عاملاً مؤثراً في ذلك.

الإستكبار الغبي:

وإن أقبح أنواع الإستكبار هو ذلك الذي ينضح بالغباء البغيض المهلك، ويضج بالسماجة المقيتة والمميتة، ولعل استكبار أولئك الأساقفة والبطارقة، والذي وافقهم عليه ملكهم أوضح مثال على ما نقول.. إذ لا معنى لأن يستكبر هؤلاء على نبي يجدونه مكتوباً عندهم في إنجيلهم وتوراتهم، وعلى رجل لا يريد أن يستعبدهم، بل يريد أن يحررهم من عبادة الشيطان، ومن العبودية للأكاسرة والقياصرة، والطواغيت والجبابرة.. ومن أسر الشهوات، وحب الدنيا، وينطلق بهم نحو الله، ليكونوا أحراراً في دنياهم، سعداء في آخرتهم..

ويا ليتهم يقدمون التبرير المقبول والمعقول لذلك، بل ذكروا: أن سبب رفضهم للإنقياد له هو كونه قد جاءهم من الحجاز، معتبريه أعرابياً، والحال أنهم لم يروه، ولم يسمعوا كلامه، ولا شاهدوا معجزته.. وذلك هو الإستكبار السمج والغبي بكل تأكيد، وأغبي منهم من قبل منهم، ورضي عنهم، وانقاد لمشورتهم، مع علمه ببوار حججهم، وفيال رأيهم.. وهو قيصر بالذات لأن هذا الرجل قد أعلمهم مسبقاً أن هذا الحجازي هو الذي أخبرتهم به كتبهم، وعرفتهم أنه سوف ينتصر عليهم، إن عاجلاً، وإن آجلاً، فما هذه المكابرة، ولماذا المخاطرة؟!.. إذن..

كذب عدو الله، وليس بمسلم:

وقد أتم الله الحجة على قيصر، وأظهر الله تعالى كذبه وخداعه، وأنه

يماطل ويخاتل حين أرسل ذلك التنوخي برسالته إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، لأنها قد دلت على أنه قد كذب فيما قاله لدحية من أنه متبع للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولكن لا يريد أن يدع ملكه، وقد تمت الحجة عليه بما عرفه من كتبهم التي أخبرتهم عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبما بلغه عنه «صلى الله عليه وآله» من معجزات وكرامات وحالات، ثم بما عاينه من صنع الله لنبيه «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك.. ثم بما عاينه مبعوثه، وأخبره به، حيث وجد ذلك المبعوث صحة كل ما أوصاه باستكناهاه، وكشف حقيقته، بدءاً من:

١ - ذكره «صلى الله عليه وآله» لصحيفته، وإخباره بما يجري على كسرى، والنجاشي، وبما يؤول إليه أمر قيصر.. وصولاً إلى:

٢ - إجابته «صلى الله عليه وآله» على سؤاله عن مكان النار والجنة، وانتهاءً بـ:

٣ - مشاهدة مبعوثه خاتم النبوة، بعد أن ذكره النبي «صلى الله عليه وآله» به، إذ قد يظهر أنه كان قد نسيه..

وقد صرح النبي «صلى الله عليه وآله»: بأن قيصراً يكذب فيما يدعيه، فقد قال حين أخبره دحية بما قاله له: «كذب».

ولما قرأ كتابه أيضاً قال: «كذب» «عدو الله» «وليس بمسلم» «بل هو على نصرانيته»..

ورغم ذلك كله، تجد أن المؤرخين يوردون قضية هرقل في سياق يظهر نفس ما كان يريد هرقل أن يخدع به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتصوير أنه مغلوب على أمره، وأنه.. وأنه.. فهل هذا غباء؟! أم أنهم ممن

أضلهم الله تعالى على علم؟! أم الإثنان معاً؟!

رفض التنوخي للإسلام غير منطقي:

وقد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعا ذلك التنوخي للإسلام، فلم يقبل بحجة أنه رسول قوم، وعلى دينهم، ولا يرجع عن دينه حتى يرجع إليهم..

وهي حجة واهية، وغير منطقية، فإن كونه رسولاً لا يمنع من قبول الحق، والالتزام بالهدى الإلهي، ولا سيما بعد أن رأى البيئات بأم عينيه، فقد رأى خاتم النبوة، وسمع إخباره عما فعله قيصر بالصحيفة التي أرسلها إليه، وعما يجري للنجاشي، وكسرى، وسمع وسجل إجابته على السؤال حيث طبقت تلك الإجابة ما أخبره به قيصر الذي أرسله..

وعاين سلوك النبي «صلى الله عليه وآله» وأخلاقه مع الناس عن قرب، حتى إنه لم يستطع أن يميزه من بينهم، حتى احتاج للسؤال عنه، فقال: أين صاحبكم؟ ولم يقل: من هو صاحبكم؟ وكأنه قد ظن أنه غائب، مع أنه يأتي من قبل أحد الملوك، ويعرف كيف يعامل الملوك رعاياهم، وما هي حقيقة تعامل رعاياهم معهم..

هرقل يمنع الفلاحين من الإسلام، ومن الجزية:

وقد ورد في كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» قوله لهرقل: «...والا...»، أي إن لم تدخل في الإسلام، ولم تعط الجزية، «فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه، أو يعطوا الجزية...».

قال أبو عبيد: «لم يرد الفلاحين خاصة، ولكنه أراد أهل مملكته جميعاً،

وذلك أن العجم عند العرب كلهم فلاحون، لأنهم أهل حرث وزرع، لأن كل من كان يزرع، فهو عند العرب فلاح، إن ولي ذلك بنفسه، أو وليه له غيره»^(١).

فهذا الشرط من جهةٍ يتيح للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يتعامل مع الناس مباشرة، من دون تدخل من قبل هرقل. ومن جهة أخرى فإن النبي «صلى الله عليه وآله» في مقابل ذلك يعفي هرقل من الجزية، ومن الحرب..

وذلك من شأنه: أن يمكن النبي الكريم والعظيم «صلى الله عليه وآله» من مخاطبة الناس، وعرض دعوته عليهم، ويكونون هم الذين يقررون الدخول في دينه، أو إعطاء الجزية. إذ إن خيار الحرب ليس هو الخيار المفضل عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل هو خيار يأتي على قاعدة: آخر الدواء الكي، والأمر الأهم بالنسبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هو استعادة حرمة الناس، وكرامتهم، وخياراتهم من ساليبها، حيث إنهم يمنعون الناس حتى من أن يفكروا، ومن أن يعتقدوا، ومن أن يخاطبوا هذا الفريق أو ذاك.

فإذا أراد هرقل أن يميز نفسه عنهم، ويرفض أن يختار لنفسه ما يختارونه لأنفسهم، فذلك شأنه، فإذا كف عن ظلمهم المتمثل بمنعهم من ممارسة حريتهم الفكرية والإعتقادية، فإنه وإن كان الكف عن الظلم واجباً عليه، ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد أن يزيد في إحسانه له

(١) الأموال لأبي عبيد ص ٣٢.

..... :

بالسكوت عن مطالبته بالجزية، والإمتناع عن مواجهته بالحرب..
فظهر مما ذكرناه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أظهر أنه سيكون
رفيقاً بقيصر محسناً إليه، إذا كف قيصر عن ممارسة القهر والظلم لشعبه،
وتخلى عن مصادرة حرياتهم..

حكم الإسلام واحد:

وقد كان الملوك ولا يزالون يميزون أنفسهم عن رعاياهم، ويرون أنه
يحق لهم ما لا يحق لغيرهم.. ولكن حكم الإسلام هو أنه لا فضل لعربي على
أعجمي إلا بالتقوى، ولا فرق بينهم في العبادات، ولا في المعاملات، ولا في
الحقوق، ولا في الحدود..

وعلى هذا الأساس جاء قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» في
رسالته إلى هرقل: «إِن أسلمت فلك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم»،
ولم يقل له: إن أسلمت فلك كذا وكذا من المال، أو أنني أجعلك وزيراً لي،
أو أوليك على البلد الفلاني، أو ما شاكل ذلك..

الخطاب لهرقل دون سواه:

واللافت في هذه الرسالة، وسائر رسائله إلى الملوك: أنه «صلى الله عليه
وآله» يخاطب أولئك الملوك بما هم أفراد، فيميزهم بذلك عن غيرهم من
الناس، فهو لم يكتب لقيصر مثلاً عبارة: أسلموا تسلموا، أو إن أسلمتم
فلكم كذا، وإن امتنعتم، فعليكم كذا، بل قال له هو: أسلم تسلم، وقال:
فإن أسلمت الخ..

وذلك أولاً: لأنه لا يريد أن يعترف له بأنه يمثل أحداً من الناس، حتى

لو كانوا قومه، ومن يعتبرهم هرقل رعية له.

وثانياً: لأنه إن أسلم، فسيلتزم بتعاليم الشريعة التي منها ترك الحرية للناس في أن يختاروا دينهم، وسيعامل معهم وفق ما يختارونه، وسيطبق عليهم أحكام الله، لأن الإيمان والالتزام به، والعمل بمقتضاه، والكفر والجحود هو فعل ومسؤولية الأشخاص، وهم الذين يواجهون آثار وتبعات ما يختارونه من ذلك..

ولكن الملوك يمثلون - في العادة - العقبة الكأداء أمام ممارسة الناس لحقهم، فيحتاج الأمر إلى مخاطبتهم أولاً، من دون أن يكون لهذا الخطاب أي تأثير على حق الرعية.. حسبما أوضحناه..

ملك أيلة، وجربا، ومقنا:

وكان أهل أيلة يهوداً، فلما بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد إلى أكيدر بدومة - كما بيناه في السرايا - أشفق ملك أيلة، يحنة بن رؤبة أن يبعث إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما بعث إلى أكيدر، فقدم على النبي «صلى الله عليه وآله»، وقدم معه أهل جربا وأذرح ومقنا، وأهدى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بغلة^(١).

وعرض عليه «صلى الله عليه وآله» الإسلام، فلم يسلم^(٢).

قال أبو حميد الساعدي: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ابن العلماء، صاحب أيلة بكتاب، فأهدى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٠.

(٢) المغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠٣١ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٤٨٠ عنه.

بغلة بيضاء، وكساه رسول الله «صلى الله عليه وآله» برداً، وكتب له رسول الله «صلى الله عليه وآله» ببحرهم^(١).

وعن الواقدي قال: رأيت يُحَنَّةَ بن رُوْبَةَ يوم أُتِيَ به رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعليه صليب من ذهب، وهو معقود الناصية، فلما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كَفَّرَ (أي وضع إحدى يديه على الأخرى)، وأوماً برأسه، فأوماً إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيده أن ارفع رأسك. وصالح النبي «صلى الله عليه وآله» يُحَنَّةَ يومئذ، وكساه برداً يمينية، فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار، وأمر له بمنزل عند بلال انتهى^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٠ و ٤٦١ عن البخاري، وابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، وقال في هامشه: أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٠١١ (٥٠٣/١٣٩٢).

وراجع: المغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠٣١ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ١١٤ عنه، وراجع: صحيح البخاري ج ٢ ص ١٣٢ وج ٣ ص ١٤١ وج ٤ ص ٦٤ وعمدة القاري ج ٩ ص ٦٤ وج ١٣ ص ١٦٨ وج ١٣ ص ١٧٠ وج ١٥ ص ٨٥ وتحفة الأحوذى ج ٥ ص ١٦٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٠ و ٤٦١ عن الواقدي ومكاتب الرسول ج ٣ ص ١١٤ عن المصادر التالية: البداية والنهاية ج ٥ ص ١٦ و ١٧ (واللفظ له) والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٩٠ وفي (ط أخرى) ج ١ ق ٢ ص ٣٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٠ وزيني دحلان (بهامش الحلبية) ج ٢ ص ٣٧٥ ورسالات نبوية ص ٨٩ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٤٩ عن شرح الزرقاني للمواهب اللدنية ج ٣ ص ٤١٣ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٤٩. ومجموعة الوثائق السياسية ص ٣٢/١١٨ عن جمع ممن تقدم، وعن إمتاع الأسماع للمقرئ ج ١ ص ٤٦٨ =

كتابه ' لِيَحْتَنَ:

قالوا: وقطع رسول الله «صلى الله عليه وآله» الجزية، جزية معلومة، ثلاثمائة دينار كل سنة، وكانوا ثلاثمائة رجل، وكتب لهم بذلك كتاباً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب أمانة من الله تعالى، ومحمد النبي رسول الله ليحنته بن رؤبة وأهل أيلة، لسفنتهم وسائرهم، السارح في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة رسوله «صلى الله عليه وآله»، ولمن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر. ومن أحدث حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر».

هذا كتاب جهيم بن الصلت، وشرحيل بن حسنة، بإذن رسول الله

= و ٤٦٩ وأخرى في القسم الغير المطبوع (خطية كوپرلو) ص ١٠٤٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢٩٧ ومنشآت السلاطين ج ١ ص ٣٤ وشرح الزرقاني ج ٣ ص ٣٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي (خطية كوپرلو) ج ١ ورقة ٢٣ - ب. ثم قال: قابل الطبقات ج ١ ق ٢ ص ٣٧ و ٣٨ وشرح السيرة لإبراهيم الحلبي ورقة ١١٥ - ب، وفتوح البلدان ص ٥٩ والخراج لقدامة ورقة ١٢٤، مخطوطة باريس، ولسان العرب، والمواهب اللدنية ج ٣ ص ١٦٠ والتنبيه والإشراف ص ٢٨٢ والنهاية لابن الأثير مادة جرب، وانظر مجلة تحقيقات علمية في مراجع المكتوب ص ٢٦ (كايتاني) ج ٩ ص ٢٣٩ التعليقة الثانية و (اشپرنكر) ج ٣ ص ٤٢٢ و ٤٢٤ و (اشپرنكر) ص ٤٤ و ٤٥ .

.....
:
«صلى الله عليه وآله»^(١)..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦١ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠٣٢ ونقله العلامة الأحمدي «رحمه الله» في مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٩٧ وراجع ج ٢ ص ٤٨٠ عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٨٩ وفي (ط أخرى) ج ١ ق ١ ص ٣٧ واللفظ له، وتهذيب تأريخ ابن عساكر ج ١ ص ١١٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٨١ وفي (ط أخرى) ص ١٦٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٠ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٦ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٢ ص ٣٧٤ والثقات ابن حبان ج ٢ ص ٩٤ و ٩٥ والأموال لأبي عبيد ص ٢٠٠ وفي (ط أخرى) ص ٢٨٧ ورسالات نبوية ص ٣١٧ والجمهرة ج ١ ص ٤٨ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٢٧ وتأريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٧ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣١٠ ومنشآت السلاطين ج ١ ص ٣٣ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ٤٦٨ وراجع: البحار ج ٢١ ص ٢٤٥ (بهامشه) عن ابن هشام، والمقريزي، وشرح الزرقاني ج ٣ ص ٣٥٩ وفتح الباري ج ٣ ص ٢٧٣ و ج ٥ ص ١٦٩ و ج ٦ ص ١٩١ وعمدة القاري ج ٩ ص ٦٤ - ٧٠ و ج ١٣ ص ١٦٨ - ١٧٠ و ج ١٥ ص ٧٦ و ٨٥ وعون المعبود ج ٣ ص ١٤٤ وإرشاد الساري ج ٣ ص ٦٨ و ٦٩ وزاد المعاد ج ٣ ص ٥ والأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٤٦٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢٤٧ وسيرة النبي «صلى الله عليه وآله» لإسحاق بن محمد. ومسند أحمد ج ٥ ص ٤٢٥ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٣٣ وابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٥٤٠ وإعلام الوری ص ١٣٣ وفي (ط أخرى) ص ٧٥ والتنبيه والإشراف ص ٢٣٦ وفتوح البلدان للبلاذري ص ٨٠ واليعقوبي ج ٢ ص ٥٧ ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٩٢ في «إيلة» وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٨٣ والكامل ج ٢ ص ٢٨٠ والطبري ج ٣ ص ١٠٨ والمفصل ج ٧ ص ٣٤٨ و ج ٦ ص ٦٠١ وتأريخ ابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٥٠ والنهاية في =

كتابه ' لأهل أذرح وجربا:

وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأهل أذرح كتاباً، وكانوا يهوداً أيضاً، وقد أعطاهم الأمان فيه، وفرض عليهم الجزية، وفيما يلي نص الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب محمد النبي «صلى الله عليه وآله» لأهل أذرح وجربا، إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ من المسلمين من المخافة والتعزير، إذا خشوا على المسلمين فهم آمنون، حتى يحدث إليهم محمد «صلى الله عليه وآله» قبل خروجه». قالوا: وأتى أهل جربا وأذرح بجزيتهم بتبوك فأخذها»^(١).

= مادة: بحر، وسيرة ابن كثير ج ٤ ص ٢٩ والتأريخ المختصر لأبي الفداء ج ١ ص ١٤٢ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١١٧ والمطالب العالية لابن حجر ص ٢٦٣١، وانظر كائتاني ج ٩ ص ٣٨ (التعليقة الأولى) و (اشپرير) ص ٤١ و (اشپرنكر) ج ٢ ص ٤٢٢) وراجع: البخاري ج ٢ ص ١٥٥ وج ٣ ص ٢١٣ وج ٤ ص ١١٩ وسنن أبي داود ج ٣ ص ١٧٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢١٥ وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٨٥ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤١٥ وفي (ط أخرى) ج ٥ ص ٣٢٥ وشرح النووي لمسلم ج ١٥ ص ٤٢ والبخاري شرح الكرمان ج ٨ ص ٢٧ وتذكرة الفقهاء ج ١ ص ٤٤١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦١ عن الواقدي ومكاتب الرسول ج ٣ ص ١١٣ و ١١٤ عن المصادر التالية: البداية والنهاية ج ٥ ص ١٦ و ١٧ (واللفظ له) =

كتابه ' لأهل مقنا:

وصالح رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً أهل مقنا على ربع ثمارهم، وربع غزوهم. وكانوا قد وفدوا إليه مع يُحْنَة عظيم إيلة، وكنا قد أشرنا إلى كتابه في أوائل كتابنا هذا، حيث تحدثنا عن: أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة، حيث بحثنا موضوع وضع التاريخ الهجري..

وقد ذكرنا هناك: أن الظاهر هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب لهم هذا الكتاب في المدينة، ولعلمهم وفدوا إليه مرة أخرى بعد عودته إليها، لأن كاتب الكتاب هو علي بن أبي طالب «صلوات الله وسلامه عليه»، وهو لم يكن في غزوة تبوك..

= والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٩٠ وفي (ط أخرى) ج ١ ق ٢ ص ٣٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٠ وزيني دحلان (بهامش الحلبية) ج ٢ ص ٣٧٥ ورسالات نبوية ص ٨٩ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٤٩ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٤٩. ومجموعة الوثائق السياسية ص ١١٨/٣٢ عن جمع ممن تقدم، وعن إمتاع الأسع للمقرزي ج ١ ص ٤٦٨ و ٤٦٩ وأخرى في القسم الغير المطبوع (خطية كوبرلو) ص ١٠٤٠ ومنشآت السلاطين ج ١ ص ٣٤ وشرح الزرقاني ج ٣ ص ٣٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي (خطية كوبرلو) ج ١ ورقة ٢٣ - ب. وشرح السيرة لإبراهيم الحلبي ورقة ١١٥ - ب، وفتوح البلدان ص ٥٩ والخراج لقدامة ورقة ١٢٤، مخطوطة باريس، ولسان العرب، والمواهب اللدنية ج ٣ ص ١٦٠ والتنبيه والإشراف ص ٢٨٢ والنهاية لابن الأثير مادة جرب، وانظر مجلة تحقيقات علمية في مراجع المکتوب ص ٢٦ (كايتاني) ج ٩ ص ٢٣٩ التعليقة الثانية و (اشپرنکر) ج ٣ ص ٤٢٢ و ٤٢٤ و (اشپرنکر) ص ٤٤ و ٤٥.

ونص الكتاب هو التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى بني حبيبة وأهل مقنا:

سلم أنتم، فإنه أنزل علي أنكم راجعون إلى قريتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون، ولكم ذمة الله وذمة رسوله، وإن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم، وكل دم اتبعتم به، لا شريك لكم في قريتكم إلا رسول الله، أو رسول رسول الله، وإنه لا ظلم عليكم ولا عدوان، وإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يجيركم مما يجير منه نفسه، فإن لرسول الله بزيتم وريقكم، والكراع والحلقة إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله، وإن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم، وربع ما صادت عرككم، وربع ما اغتزلت»^(١).

(١) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٥ عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٧٧ وفي (ط أخرى) ج ١ ق ٢ ص ٢٨ وفتوح البلدان للبلاذري ص ٧١ وفي (ط أخرى) ص ٨٠ (واللفظ للأول) ورسالات نبوية ص ١١٥ (عن المصباح المضيء عن ابن سعد) ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣١١ والمصباح المضيء ج ٢ ص ٣٨٠ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١١٩/٣٣ عن المصادر المذكورة وعن الخراج لقدامة ورقة ١٢٤ وإمتاع الأسماع للمقرئ ج ١ ص ٤٣٩ ومرة أخرى في القسم الغير المطبوع (خطية كوبرولو) ص ١٠٤٠ وانظر مجلة تحقيقات علمية المقالة المذكورة في مراجع المكتوب ص ٢٦ وكايتاني ج ٩ ص ٤٠ و (اشپرنكر) ج ٣ ص ٤١٩ - ٤٢١ و (اشپرنكر) ص ٤٥ و ٤٦ وراجع: الطبقات ج ١ ق ٢ ص ٣٨ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠٣٢ والسيرة =

كتاب إلى مالك بن أحمـر:

وقالوا أيضاً: لما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» سنة تسع إلى تبوك، حين سمع باجتماع طوائف من الروم، وعاملة، ولخم، وجذام لحربه، سمع بذلك مالك بن أحمـر الجذامي، فوفد إليه، فقبل «صلى الله عليه وآله» إسلامه، وسأله مالك أن يكتب له كتاباً يدعو قومه به إلى الإسلام، فكتب في رقعة آدم عرضها أربعة أصابع، وطولها قدر شبر^(١)..

ونص الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب من محمد رسول الله لمالك بن أحمـر، ولمن تبعه من المسلمين أماناً لهم ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، واتبعوا المسلمين، وجانبوا المشركين، وأدوا الخمس من المغنم، وسهم الغارمين، وسهم كذا وكذا، فهم آمنون بأمان الله عز وجل، وأمان محمد رسول الله^(٢)..

= الحلبية ج ٣ ص ١٦٠ ودحلان (بهامش الحلبية) ج ٢ ص ٣٧٥ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٢٥ و ٣٢٦ ومعجم البلدان في «مقنا»، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٨٠ والفائق ج ٢ ص ٤١١ والنهاية لابن الأثير، واللسان في «عرك» و «غزل».

(١) الإصابة ج ٣ ص ٣٣٨ والإستيعاب ج ٣ ص ٣٨١ وأسـد الغابة ج ٤ ص ٢٧١.
(٢) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٢٤٩ و ٢٥٠ عن المصادر التالية: أسـد الغابة ج ٤ ص ٢٧١ (واللفظ له) والإصابة ج ٣ ص ٣٣٨ (عن البغوي وابن شاهين) ورسالات نبوية ص ٢٥٣ (عن جامع أزهر عن الطبراني في الأوسط، وابن الأثير وابن حجر) ولسان الميزان ج ٣ ص ٢٠ (نقله لمبارك بن أحمـر ولعله سهو من =

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم الوقفات التالية:

وفدان لجذام:

والظاهر: أن لجذام وفدين إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أحدهما: حيث كان «صلى الله عليه وآله» في تبوك، فجاءه مالك بن أحمـر وقومه من بني عوف من جذام، فكتب له الكتاب المتقدم. الثاني: وفد رفاعـة بن زيد الجذامي، فقد وفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة مع رهط من بني صبيبة من جذام.

= قلمه، لأنه لم يذكر مبارك بن أحمـر في الإصابة ولا ابن الأثير في أسد الغابة) ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣٣٦ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٤٤ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٧ ص ٤١٩ وأوعز إليه في الاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٣٨١ والتراتب الإدارية ج ١ ص ١٢٢ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٧٤ / ٢٧٩ (عن أسد الغابة والإصابة ومعجم الصحابة لابن قانع (خطية) ورقة ١٦٥ - ب ١٦٦ - ألف، وميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ١٥ ثم قال: قابل الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي ج ٤ ص ١ وراجع: اللباب ج ١ ص ٢٦٥: وجذام هو الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت، وكذا في الأنساب للسمعاني ج ٢ ص ٣٣ وفيه أيضاً: جذام هو الصدف بن شوال بن عمرو بن دعمى بن زيد، ولكن المشهور هو ما ذكرنا، ولعل هؤلاء طائفة أخرى كما في هامش الأنساب للسمعاني.

من بركات تبوك:

ويلاحظ هنا: أن من جملة بركات مسير تبوك هو: أن الله تعالى قد ألقى الرعب في قلوب أعداء الله، فبادروا إلى إعلان إسلامهم أو استسلامهم، فكانت هذه المعاهدات مع الفئات المختلفة، هي النتيجة الطبيعية لذلك، ووفد إليه أهل مقنا، وإيلة، وجربا، وأذرح، ومالك بن أحمر وقومه يطلبون العهد والأمان، وفتح الله دومة الجندل، وما إلى ذلك..

يضاف إلى ذلك كله، رعب الروم وعماهم، وسائر القبائل المعادية، مثل عاملة، ولخم، وجدام، وسائر الذين جمعوا الجموع، وأرادوا مهاجمة المسلمين..

يريد كتاباً يدعو قومه به:

وقد صرحت الروايات: بأن الكتاب الذي طلبه مالك بن أحمر، قد أراد أن يدعو قومه به..

ويلاحظ: أن ما كتبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم، هو نفس ما كتبه لغيرهم، وهو: أن يلتزموا بأحكام الدين، وأن يكونوا مع المسلمين، ويتركوا المشركين..

وهذا يدل على: أن هذا الدين لا يحتاج إلى أي جهد لإقناع الناس به، بل إن مجرد عرض نفس حقائقه وأحكامه يكفي للرجعة فيه والتعلق به، والزهد بغيره إلى حد النفور..

أمان الله، وأمان رسوله:

والأمان الذي جعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمالك بن أحمر

وقومه هو أمان الله تعالى أولاً. الذي يكفي في الحصول عليه أن يلتزموا بأحكام الدين، كما أن أمان رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يحتاج إلى أكثر من ذلك.. فهو إذن لم يطلب لنفسه شيئاً، بل ما طلبه يعود نفعه إليهم..

إرفع رأسك:

وحين كَفَّرَ رؤبة (أي وضع إحدى يديه على الأخرى) أمام النبي «صلى الله عليه وآله» وأوماً برأسه، لم يوافق فعله هذا رضى من رسول الله، لأنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يكون الإحترام والتعظيم من منطلق الوعي للقيمة الأخلاقية والإنسانية التي تعطي القيمة للإنسان الذي يعيش إنسانيته، والإرتباط بالله تبارك وتعالى بصدق، وبإخلاص. أما إذا كان الإحترام للإنسان، لأنه غني، أو قوي أو ذو جاه وشوكة، وسلطان، فالإحترام ليس لإنسانيته، وإنما لماله، ولقوته، وخوفاً من سلطانه وهيبة لموقعه وجاهه.. وما إلى ذلك..

كما أنه «صلى الله عليه وآله» يرى أن الخضوع والخشوع، لا بد أن يكون لله تبارك وتعالى لا لسواه.. وأن الجميع سواسية أمامه سبحانه، وأن هذه الطاعة له سبحانه تغني عن كل ما عداها.. فكل ما يكون لغيره فلا بد أن ينتهي إليه، ويكون من خلاله تعالى، وإلا فهو باطل وزائف، لأن قطع الصلة بين أي شيء وبين الله تعالى، سوف يفقده قيمته، ويسقط معناه..

اليهودي والصليب:

إنهم يقولون: إن أهل أيلة، وجربا وأذرح، وسواها، كانوا يهوداً فما معنى أن يكون على يُحَنَّة صليب من ذهب، والحال أن النصرارى هم الذين

:
يعتمدون الصليب؟!

لمحة توضيحية في كتاب يُحَنَّة:

هذا.. وقد تضمن كتابه «صلى الله عليه وآله» ليحنة وأهل إيالة الأمان لهم ولأنفسهم، وأمواهم وقوافلهم، وسفنهم، بشرط أن لا يحدثوا حدثاً يوجب نقض العهد، فإن من ينقض العهد لا حرمة لماله ولا لدمه، ولا تقبل منهم الفدية لو بذلوها في هذه الحال..

والحدث الموجب لنقض العهد هو الإمتناع عن إعطاء الجزية، وإظهار التمرد والعصيان..

وقد تضمن كتابهم التنصيص على حرية تحركهم، وقد أباح لهم أن يردوا أي ماء شاؤوا، وأن يسلكوا أي طريق أرادوا..

أهل مقنا معتدون:

إن نص كتاب أهل مقنا يفيد: أنهم كانوا قد ارتكبوا من السيئات والذنوب تجاه الإسلام، وأذوا المسلمين ما جعلهم يستحقون معه العقوبة دون سائر الناس، ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قد غفر ذلك لهم.. بل هو قد أحسن إليهم بأن أجارهم «صلى الله عليه وآله»، حتى أنه ليدفع عنهم كل ما يدفعه عن نفسه..

وهذا غاية الرفق بهم، والإحسان إليهم.

ولكنه شدد عليهم من جهة أخرى، فأجرى فيهم حكم التوراة، ربما لكي لا يستسهلوا العودة إلى الجريمة، حين يرون أن العفو، والحماية بانتظارهم، وأن ثم من يدفع عنهم.

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد أخذ منهم متاعهم ورقيقهم، وآلة الحرب وما يتقوّون به على العدوان، إلا ما عفا عنه لهم. مما لا بد لهم منه للدفع عن أنفسهم..

الأمير من أهل البيت فقط:

وقد شرط لهم: أن لا أمير عليهم إلا من أنفسهم، أو من أهل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهل المقصود من هذا القرار النبوي تعريف الناس: أن أهل رسول الله «صلى الله عليه وآله» هم الذين يعاملونهم بالرفق، ويهتمون بما يصلحهم، ولا يبيغون لهم إلا الصلاح والخير، فهم يحرصون على مصلحتهم بمستوى حرص أحدهم على مصلحة نفسه وأهله؟.

أما غير أهل النبي «صلى الله عليه وآله»، فقد يجرون النار إلى قرصهم، ويتخذون الدين ذريعة للدنيا، ويتخذون مال الله دولاً وعباد الله خولاً، وهذا ما أظهرته الوقائع اللاحقة..

كما أن أهل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعرف من كل أحد بأحكام الدين، وهم الواقفون على سياسات ومناهج وأخلاق وأهداف رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهم الأولى من كل أحد بتولي شأن الناس من بعده..

كتاب مزور لأهل مقنا:

وقد أورد بعضهم نصاً لكتاب النبي «صلى الله عليه وآله» لأهل مقنا، وهو باللغة العربية لكنه مكتوب بالخط العبراني.

وهو يختلف عن النص المتقدم ويزيد عليه في أمور كثيرة^(١)، ولكن بعض الباحثين قد حكموا عليه بأنه مزور ومكذوب. ومستندهم في ذلك الأمور التالية:

- ١ - أن الكتاب المذكور قد أرخ بسنة خمس للهجرة، مع أن ثمة اتفاقاً على أنه «صلى الله عليه وآله» قد عاهد أهل مقنا سنة تسع..
- ٢ - قد ورد ذكر صفية زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الكتاب، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما تزوجها سنة سبع بعد غزوة خيبر..
- ٣ - إنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب إلى ملوك الدنيا بالخط العربي، فلماذا كتب ليهود مقنا بالعبرانية، وهم عرب؟!..
- ٤ - إن خيبر قد فتحت بعد سنة خمس بالاتفاق.. والكتاب مؤرخ بسنة خمس.

ونضيف إلى ما تقدم:

أن نفوذ المسلمين لم يكن بهذا الإتساع، كما أن عساكر الإسلام لم تكن قد وصلت إلى تلك المناطق، ولم يكن أهلها يخافون من حملات المسلمين على بلادهم، خصوصاً قبل سقوط خيبر وقبل فتح مكة حيث كان المشركون في مكة يضغطون على المسلمين، ويشنون عليهم الحملات..

٥ - إن الجزية - حسب زعمهم - قد وضعت سنة تسع، فهي في سنة خمس لم تكن قد وضعت بعد..

(١) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١١٠ - ١١٢ ومجموعة من الوثائق السياسية ص ١٢١.

- ٦ - بعض الشروط التي أعطاهم إياها، أو أعفاهم منها لم تكن تجري حتى في حق المسلمين. إذا ما معنى أن لا يجبروا عن ولادة المسلمين؟!.
- ٧ - ما معنى أن لا يمنع أحد من اليهود من دخول المساجد؟!
- ٨ - لماذا لا يعدُّ زواج النبي «صلى الله عليه وآله» بمن كانت قبل إسلامها على الشرك إكراماً للمشركين أيضاً؟
- ولماذا لا يعدُّ زواجه «صلى الله عليه وآله» من مارية القبطية إكراماً للنصارى؟!

قصة ذي البجادين:

قالوا: كان عبد الله ذو البجادين^(١) من مزينة، مات أبوه وهو صغير، فلم يورثه شيئاً، وكان عمه مليئاً، فأخذه، فكفله حتى كان قد أيسر، وكانت له إبل وغنم ورقيق، فلما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه، حتى مضت السنون والمشاهد كلها.

فانصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من فتح مكة راجعاً إلى المدينة، فقال عبد الله ذو البجادين لعمه: يا عم قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمداً، فائذن لي في الإسلام.

فقال: والله لئن اتبعت محمداً لا تركت بيدك شيئاً كنت أعطيتكه إلا انتزعتك منك حتى ثوبيك.

(١) البجاد: كساء مخطط من أكيسة الأعراب، يشتملون به.

فقال: وأنا والله متبع محمداً ومسلم، وتارك عبادة الحجر والوثن، وهذا ما بيدي فخذ، فأخذ كل ما أعطاه حتى جرده من إزاره.

فجاء أمه فقطعت بجاداً لها باثنين، فائتزر بواحد وارتدى بالآخر. ثم أقبل إلى المدينة، فاضطجع في المسجد، ثم صلى مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصبح، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح، فنظر إليه فأنكره.

فقال: «من أنت»؟

فانتسب له، فقال: «أنت عبد الله ذو البجادين».

ثم قال: «انزل مني قريباً».

فكان يكون في أضيافه، ويعلمه القرآن، حتى قرأ قرآناً كثيراً، وكان رجلاً صيتاً فكان يقوم في المسجد، فيرفع صوته في القراءة، فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع هذا الأعرابي يرفع صوته بالقرآن، حتى قد منع الناس القراءة؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «دعه يا عمر، فإنه قد خرج مهاجراً إلى الله تعالى وإلى رسوله».

فلما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك، قال: يا رسول الله. ادع الله تعالى لي بالشهادة.

فقال: «أبلغني بلحاء سمرة». (أي ائمني بها).

فأبلغه بلحاء سمرة، فربطها رسول الله «صلى الله عليه وآله» على عضده، وقال: «اللهم إني أحرم دمه على الكفار».

فقال: يا رسول الله، ليس هذا أردت.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنك إذا خرجت غازياً في سبيل الله فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد. وإذا وقصتك دابتك فأنت شهيد، لا تبالي بأية كان».

فلما نزلوا تبوك أقاموا بها أياماً، ثم توفي عبد الله ذو البجادين، فكان بلال بن الحارث المزني يقول: حضرت رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفاً بها، وإذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في القبر، وإذا أبو بكر وعمر يدلّيانه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: «أدنيا لي أخاكما».

فلما هياه لشقه في اللحد قال: «اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً، فارض عنه».

فقال ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب اللحد^(١).
ونقول:

في هذه القضية أمور كثيرة تحتاج إلى بيان، غير أننا سوف نقتصر منها على نقطتين فقط، فلاحظ ما يلي:

إعتراض عمر على قراءة القرآن:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن عمر بن الخطاب قد اشتكى على ذي البجادين إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه يرفع صوته بالقرآن، ثم هو يصفه بوصف يريد أن يشينه به، وهو أنه أعرابي، وكأنه يريد إن يطبق عليه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٩ و ٤٦٠ عن ابن إسحاق، وابن مندة، والواقدي، والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠١٤ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٥٤.

قوله تعالى: {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (١)، وغيرها من الآيات..

مع أنه يعلم ويرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» معهم في المسجد، ويسمع قراءة ذي البجادين كما يسمعون، فلو أنه كان في قراءته ما يحتاج إلى تدخل، وتحديد لكان «صلى الله عليه وآله» بادر إلى ذلك من دون حاجة إلى تذكير عمر..

كما أن ذا البجادين لم يسئ إلى عمر، لكي يتخذ عمر ذلك ذريعة لتوجيه الإهانة له..

يضاف إلى ذلك: أنه لم يظهر من فعل ذي البجادين أنه يتعمد إزعاج المسلمين بقراءته..

فلماذا إذن يوجه له عمر بن الخطاب هذه الكلمات اللاذعة والمهينة؟!.

لم يدع له بالشهادة!

ولعل السبب في أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يدع بالشهادة لذي البجادين: أن الله تعالى كان قد أعلمه بأن غزوة تبوك سوف تنتهي من دون حرب، والذي طلبه ذو البجادين - فيما يبدو - هو الشهادة في تبوك بالذات، فإذا دعا له النبي «صلى الله عليه وآله» بالشهادة، ثم حضر أجل ذلك الرجل، الذي يرى أن دعاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» مستجاب، فسيعتقد أنه لم يكن أهلاً لكرامة الله تبارك وتعالى، ولربما يصاب باليأس

(١) الآية ٩٧ من سورة التوبة.

الذي قد يؤي به إلى الهلاك. هذا إن لم يرتب في استجابة الله دعاء رسوله، ثم ينتقل إليه هنا إلى معانٍ ومفردات أخرى، يتجاوز بها الحدود. فما فعله النبي «صلى الله عليه وآله» مع هذا الرجل، إنما كان يهدف إلى حفظ إيمانه وصحة يقينه..

هذا.. ويلاحظ: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» قد عوضه عن المفاجأة التي أصيب بها للوهلة الأولى، حين رأى النبي «صلى الله عليه وآله» يحرم دمه على الكفار أن يسفكوه، بأن فتح له أبواباً أخرى تلتقي مع معنى الشهادة في أجرها، وفي مقامها، فأخبره بأن خروجه للغزو، ثم إدراك الموت له ولو بالحمى، يجعله في مصاف الشهداء..

إلى دمشق:

ويقولون: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» شاور أصحابه في التقدم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، إن كنت أمرت بالمسير فسر. فقال «صلى الله عليه وآله»: «لو أمرت بالمسير لما استشرتكم فيه». فقال: يا رسول الله، إن للروم جمعاً كثيرة، وليس بها أحد من أهل الإسلام، وقد دنونا منهم، وقد أفزعهم دنوك، فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك أمراً^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ٥ ص ٤٦١ و ٤٦٢ عن الواقدي، وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣٧ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٦٢ وج ٩ ص ٢٦٤ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١٩.

ونقول:

إننا في الوقت الذي لا نريد فيه أن نتجنى على أحد، لا نريد أيضاً أن نورد الأحداث مجتزأة، أو مبهمة، فإن للقارئ علينا حقاً، لا بد أن نؤديه إليه ولا نخونه فيه، ألا وهو أن نكون أمينين فيما ننقله له، معتمدين الصراحة والوضوح، ومحاولة استيفاء العناصر الأساسية التي توضح له مرامي النص الذي نعرضه.

من أجل ذلك، نقول:

١ - إن ثمة أمراً لافتاً للنظر، وهو أنه «صلى الله عليه وآله» حين استشار أصحابه في أمر الحرب في بدر، كانت مشورتهم عليه تقضي بتجنب الدخول فيها، مع إسهاب ظاهر في التعظيم والتهويل.. وبقريش وجبروتها في حرب حنين نراهم يعتزون بكثرة عددهم، ثم يهربون بصورة مذلة ومهينة.

ثم جاءت تبوك، فكانت مشورتهم عليه «صلى الله عليه وآله» هي هذا الذي قرأناه آنفاً من أقوال عمر بن الخطاب.. المتضمن للتخويف من جموع الروم الكثيرة، وعدم وجود أحد في تلك البلاد من أهل الإسلام، وأن الإكتفاء بهذا الدنو منهم الذي أفزعهم، والرجوع من هناك إلى المدينة هو الأولى والأصوب..

فلماذا هذا التحاشي لأي صدام مع أعداء الله من النصارى، ومن المشركين؟ هل هو الجبن والخور؟ أم ماذا؟!

٢ - قد تحدثنا عن سبب استشارة النبي «صلى الله عليه وآله» لأصحابه في أمر الحرب، وذلك حين الحديث عن غزوة أحد، فراجع.

حديث الطاعون في الشام:

وروى عكرمة عن أبيه أو عن عمه عن جده:

أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال في غزوة تبوك: «إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها، وإذا كنتم بغيرها فلا تقدموا عليها»^(١).

قال في بذل الطاعون: يشبه - والله أعلم - أن يكون السبب في ذلك أن الشام كانت في قديم الزمان ولم تزل معروفة بكثرة الطواعين، فلما قدم النبي «صلى الله عليه وآله» تبوك غازياً الشام لعله بلغه أن الطاعون في الجهة التي كان يقصدها، فكان ذلك من أسباب رجوعه من غير قتال - والله أعلم. انتهى.

قال الصالحى الشامى:

(١) سبل الهدى والرشاد ص ٤٦٢ عن أحمد والطبراني، وفي هامشه عن: أحمد ج ١ ص ١٧٥ وج ٣ ص ٤١٦ وج ٥ ص ٣٧٣، والطبراني في الكبير ج ١ ص ٩٠، وانظر المجمع ج ٢ ص ٣١٥ والدولابي في الكنى ج ١ ص ١٠٠، والطحاوي في المعاني ج ٤ ص ٣٠٦ ونيل الأوطار ج ٧ ص ٣٧٤ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٢٧ وسنن الترمذي ج ٢ ص ٢٦٤ وتحفة الأحوذى ج ٤ ص ١٤٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٧٦ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٢٨ و ٨٧ ومسند سعد بن أبي وقاص ص ١٣٨ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٨٦ و منتخب مسند عبد بن حميد ص ٨١ والآحاد والمثاني ج ٢ ص ٥٢ والسنن الكبرى لنسائي ج ٤ ص ٣٦٢ والمعجم الكبير ج ١ ص ١٦٦ وج ٤ ص ٩١ وج ١٨ ص ١٥ والإستذكار لابن عبد البر ج ٨ ص ٢٥٤.

قلت: قد ذكر جماعة: أن طاعون شيرويه أحد ملوك الفرس، كان في أيام النبي «صلى الله عليه وآله»، وأنه كان بالمدائن^(١).

ونقول:

١ - إن طاعون شيرويه، إذا كان في المدائن، فهو في العراق، لأن المدائن تقع قرب بغداد، وكانت عاصمة لمملكة الفرس، ولا يزال إيوان كسرى فيها ماثلاً للعيان حتى اليوم..

فأين المدائن عن تبوك، وعن الشام وبلادها، وما معنى أن يساق الحديث إليه هنا؟!.

٢ - قد تقدم: أن السبب في رجوعه «صلى الله عليه وآله» عن بلاد الروم، هو ما أظهره قيصر من مقاربة لدين الإسلام، حيث لم يعد سائغاً الدخول في حرب معه قبل أن تستقر الأمور بالاتجاه الذي يفرض ذلك..

٣ - إننا لم نسمع عن وجود طاعون في الشام في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، سواء في الجهة التي كان «صلى الله عليه وآله» يقصدها أو في غيرها..

٤ - بالنسبة للكلمة المنقولة عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنفاً فيما يرتبط بالدخول أو الخروج من البلاد التي يكون فيها الطاعون نقول:
إنها قد أسست لمبدأ الحجر الصحي للأمان من العدوى، وإن كان بعض الناس قد فهمها بصورة خاطئة، كما أوضحته الروايات الواردة عن أهل البيت «عليهم السلام»:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٤٦٢.

١ - فعن علي بن المغيرة، قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: القوم يكونون في البلد يقع فيها الموت، ألهم أن يتحولوا عنها إلى غيرها؟! قال: نعم.

قلت: بلغنا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عاب قوماً بذلك. فقال: أولئك كانوا رتبة بإزاء العدو، فأمرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يثبتوا في موضعهم، ولا يتحولوا منه إلى غيره، فلما وقع فيها الموت تحولوا من ذلك المكان إلى غيره. فكان تحولهم من ذلك المكان إلى غيره كالفرار من الزحف^(١).

٢ - وعن أبان الأحمر قال: سأل بعض أصحابنا أبا الحسن «عليه السلام» عن الطاعون يقع في بلدة وأنا فيها، أتحول عنها؟ قال: نعم.

قال: ففي القرية وأنا فيها أتحول عنها؟

قال: نعم.

قال: ففي الدار وأنا فيها أتحول عنها؟

قال: نعم.

قلت: فإننا نتحدث أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف؟!.

(١) البحار ج ٧٨ ص ١٢١ عن علل الشرائع ص ١٧٦ و (منشورات المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٥٢٠. وراجع: التحفة السنية (مخطوط) ص ٣٣٩ والوسائل (ط) مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ٤٣٠ و (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٦٤٥ و جامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ١٧١.

قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إنما قال هذا في قوم كانوا يكونون في الثغور في نحر العدو، فيقع الطاعون، فيخلون أماكنهم ويفرون منها، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك فيهم^(١)..

٣ - وروي: أنه إذا وقع الطاعون في أهل مسجد، فليس لهم أن يفروا منه إلى غيره^(٢)..

٤ - وعن علي بن جعفر: أنه سأل أخاه موسى الكاظم «عليه السلام»: عن الوباء، يقع في الأرض، هل يصلح للرجل أن يهرب منه؟! قال: يهرب منه ما لم يقع في مسجده الذي يصلي فيه، فإذا وقع في مسجده الذي يصلي فيه، فلا يصلح الهرب منه^(٣).

٥ - وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كره أن يكلم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينه وبينه قدر ذراع، وقال: فر من المجذوم فرارك من الأسد^(٤).

-
- (١) البحار ج ٧٨ ص ١٢١ و ١٢٢ وج ١٠٨ ص ٨٢ عن معاني الأخبار ص ٧٤ و (ط) مؤسسة النشر الإسلامي) ص ٢٥٤ و جامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ١٧١.
- (٢) البحار ج ٦ ص ١٢٢ وج ٧٨ ص ١٢٢ عن معاني الأخبار ص ٧٤ و (ط) مؤسسة النشر الإسلامي) ص ٢٥٥ والوسائل (ط) مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ٤٣١ و (ط) دار الإسلامية) ج ٢ ص ٦٤٦ و جامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ١٧١.
- (٣) البحار ج ٦ ص ١٢٢ وج ١٠ ص ٢٥٥ ومسائل علي بن جعفر ص ١١٧ والوسائل (ط) مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ٤٣١ و (ط) دار الإسلامية) ج ٢ ص ٦٤٦.
- (٤) البحار ج ٧٢ ص ١٤ وج ٦٢ ص ٨٢ وج ٧٣ ص ٣٣٨ وج ٧٤ ص ٥٠ والأمل للصدوق ص ١٨١ و (ط) مؤسسة البعثة) ص ٣٧٨ والخصال ج ٢ ص ١٠٢ =

- ٦ - وعنه «صلى الله عليه وآله»: خمسة يجتنبون على كل حال: المجذوم، والأبرص، والمجنون، وولد الزنا، والأعرابي^(١).
- ٧ - وعنه «صلى الله عليه وآله»: لا يورد ذو عاهة على مُصح^(٢).
- ٨ - وروى: أنه «صلى الله عليه وآله» أتاه مجذوم لبياعه، فلم يمد يده إليه، بل قال: أمسك يدك فقد بايعتك^(٣).
- ٩ - وروى عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال: لا تديموا النظر إلى المجذومين^(٤).

= و (ط منشورات جماعة المدرسين) ص ٥٢٠ ومن لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٥٨ و (منشورات جماعة المدرسين) ج ٣ ص ٥٥٧ وج ٤ ص ٢٥٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٢ ص ٤٩ وج ١٥ ص ٣٤٥ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٤٣١ وج ١١ ص ٢٧٤ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص ٢٣٥ و ٤٣٦.

- (١) البحار ج ٧٢ ص ١٥ والخصال ص ٢٨٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٢ ص ٥٠ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٤٣٢.
- (٢) البحار ج ٢٧ ص ٢٧٧ وج ٦١ ص ٨٥ وج ٦٢ ص ٨٢ والأُمالي ج ٢ ص ٤٤ والطب النبوي لابن القيم ص ١١٨ و ١١٩.
- (٣) البحار ج ٦٢ ص ٨٢ وراجع: مسند ابن الجعد ص ٣١١ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٩٦ والطب النبوي لابن القيم ص ١١٨.
- (٤) التاريخ الصغير للبخاري ج ٢ ص ٧٦ - ٧٧، وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١١٧٢ ح ٣٥٤٣، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢١٨، ومجمع الزوائد ج ٥ ص ١٠١، وفتح الباري ج ١٠ ص ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٦، ومسند أبي داود الطيالسي ص ٣٣٩، والمصنف لابن أبي شيبة ج ٥ ص ٥٦٩ وج ٦ ص ٢٢٦، =

ونستطيع أن نستخلص مما تقدم ما يلي:

- ١ - إن التحرز من المجذوم والمصاب بالطاعون مطلوب.
 - ٢ - إنه لا يورد ذو عاهة على مصحح.
 - ٣ - إن ما شاع من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عاب الذين فروا من الطاعون: إنما هو لفرارهم من مواقعهم الدفاعية المتقدمة في ثغورهم..
 - ٤ - يجوز لمن يكون في منطقة الطاعون أن يتحول عنها، إلى غيرها ما دام سليماً..
 - ٥ - إذا بلغ الطاعون إلى أهل مسجد، فليس لهم أن يفروا منه إلى غيره، (ربما لأن ذلك يقرب احتمال أن يكونوا مصابين بالمرض، وإن لم تظهر عليهم أعراضه، فيوجب ذلك انتقال المرض إلى مناطق أخرى)..
- وهذا لا ينافي جواز التحول من البلد التي وقع فيها الطاعون.. فإن وقوع الطاعون في بعض أحيائها لا يبرر منع سائر الناس من التحول عنها،

= والذرية الطاهرة النبوية ص ١٢٩، والمعجم الأوسط ج ٩ ص ١٠٧، وناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين ص ٥١٧ ح ٥٢٦، والجامع الصغير ج ٢ ص ٧٣١ ح ٩٧٥٤ وص ٧٣٢ ح ٩٧٦٣، وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٤ ح ٢٨٣٣٠ وص ٥٥ ح ٢٨٣٣٩، وفيض القدير ج ٦ ص ٥٠٨ ح ٩٧٥٤ وص ٥١١ ح ٩٧٦٣، والكامل لابن عدي ج ٦ ص ٢١٨، وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٣ ص ٣٨٠، وإمتاع الأسماع ج ٨ ص ٢٧، وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ١٧١، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٤٢، والنهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٢٥٢، والطب النبوي لابن القيم ص ١١٦، ولسان العرب ج ١٢ ص ٨٨. وفي متون بعضها: لا تحذروا..

فإن احتمال ابتلائهم بالمرض يبدو ضعيفاً، بخلاف ما لو وصل المرض إلى بعض من في المسجد الواحد، فإن احتمال ابتلاء سائر من فيه به يكون قوياً،
يزجب الإحتياط..

قتال الملائكة في تبوك:

روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما غزا تبوك استخلف علياً «عليه السلام» على المدينة، فلما نصر الله رسوله «صلى الله عليه وآله»، وأغنم المسلمين أموال المشركين ورقابهم، جلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسجد، وجعل يقسم السهام على المسلمين، فدفع إلى كل رجل سهماً سهماً، ودفع إلى علي سهمين.

فقام زائدة بن الأكوع فقال: يا رسول الله، أوحى نزل من السماء أو أمر من نفسك؟ تدفع إلى المسلمين سهماً سهماً، وتدفع إلى علي سهمين.
فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: أنشدكم الله، هل رأيتم في ميمنة عسكريكم صاحب الفرس الأغر المحجل، والعمامة الخضراء، لها ذؤابتان مرخاتان على كتفه، بيده حربة، وحمل على الميمنة فأزالها، وحمل على القلب فأزاله؟

قالوا: نعم يا رسول الله لقد رأينا ذلك.

قال: ذلك جبريل، وإنه أمرني أن أدفع سهمه إلى علي بن أبي طالب.

قال: فجلس زائدة مع أصحابه وقال قائلهم شعراً:

علي حوى سهمين من غير أن غزا غزاة تبوك حبذا سهم مسهم^(١)
ونقول:

قد دلت هذه الرواية على أنه قد جرى في تبوك قتال، وحصل المسلمون على غنائم، قسمها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين المسلمين، ويؤيد ذلك حديث مناشدة علي «عليه السلام» لأهل الشورى، حيث قال لهم: «أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر، وسهم في الغائب»؟
قالوا: لا^(٢).

(١) راجع المصادر التالية: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٢ عن الزمخشري في فضائل العشرة، وشرح إحقاق الحق ج ٢٣ ص ٢٨٢ عن غاية المرام (نسخة جستریتی) ص ٧٣ وج ٣١ ص ٥٦٥، وتفسير آية المودة للحنفي المصري ص ٧٤ عنه، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٣ ص ٢٨١، وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٥ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن الدمشقي ج ١ ص ٧٨ وقال محقق الكتاب: والحديث رواه الحلواني في الباب الثالث من كتاب المقصد الراغب، كما رواه أيضا الخفاجي في الثالثة عشرة من خصائص علي «عليه السلام» من خاتمة تفسير آية المودة الورق ٧٤ / ب/. ورواه قبلهم جميعاً الحافظ السروي في عنوان: «محبة الملائكة إياه» من كتابه مناقب آل أبي طالب (ط بيروت) ج ٢ ص ٢٣٨.

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» من تاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٩٣، واللائي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٢ والضعفاء الكبير للعقيلي ج ١ ص ٢١١ و ٢١٢ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٢ ص ٤٣٥، ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» وما نزل من القرآن في علي «عليه السلام» لأبي بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني ص ١٣١ وفيه بدل (الحاضر) و (الغائب): =

وقال ابن العرندس المتوفى في حدود سنة ٨٤٠هـ:

وتبوك نازل شوسها فأبادهم ضرباً بصارم عزيمة لن يفلأ^(١)
ولكن المؤرخين لا يعترفون بحدوث قتال في تبوك، فكيف نوفق بين
هذا، وذاك؟!.

ويمكن أن يجاب:

- ١ - بأن من الجائز أن تكون غنائم دومة الجندل، التي أخذت في تبوك، بقيت إلى حين عودة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة، فقسمها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسجد، وأعطى أمير المؤمنين «عليه السلام» منها..
 - ٢ - لا ندري، فلعل بعض جماعات أهل الشرك قد احتكت بالمسلمين في غزوة تبوك، فنصر الله المسلمين عليها، وغنمهم أموالها..
- ثم إن المؤرخين أغمضوا النظر عن ذكر ذلك، لما فيه من التنويه بأمر المؤمنين «عليه السلام»، وإشاعة لفضائله، فأراحوا أنفسهم، ومن هم على شاكلتهم من عناء التماس المخارج، والتأويلات، حين يواجههم شيعة أمير المؤمنين «عليه السلام» بالحقيقة.. والله هو العالم بالحقائق..

= (الخاص) و(العام)، وكنز العمال ج ٥ ص ٧٢٥، والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٣٧٩، ومسند فاطمة «عليها السلام» للسيوطي ص ٢١ عنه، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣١ ص ٣٢٣، والمناقب للخوارزمي ص ٣١٥.

(١) الغدير ج ٧ ص ٨ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج ٩ ص ٧٦.

..... :

الفصل العاشر:

في طريق العودة

قبل المسير:

عن أبي هريرة، وعمر بن الخطاب وغيرهما: لما أجمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» السير من تبوك أرمل الناس^(١) إرمالاً، فشخص على ذلك من الحال.

قال أبو هريرة: فقالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادّهنّا؟

قال شيخ محمد بن عمر: فلقّاهم عمر بن الخطاب، وهم على نحرها فأمرهم أن يمسكوا عن نحرها، ثم دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خيمة له، ثم اتفقوا، فقال: يا رسول الله، أأذنت للناس في نحر حمولتهم يأكلونها؟

قال شيخ محمد: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «شكوا إليّ ما بلغ منهم الجوع، فأذنت لهم، بنحر الرّفقة^(٢) البعير والبعيرين، ويتعاقبون فيما فضل منهم، فإنهم قافلون إلى أهليهم».

(١) أي: فقد زادهم وافتقروا.

(٢) أي: الناقة التي ورم ضرعها، والتي تقرّح إحليلها أو انسدت فإذا كان ذلك قيل بها رَفَقَتْ أو ناقة رَفَقَة.

فقال عمر: يا رسول الله لا تفعل، فإن يك في الناس فضل من الظهر يكن خيراً، فالظهر اليوم رقاق. ولكن يا رسول الله ادع بفضل أزوادهم، ثم اجمعها، وادع الله تعالى فيها بالبركة، لعل الله تعالى أن يجعل فيها البركة. كما فعلت في منصرفنا من الحديبية حين أرملنا، فإن الله تعالى مستجيب لك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نعم». فدعا بنطع فبسط ونادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من كان عنده فضل من زاد فليأت به.

فجعل الرجل يأتي بكف ذرة، ويحيى الآخر بكف تمر، ويحيى الآخر بكسرة. فيوضع كل صنف من ذلك على حدة، وكل ذلك قليل، وكان جميع ما جاؤوا به من السويق والدقيق والتمر ثلاثة أفراق حزراً - والفرق ثلاثة أصع^(١).

قال: فجزأنا ما جاؤوا به فوجدوه سبعة وعشرين صاعاً. ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتوضأ وصلى ركعتين، ثم دعا الله تعالى أن يبارك فيه، ثم قال: «أيها الناس، خذوا ولا تنتهبوا».

فأخذوه في الجرب والغرائر، حتى جعل الرجل يعقد قميصه فيأخذ فيه. قال أبو هريرة: وما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة.

قال بعض من الصحابة: لقد طرحت كسرة يومئذٍ من خبز، وقبضة

(١) كذا في المصدر وهو جمع صاع كما في مجمع البحرين.

من تمر، ولقد رأيت الأنطاع تفيض، وجئت بجرايين، فملأت أحدهما
سويقاً، والآخر خبزاً، وأخذت في ثوبي دقيقاً كفاني إلى المدينة. قال: فأخذوا
حتى صدروا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني
رسول الله، لا يأتي بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة».
وفي لفظ: «لا يأتي بها عبد محق إلا وقاه الله حر النار»^(١).
وقال جابر بن عبد الله كما رواه ابن سعد أقام رسول الله «صلى الله عليه
وآله» بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ عن مسلم وإسحاق بن راهويه، وأبي
يعلى، وأبي نعيم، وابن عساكر، والواقدي، والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠٨٣
وراجع: إمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٠ و ٧١ وج ٥ ص ١٥١ و ١٥٢ وج ٩ ص ٢٦٤
و ٢٦٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٣ وج ٨ ص ٢٣٣ عن ابن سعد، وابن حزم،
والواقدي وغيرهم، وراجع: تذكرة الفقهاء (ط.ج) ج ٤ ص ٣٨٨ و (ط.ق) ج ١
ص ١٩٠ وفتح العزيز للرافعي ج ٤ ص ٤٥٠ والمجموع للنووي ج ٤ ص ٣٦١
والمبسوط للسرخسي ج ١ ص ٢٣٧ وج ١٠ ص ٧٥ والجواهر النقي ج ٣ ص ١٥٠
وكشاف القناع للبهوتي ج ١ ص ٦٢٧ والمحلى لابن حزم ج ٥ ص ٢٥ وج ٧
ص ١٤٩ وتلخيص الحبير ج ٤ ص ٤٥٠ وسبل السلام ج ٢ ص ٤٠ ونيل الأوطار
ج ٣ ص ٢٥٦ ومسنند أحمد ج ٣ ص ٢٩٥ وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٧٦ والسنن
الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ١٥٢ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ١٥٨ والمصنف للصنعاني
ج ٢ ص ٥٣٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٢ ص ٣٤٢ ومنتخب مسند عبد بن
حميد ص ٣٤٥ وصحيح ابن حبان ج ٦ ص ٤٥٦ و ٤٥٩ والمعجم الأوسط ج ٤ =

وقيل: بضع عشرة ليلة^(١)..

بعد بدء المسير:

وعن فضالة بن عبيد: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» غزا غزوة تبوك، فجهد الظهر جهداً شديداً، فشكوا ذلك إليه، ورآهم يزجون ظهرهم، فوقف في مضيق والناس يمرون فيه، فنفخ فيها وقال: «اللهم احمل عليها في سبيلك فإنك تحمل على القوي والضعيف، والرطب واليابس، في البر والبحر». فاستمرت فما دخلنا المدينة إلا وهي تنازعنا أزمتها^(٢).

= ص ١٨٥ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٢ ص ٤٣٥ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج ١ ص ٢٧٢ ونصب الراية ج ٢ ص ٢٢٣ وموارد الظمان ج ٢ ص ٢٦٥ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج ١ ص ٢١٢ وكنز العمال ج ٨ ص ٢٣٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج ١ ص ٢٧٦ وشرح السير الكبير للسرخسي ج ١ ص ٢٤١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٤٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٥٠ وإمتاع الأسماع للمقرئ ج ٢ ص ٧٠.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٤ عن ابن إسحاق، وابن عتبة، وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ١٥٢ وأضواء البيان للشنقيطي ج ١ ص ٢٧٧ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٩٨ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ١١٣ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦٥ وج ٣ ص ١١٩ والدرر لابن عبد البر ص ٢٤٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٨١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ١ ص ٢٢٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٥٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٥ وفي هامشه عن: الطبراني في الكبير ج ١١ =

ونقول:

إننا بالنسبة لما تقدم نذكر ما يلي:

نبي يحتاج إلى مرشد!

قد أظهر النص المتقدم: أن نبي الإسلام «صلى الله عليه وآله»، الذي صنعه الله على عينه، كما صنع موسى «عليه السلام»، وهو عقل الكل، وإمام الكل، ومدير الكل، وهو أكمل الخلق وأفضلهم، أظهر أنه - والعياذ بالله - ضعيف الإدراك، قاصر النظر، يصدر لأصحابه تعليمات خاطئة، من شأنها أن تؤدي بحياة ألوف من الناس.. حتى احتاج إلى رجل من أتباعه ليعلمه كيف يتصرف، ويسدده ويرشده على ما يصنع، رغم أن هذا المعلم لم يمنع عقله من اعتقاد الشرك، ومن عبادة الأحمجار والأصنام، طيلة عشرات السنين، كما أنه قد عاش في جاهلية، لم يعرف فيها شيئاً من العلوم، ولا اطلع على شيء من المعارف.

= ص ٣٠١ وابن حبان، وذكره الهيثمي في الموارد (١٧٠٦) وانظر المجمع ج ٦ ص ١٩٣ والبيهقي في الدلائل ج ٦ ص ١٥٥ وابن كثير في البداية ج ٦ ص ١٨٦ وراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج ١ ص ٩٢ ومسند أحمد ج ٦ ص ٢٠ والآحاد والمثاني ج ٤ ص ١٣٢ وصحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٥٣٥ والمعجم الكبير ج ١٨ ص ٣٠١ وكتاب الدعاء للطبراني ص ٢٦٥ ومسند الشاميين للطبراني ج ٢ ص ٦٨ وموارد الظمآن ج ٥ ص ٣٥١ وراجع: كنز العمال ج ٩ ص ٧٠ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٥٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٢٤.

على أن التعليل الذي قدمه عمر لم يتضمن ما يقنع سوى أنه ذكر هزال الإبل، وهذا ليس تعليلًا يستحق الوقوف عنده، لأن حاجة الناس إلى الطعام هي المشكلة، وهم يعرفون ويرون هزال تلك النواضح، فيصبح هذا التعليل بلا معنى، ويصبح المطلوب هو تنفيذ أوامر عمر، الذي يريد التسويق لقرار اتخذه، وأمر أصدره، فقد قال: «إن يك في الناس فضل من ظهر يكن خيرًا، فالظهر اليوم رقاق»^(١).

غير أننا لا نمنع أن يكون الناس قد نحروا من الإبل بعضها، بعد أخذهم الإجازة من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولعل هذا التطفل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» محاولة لإظهار أنه قد أخطأ في إجازته للناس بنحر الظهر. ولم يؤد إلى نتيجة، ولعله «صلى الله عليه وآله» لم يستجب لطلب عمر بإلغاء الإذن.. واما حديث جمع الأزواد، والدعاء بالبركة فيها، فلعله كان في يوم جديد احتاجوا فيه للطعام، فبادر «صلى الله عليه وآله» إلى صنع هذه الكرامة لهم، من دون أن يكون هناك ارتباط بين الأمرين..

صلاة الصبح تفوت النبي ' مرة أخرى:

عن أبي قتادة قال: بينا نحن نسير مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الجيش ليلاً، وهو قافل وأنا معه، إذ خفق خفقة، وهو على راحلته، فمال على شقه، فدنوت منه فدعمته فانتبه، فقال: «من هذا»؟

(١) إمتاع الأسماع ج ٥ ص ١٥١ وج ٩ ص ٢٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤١٧ و ٤٢٥ وج ٣ ص ١٠٣٨.

..... :
..
فقلت: أبو قتادة يا رسول الله، خفت أن تسقط فدعمتك.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «حفظك الله كما حفظت رسوله». ثم سار غير كثير، ثم فعل مثل ذلك، فدعّمته، فانتبه، فقال: «يا أبا قتادة، هل لك في التعريس؟»
فقلت: ما شئت يا رسول الله.
فقال: «انظر من خلفك».
فنظرت، فإذا رجلان أو ثلاثة، فقال: «ادعهم».
فقلت: أجيئوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجاؤوا، فعرسنا - ونحن خمسة - برسول الله «صلى الله عليه وآله» ومعى إداوة فيها ماء وركوة لي أشرب فيها، فمنا فمنا انتبهنا إلا بحر الشمس، فقلنا: إنا لله فاتنا الصبح.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لنغيظن الشيطان كما غاظنا».
فتوضأ من ماء الإداوة، ففضل فضلة فقال: «يا أبا قتادة، احتفظ بها في الإداوة والركوة، فإن لهما شأنًا».
وصلى «صلى الله عليه وآله» بنا الفجر بعد طلوع الشمس، فقرأ بالمائدة، فلما انصرف من الصلاة قال: «أما إنهم لو أطاعوا أبا بكر وعمر لرشدوا».
وذلك أن أبا بكر وعمر أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء، فأبوا ذلك عليهما، فنزلوا على غير ماء بفلاة من الأرض.
فركب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلحق الجيش عند زوال الشمس ونحن معه. وقد كادت أعناق الخيل والرجال والركاب تقطع عطشاً، فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالركوة، فأفرغ ما في الإداوة فيها. ووضع أصابعه عليها، فنبع الماء من بين أصابعه.

وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رؤوا، ورؤوا خيلهم، وركابهم، وكان في العسكر اثنا عشر ألف بعير، والناس ثلاثون ألفاً، والخيل اثنا عشر ألف فرس، فذلك قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «احتفظ بالركوة والإداوة»^(١).

النبى ' يلعن أربعة سبقوه إلى الماء:

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر: وأقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» قافلاً حتى إذا كان بين تبوك ووادي يقال له: وادي الناقة - وقال ابن إسحاق: يقال له: وادي المشقق - وكان فيه وشل، يخرج منه في أسفله قدر ما يروي الراكبين أو الثلاثة، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من سبقنا إلى ذلك الوشل فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه».

فسبقه إليه أربعة من المنافقين: معتب بن قشير، والحارث بن يزيد الطائي حليف في بني عمرو بن عوف، ووديعه بن ثابت، وزيد بن اللصيت. فلما أتاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقف عليه فلم ير فيه شيئاً. فقال: «من سبقنا إلى هذا الماء؟»

فقال: يا رسول الله، فلان وفلان.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ألم أنهكم؟»

فلعنهم، ودعا عليهم، ثم نزل ووضع يده تحت الوشل، ثم مسحه

(١) سبل الهدى والرشاد جص ٤٦٤ عن الواقدي، وأبي نعيم والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠٤٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١٢ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٢ وج ٥ ص ٩٨.

بإصبعيه حتى اجتمع منه في كفه ماء قليل، ثم نضحه به، ثم مسح بيده، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، فانخرق منه الماء - قال معاذ بن جبل: والذي نفسي بيده لقد سمعت له من شدة انخراقه مثل الصواعق.

فشرب الناس ما شأؤوا، واستقوا ما شأؤوا، ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» للناس: «لئن بقيتم. أو من بقي منكم» - لتسمعن بهذا الوادي وهو أخصب مما بين يديه ومما خلفه^(١).

قال سلمة بن سلامة بن وقش: قلت لوديعة بن ثابت: ويلك أبعد ما ترى شيء؟ أما تعتبر؟

قال: قد كان يفعل بهذا مثل هذا قبل هذا.

ثم سار رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

النبى ' يسقى الجيش من قرية واحدة:

وعن جماعة من أهل المغازي قالوا: بينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يسير منحدراً إلى المدينة، وهو في قيظ شديد، عطش العسكر بعد المرتين الأولين عطشا شديداً، حتى لا يوجد للشفة ماء قليل ولا كثير، فشكوا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٤ و ٤٦٥ عن الواقدي وابن اسحاق والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠٣٩ ومعجم البلدان ج ٥ ص ١٣٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ١١٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٣٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٥ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٢ وج ٥ ص ١١٤ وراجع: البحار ج ٢١ ص ٢٥٠.

ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأرسل أسيد بن الحضير في يوم صائف، وهو مثلثم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «عسى أن تجد لنا ماء».

فخرج أسيد وهو فيما بين تبوك والحجر في كل وجه، فيجد راوية من ماء مع امرأة من بني، فكلمها أسيد، وأخبرها خبر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقالت: فهذا الماء، فانطلق به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقد وصفت له الماء وبينه وبين الطريق هنية.

فلما جاء أسيد بالماء دعا فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ودعا فيه بالبركة، ثم قال: «هلم أسقيتكم». فلم يبق معهم سقاء إلا ملأوه، ثم دعا بركابهم وخيولهم، فسقوها حتى نهلت.

ويقال: إنه «صلى الله عليه وآله» أمر بما جاء به أسيد فصبه في قعب عظيم من عساس أهل البادية، فأدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه يده، وغسل وجهه، ويديه، ورجليه، ثم صلى ركعتين، ثم رفع يديه مدًّا، ثم انصرف وإن القعب ليفور، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» للناس: «ردوا».

فاتسع الماء، وانبسط الناس حتى يصف عليه المائة والمائتان فارتووا، وإن القعب ليحيش بالرواء، ثم راح رسول الله «صلى الله عليه وآله» مبرداً متروياً^(١)..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٥ عن أبي نعيم والواقدي، وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٣ وج ٥ ص ١٠٧.

ونقول:

لا حاجة إلى الإعادة:

إن عدداً من القضايا والمزاعم التي تضمنتها النصوص المتقدمة قد تم بحثها في ثنايا هذا الكتاب، ولعل بعضها قد بحث أكثر من مرة أيضاً، فلا حاجة إلى الإعادة هنا.

ومن الأمور التي بحثت سابقاً:

١ - حديث نومه «صلى الله عليه وآله» عن صلاة الصبح.

٢ - حديث سقي الناس الماء الذي نبع من بين أصابعه «صلى الله عليه وآله».

٣ - حديث الذين خالفوا نهي رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الإستقسام من عين كانت على الطريق، فخالفه بعضهم، فلعنهم «صلى الله عليه وآله» ودعا عليهم.

غير أننا نحاول أن نثير هنا بعض التساؤلات، أو نعرض عن بعض البيانات الأخرى، فنقول:

النبي ' مال إلى شقه فأسنده:

ذكر في ما تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، خفق خفقة، فمال إلى شقه فدعمه أبو قتادة..

ونقول:

ألف: إن المتوقع لمن ينام على راحلته أن يسقط عنها، لا مجرد أن يميل على شقه، لأن المفروض: أنه لم يربط عليها، بحبل، ولا بغيره..

ب: وزعم أبو قتادة: أنه قد دعم رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكي لا يقع. والسؤال هو: كيف دعمه؟!

هل كان أبو قتادة راكباً على راحلة، أو كان ماشياً؟! فإن كان على راحلته فكيف استطاع أن يصل إليه لكي يدعمه؟ إلا إذا كانت ذراع أبي قتادة بطول مترين أو أكثر..

وإن كان ماشياً على قدميه، فهل كان أبو قتادة طويل القامة بحيث يوازي ارتفاع الراحلة، أو أكثر من ذلك؟!

ج: ماذا لو أن أبا قتادة لم يلتفت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووقع عن ظهر الراحلة؟! ألا يعد ركوبه الراحلة، وهو يغالب النوم مخاطرة لا يحسن أن تصدر من مثله «صلى الله عليه وآله»؟!

د: ولماذا لم يبادر إلى التعريس من المرة الأولى، بل بقي على ظهر راحلته حتى عرض نفسه للخطر مرة أخرى؟!

هـ: قد صرحت النصوص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما تنام عيناه ولا ينام قلبه..

وفي نصوص أخرى: أنه «صلى الله عليه وآله» يعرف ما يجري حوله. وقد تقدم طرف منها في هذا الكتاب، فراجع.

أين الجيش؟:

وقد زعمت رواية نوم النبي «صلى الله عليه وآله» عن صلاته: أنه «صلى الله عليه وآله» طلب من أبي قتادة أن ينظر خلفه، فنظر، فلم يجد سوى ثلاثة فعرسوا وهم خمسة فقط، ثم ناموا، فلم ينتبهوا إلا بحر

الشمس، وفاتتهم صلاة الصبح..
ونحن لا نريد أن نتحدث عن عصمة النبي «صلى الله عليه وآله» عن
السهو والخطأ والنسيان.

ولا عن شدة اهتمامه بصلاته، ومراقبته لأوقاتها.
ولا عن أن الله تعالى قد أمره بقيام الليل، وأوجبه عليه، فلا يعقل أن
يصلي صلاة الليل التي يكون أفضل أوقاتها وقت السحر القريب من
الفجر، ثم ينام بعدها لتفوته صلاة الصبح..
إلى غير ذلك من ملاحظات سجلناها فيما سبق من هذا الكتاب على
روايات تحدثت عن حدوث هذا الأمر في العديد من الموارد..

ولكننا نريد أن نسأل:

لماذا لم يكن هناك إلا ثلاثة أشخاص؟! وأين ذهب، أو أين ضاع
الجيش المؤلف من ثلاثين ألفاً؟! ولماذا لم يسأل أحد منهم عن مكان وجود
رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! ولماذا تأخر أولئك الثلاثة أيضاً عن سائر
الجيش؟!

وإذا كان الجيش موجوداً، فلماذا لم يوقظ أحد منهم هؤلاء الخمسة
للصلاة؟!

والحقيقة هي: أن الجيش كان قد تقدم عليه، كما صرحت به الرواية،
حيث قالت: «فركب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلحق بالجيش عند
زوال الشمس».

وهذا معناه: أن المسافة، بين النبي «صلى الله عليه وآله» وبين جيشه
كانت شاسعة جداً، احتاجت إلى ساعات كثيرة قد تزيد على ست ساعات

من السير الحثيث لقطعها، فإن غزوة تبوك كانت في أيام قيظ شديد..
فكيف يترك هذا الجيش نبيه في قلب الصحراء، مع أربعة أشخاص
فقط، بل مع شخص واحد، ألا يخشون على النبي الأعظم والأكرم «صلى
الله عليه وآله» من عدو، أو من حيوان مفترس، أو من أن يضل الطريق..
ويموت جوعاً وعطشاً؟!

لا سبيل للشيطان على الأنبياء ^٨:

وقد أمعنت هذه الرواية في جرأتها على رسول الله «صلى الله عليه وآله»
حين زعمت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يعترف بأن الشيطان هو الذي
تسبب بنومه عن صلاة الصبح، وذلك حين زعمت: أنه «صلى الله عليه
وآله» قال: «لنغيظن الشيطان كما غاظنا»^(١)..

وهذا يتناقض مع حكم العقل، ومع قوله تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ
عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ^(٢).. وآيات كثيرة أخرى..

لو أطاعوا أبا بكر وعمر لرشدوا:

بالنسبة لما زعم: من أن ثلاثين ألفاً من الناس رفضوا النزول على الماء،

(١) تهذيب الكمال للمزي ج ٢١ ص ٨١ وميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ١٤٨
وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٢٢ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٢ وج ٩ ص ٩٨
والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥
ص ٤٦٤.

(٢) الآية ٩٩ من سورة النحل.

وواصلوا مسيرهم حتى اضطروا للنزول على غير ماء بفلاة من الأرض،
نقول:

أولاً: لماذا لم يتدخل النبي «صلى الله عليه وآله»، فيأمر جيشه بالنزول
على الماء؟ وكيف جاز له أن يجاريهم ويفرط بثلاثين ألفاً، ويعرضهم لخطر
الموت عطشاً في تلك الفلاة؟

ثانياً: كيف لم ينتبه أحد من الثلاثين ألفاً إلى صحة مشورة أبي بكر
وعمر، وهم يعرفون أن حياتهم مرهونة بالماء، وخصوصاً في تلك الصحراء
القاحلة؟!!

ثالثاً: إن هذا الجيش نفسه قد سلك هذا الطريق، وعرف مواضع الماء
فيه، وميزها عن غيرها، حين قدم إلى تبوك قبل أيام، فما معنى أن يرفض
ثلاثون ألفاً أن ينزلوا على الماء، وأن يفضلوا عليه النزول في الفلاة، رغم
تذكير أبي بكر وعمر لهم؟!!

فهل اختاروا الانتحار على الاستمرار في الحياة؟!!

المنفرون برسول الله ' ليلة العقبة:

عن أبي الطفيل، وحذيفة، وجبير بن مطعم، والضحاك: أن رسول الله
«صلى الله عليه وآله» لما كان ببعض الطريق مكر به ناس من المنافقين،
وأتهموا بينهم أن يطرحوه من عقبة في الطريق.

وكانوا قد أجمعوا أن يقتلوه، فجعلوا يلتمسون غرته، فلما أراد رسول
الله «صلى الله عليه وآله» أن يسلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه.

وقالوا: إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي، فأخبر الله

تعالى رسوله بمكرهم.

فلما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» تلك العقبة نادى مناديه للناس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخذ العقبة فلا يأخذها أحد، واسلكوا بطن الوادي، فإنه أسهل لكم وأوسع: فسلك الناس بطن الوادي إلا النفر الذين مكروا برسول الله «صلى الله عليه وآله» لما سمعوا ذلك استعدوا وتلثموا.

وسلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» العقبة، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة ويقودها، وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه. فبينما رسول الله «صلى الله عليه وآله» يسير من العقبة إذ سمع حسّ القوم قد غشوه، فنفروا ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى سقط بعض متاعه.

وكان حمزة بن عمرو الأسلمي لحق برسول الله «صلى الله عليه وآله» بالعقبة، وكانت ليلة مظلمة، قال حمزة: فَنُورٌ لي في أصابعي الخمس، فأضاءت حتى جمعت ما سقط من السوط والحبل وأشباههما.

فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأمر حذيفة أن يردهم، فرجع حذيفة إليهم، وقد رأى غضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومعه محجن، يضرب وجوه رواحلهم وقال: إليكم إليكم يا أعداء الله تعالى. فعلم القوم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد اطلع على مكرهم، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس.

وأقبل حذيفة حتى أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: اضرب الراحلة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار، فأسرعوا حتى استوى بأعلاها،

وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من العقبة ينتظر الناس، وقال
لخديفة: هل عرفت أحداً من الركب، الذين رددتهم؟

قال: يا رسول الله، قد عرفت رواحلهم، وكان القوم متلثمين فلم
أبصرهم من أجل ظلمة الليل.

قال: «هل علمتم ما كان من شأنهم وما أرادوا؟»

قالوا: لا والله يا رسول الله.

قال: «فإنهم مكروا ليسيروا معي، فإذا طلعت العقبة زحموني فطرحوني
منها، وإن الله تعالى قد أخبرني بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وسأخبركم بهم إن
شاء الله تعالى».

قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاء الناس أن تضرب أعناقهم؟

قال: «أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمداً قد وضع يده في
أصحابه»، فسماهم لهما، ثم قال: «اكتماهم»؛ فانطلق إذا أصبحت، فاجمعهم لي.

فلما أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال له أسيد بن الحضير: يا
رسول الله، ما منعك البارحة من سلوك الوادي؟ فقد كان أسهل من
العقبة؟

فقال: «أتدري يا أبا يحيى، أتدري ما أراد بي المنافقون، وما هموا به؟»

قالوا: نتبعه من العقبة، فإذا أظلم عليه الليل قطعوا أنساع راحلتي،
ونخسوها حتى يطرحوني عن راحلتي».

فقال أسيد: يا رسول الله، قد اجتمع الناس ونزلوا، فمر كل بطن أن يقتل
الرجل الذي همم بهذا، فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله، وإن أحببت
- والذي بعثك بالحق - فنبئني بأسمائهم، فلا أبرح حتى آتيك برؤوسهم.

قال: «يا أسيد، إني أكره أن يقول الناس: إن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم».

وفي رواية: «إني لأكره أن يقول الناس: إن محمداً «صلى الله عليه وآله» لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه».

فقال: يا رسول الله، فهؤلاء ليسوا بأصحاب.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله؟»

قال: بلى [ولا شهادة لهم].

قال: «أليس يظهرون أني رسول الله؟»

قال: بلى. ولا شهادة لهم.

قال: «فقد نُهِيتُ عن قتل أولئك»^(١).

وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير: فلما أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لحذيفة: «ادع عبد الله» أبي سعد.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٦ و ٤٦٧ عن أحمد، والبيهقي، وابن سعد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، ومحمد بن إسحاق، والواقدي، وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢٥٧ وانظر المغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠٤٣ و ١٠٤٤ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٩ عن ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبيهقي في الدلائل، وابن كثير في البداية ج ٥ ص ١٩ وخلاصة عقبات الأنوار ج ٩ ص ٣٠ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٢١ والصوارم المهرقة للتستري ص ٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٣٥ والبحار ج ٢١ ص ٢٤٧ وإعلام الوری ج ١ ص ٢٤٥ .

قال البيهقي: أظن ابن سعد بن أبي سرح.

وفي الأصل: عبد الله بن أبي سعد بن أبي سرح، لم يعرف له إسلام كما نبه إليه في زاد المعاد).

قال ابن إسحاق: وأبا حاضر الأعرابي، وعامراً، وأبا عمر، والجلال بن سويد بن الصامت، وهو الذي قال: لا تنتهي حتى نرمي محمداً من العقبة، ولئن كان محمد وأصحابه خيراً منا إنا إذاً لغنم وهو الراعي، ولا عقل لنا وهو العاقل.

وأمره أن يدعو مجمع بن جارية، وفليح التيمي وهو الذي سرق طيب الكعبة^(١) وارتد عن الإسلام، وانطلق هارباً في الأرض فلا يدرى أين ذهب.

وأمره أن يدعو حصين بن نمير، الذي أغار على تمر الصدقة فسرقة^(٢)، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ويحك، ما حملك على هذا؟» قال: حملني عليه أني ظننت أن الله تعالى لم يطلعك عليه، أما إذا أطلعك عليه، فإنني أشهد اليوم أنك لرسول الله، فإني لم أؤمن بك قط قبل الساعة، فأقاله رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعفا عنه بقوله الذي قاله. وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حذيفة أن يأتيه بطعمة بن أبيرق، وعبد الله بن عيينة، وهو الذي قال لأصحابه: اشهدوا هذه الليلة تسلموا

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٣٤٣ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٣٦٧ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٦ وعيون الأثر ج ١ ص ٧٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٢٧٥.
(٢) المعارف لابن قتيبة ص ٣٤٣ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٦ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٨٠.

الدهر كله، فوالله ما لكم أمر دون أن تقتلوا هذا الرجل، فدعاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «ويحك، ما كان ينفعك من قتلي لو أنني قتلت يا عدو الله؟»

فقال عدو الله: يا نبي الله، والله ما تزال بخير ما أعطاك الله تعالى النصر على عدوك، فإنما نحن بالله وبك، فتركه رسول الله «صلى الله عليه وآله». وقال لحذيفة: «ادع مرة بن الربيع»، وهو الذي ضرب بيده على عاتق عبد الله بن أبي ثم قال: تمطى، أو قال: تمططي والنعيم كائن لنا بعده، نقتل الواحد المفرد، فيكون الناس عامة بقتله مطمئنين. فدعاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «ويحك، ما حملك على أن تقول الذي قلت؟»

فقال: يا رسول الله، إن كنت قلت شيئاً من ذلك فإنك العالم به، وما قلت شيئاً من ذلك^(١).

فجمعهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهم اثنا عشر رجلاً الذين حاربوا الله تعالى ورسوله، وأرادوا قتله^(٢)، فأخبرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقولهم، ومنطقهم، وسرهم وعلاانيتهم، وأطلع الله نبيه «صلى الله عليه وآله» على ذلك، وذلك قوله عز وجل: {وَهُمْوَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا^(٣)}.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢٥٨ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٣٤٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٨ ومجمع البيان ج ٥ ص ٩١، وتفسير القرآن للصنعاني ج ٢ ص ٣٧٢ و ٣٧٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٩.

(٣) الآية ٧٤ من سورة التوبة.

ومات الاثنا عشر منافقين محاربين الله تعالى ورسوله.
قال حذيفة كما رواه البيهقي: ودعا عليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «اللهم ارمهم بالديلة».
قلنا: يا رسول الله، وما الديلة؟
قال: «شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك»^(١).
وعن حذيفة: «في أصحابي اثنا عشر رجلاً منافقاً لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية يكفيهم الديلة: سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم»^(٢).

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٧ و ٤٦٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢٥٨ وراجع: العمدة لابن البطريق ص ٣٤١ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٤٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٣٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ٣٠ والمعجم الأوسط ج ٨ ص ١٠٢ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ٢ ص ٨٤ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٠٧ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٠٧ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٨٧ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٠ وتفسير الألوسي ج ١٠ ص ١٣٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٤٨ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٣٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢١.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٨ عن مسلم وقال في هامشه: أخرجه مسلم في صفات المنافقين (٩) وأحمد ج ٥ ص ٣٩٠ والبيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢٦١ وفي السنن الكبرى ج ٨ ص ١٩٨ وانظر البداية ج ٥ ص ٢٠.
- وراجع: العمدة لابن البطريق ص ٣٣٢ و ٣٣٤ و ٣٣٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٣٦ و ١٣٨ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٠٦ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٢٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٩٨ وشرح مسلم للنووي ج ١٧ =

قال البيهقي: وروينا عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر^(١) أو خمسة عشر^(٢).

ونقول:

إنه لا بد لنا من التعرض لأسماء هؤلاء المجرمين أولاً، ثم نعطف الكلام إلى أمور أخرى، ربما يكون تسليط الضوء عليها مفيداً سديداً، فنقول:

= ص ١٢٥ والديباج على مسلم ج ٦ ص ١٣٧ والآحاد والمثاني ج ٢ ص ٤٦٦ والجامع الصغير ج ٢ ص ٢٢٥ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٨٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٤٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٣٧ وتقوية الإيمان لمحمد بن عقال ص ٧٩. وراجع: المحلى لابن حزم ج ١١ ص ٢٢٠ والعمدة لابن البطريق ص ٣٣٣ وصحيح مسلم النيسابوري ج ٨ ص ١٢٣ والديباج على مسلم لجلال الدين السيوطي ج ٦ ص ١٣٧.

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٨ عنه، وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٢ ص ٣٧٥ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٣٧. وراجع: الخصال ص ٣٩٨ والمسترشد للطبري ص ٥٩٥ والبحار ج ٣١ ص ٥٢٢.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٨ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠٤٢ و١٠٤٤ وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٢ ومجمع البيان ج ٥ ص ٥١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٩ و ٢٦ وعن السيرة النبوية (بهامش الحلبية) ج ٢ ص ٣٧٥ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٤٤ والخصال ج ٢ ص ٤٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٣٧. وراجع: المسترشد للطبري ص ٥٩٥.

المجرمون.. من أي القبائل؟!:

قد ذكرت النصوص المتقدمة: أسماء جماعة زعموا: أنهم هم الذين اشتركوا في المؤامرة على حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. غير أننا نشك كثيراً في صحة هذه الأسماء، لأن النصوص المختلفة تبين أن ثمة تزويراً متعمداً في هذا المجال.. وأن ثمة مساعي لإخفاء الأسماء الحقيقية، وطرح أسماء بديلة عنها.

والذي يبدو لنا هو أن هذا التلاعب قد جاء لمصلحة القرشيين منهم، وإبعاد الشبهة عمن شارك منهم في هذه الفعلة الشنعاء، والفضيحة الصلعاء، حتى لقد قيل: «ليس فيهم قرشي، وكلهم من الأنصار»^(١).

لكن يكذب هذا الإدعاء ما روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر «عليهما السلام»: أنهم «ثمانية من قريش، وأربعة من العرب»^(٢).

وقيل: ستة أو سبعة من قريش، والباقي من أفناء الناس^(٣).

وقيل: إثنا عشر من بني أمية، وخمسة من سائر الناس^(٤).

-
- (١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٠ عن ابن سعد، والمنار ج ١٠ ص ٥٥٣ وراجع: مكاتيب الرسول ج ١ ص ٥٩٩ وتفسير الألوسي ج ١٠ ص ١٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ٢٧٧ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٠٥ وإمتاع الأسماع ج ٩ ص ٣٢٨.
- (٢) راجع: جمع الجوامع ج ٢ ص ٧٠ ومجمع البيان ج ٥ ص ٥١ والبرهان (تفسير) ٢ ص ٥٤٠ و٢٤٥ والبيان ج ٥ ص ٣٠٣ والصراط المستقيم ج ١ ص ٣١٦ وروح المعاني ج ١٠ ص ١٣٩ والبحار ج ١٧ ص ١٨٤.
- (٣) البحار ج ٢١ ص ٢٣٣ و٢٤٨ وج ٣١ ص ٦٣١ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٥٩٩.
- (٤) الخصال ص ٣٩٨ والبحار ج ٢١ ص ٢٢٢ وج ٣١ ص ٥٢٢ عن الخصال.

وقيل: تسعة من قريش، وخمسة من سائر الناس^(١).

الأسماء التي يدعونها:

تقدمت لائحة بأسماء أشخاص زعموا أنهم هم المنفرون برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم على ما ذكره الطبراني:

١ - معتب بن قشير بن مليل، من بني عمرو بن عوف.

٢ - وديعة بن ثابت بن عمرو بن عوف.

٣ - جدّ بن عبد الله بن نبيل (نبتل) بن الحارث من بني عمرو بن عوف.

٤ - الحارث بن يزيد الطائي.

٥ - أوس بن قيطى، من بني حارثة.

٦ - الحارث بن سويد.

٧ - سعد بن زرارة من بني مالك بن ماتت.

٨ - قيس بن قهد من بني مالك بن ماتت.

٩ - سويد من بني بلحبل.

١٠ - داعس من بني بلحبل.

١١ - قيس بن عمرو بن سهل.

١٢ - زيد بن اللصيت.

١٣ - سلامة بن الحمام. (وهما من بني قينقاع)^(٢).

(١) البحار ج ٢٨ ص ١٠٠ والدرجات الرفيعة للسيد على خان ص ٢٩٩ والفوائد

الرجالية للسيد بحر العلوم ج ٢ ص ١٧٥ وطرائف المقال ج ٢ ص ٢٠٧.

(٢) مكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٠٠ عن المنار ج ١٠ ص ٥٥٥ عن الطبراني، وراجع: =

لكن ابن القيم، والسيوطي، والصالحى الشامى، قد ذكروا قائمة أخرى،
هي التالية:

- ١ - عبد الله بن أبي (سعد).
 - ٢ - سعد بن أبي سرح.
 - ٣ - أبو خاطر (حاضر) الأعرابي.
 - ٤ - عامر.
 - ٥ - أبو عامر (أبو عمر).
 - ٦ - الجلاس بن سويد بن الصامت.
 - ٧ - مجمع بن حارثة (جارية).
 - ٨ - فليح (مليح) التيمي.
 - ٩ - طعمة بن أبيرق.
 - ١٠ - عبد الله بن عيينة.
 - ١١ - مرة بن الربيع.
 - ١٢ - حصين بن النمر^(١).
- واللافت هنا: أن ابن قيم الجوزية نفسه لا يرتضي صحة هذه القائمة الثانية، بل أورد عليها بما يلي:
- أولاً: إن «سعد بن أبي سرح» لم يعرف له إسلام..

= تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٨٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١٦٦ - ١٦٧.

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٠٠ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٠ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٢٦٢.

ونقول:

إن الصالحى الشامى ذكر «عبد الله بن سعد بن أبى سرح»^(١).
ثانياً: إن عبد الله بن أبى^(٢)، وكذلك الجلاس بن سويد^(٣)، كانا قد تخلفا
عن غزوة تبوك، فما معنى ذكرهما فى جملة المشاركين فى قضية العقبة؟!
كما أن أبى عامر لم يحضر غزوة تبوك أيضاً، لأنه خرج إلى مكة، ثم إلى
الطائف، ثم إلى الشام، فمات طريداً^(٤).
ثالثاً: إن النبى «صلى الله عليه وآله» أسرَّ أسماء المنفرين به إلى حذيفة،
وكانوا لا يعرفون. وكان عمر لا يصلى على من لم يصل عليه حذيفة^(٥).
كما أن ثمة إشكالات على القائمة الأولى، أعني قائمة الطبرانى:
فأولاً: إن هذه القائمة كانت سرّاً عند حذيفة.
ثانياً: إن أوس بن قيطى، كان من المتخلفين عن تبوك^(٦).

ثالثاً: إن الذين أرادوا قتل النبى «صلى الله عليه وآله» كانوا يطمعون
بالحصول على الدنيا، وكانت لهم مكانة تؤهلهم بنظر الناس إلى طلب هذا
الأمر. وكانوا مرهوبى الجانب حتى لقد أخفى حذيفة أسماءهم خوفاً منهم،

(١) زاد المعاد ج ٣ ص ٨ و ٩ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٧.

(٢) الحديث عن أنه قد عاد مع جماعته إلى المدينة.

(٣) أسد الغابة ج ١ ص ٢٩٢.

(٤) تقدم ذلك فى بداية الحديث عن غزوة تبوك.

(٥) راجع فيما تقدم: زاد المعاد ج ٣ ص ٨ و ٩ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٠٠.

(٦) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٤٧ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٠١ عنه.

ورغبة منه لجانبهم.

والذين وردت أسماؤهم في القائمة لا يملكون أية موقعية تحولهم
ترشيح أنفسهم لهذا الأمر.

سبب إخفاء الأسماء:

ولم يذكروا لنا سبب تعمّد إخفاء النبي «صلى الله عليه وآله» لأسمائهم
إلا عن بعض أصحابه، فلعله لأجل أنه كان لا يريد أن تنشأ عن ذلك
مشكلة في حياته، حيث يصبح ذلك ذريعة لهم لمحاولة التأثير على من يتصل
بهم، لإخراجه عن دائرة الإيمان، بالإضافة إلى أنه قد يتسبب بمشاحنات،
ومشكلات، وانقسامات عميقة بينهم وبين أقوامهم، وربما يتخذ ذلك أهل
الأهواء ذريعة لإثارة الفتن، والعبث بالبنية الاجتماعية، والإخلال بتماسكها
وبانضباطها..

أما بعد استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فرغم معرفة حذيفة
وغيره بأسمائهم، فإنه لم يجرء أحد على التفوه والإعلان بها. ولا شك في أن
هذا التكتّم قد كان خوفاً من بطش السلطة بمن يفشي هذا السر، حيث قد
يلحق إفشاؤه أضراراً جسيمة بالإسلام وأهله، لأن ظواهر الأمور تعطي
أن مرتكبي هذه الجريمة لم يكونوا من الناس العاديين، بل كانت لهم
مكانتهم المرموقة، ولهم قوتهم وشوكتهم التي لا مجال لأحد لمواجهتها.
إلا أن بعض الأسماء الحقيقية قد أفلتت من بين تلك الأسماء، ربما لأنها
كانت هي الأضعف من بين تلك المجموعة..

إفلات اسم أبي موسى الأشعري:

وممن أفلت اسمهم أبو موسى الأشعري، فقد ورد اسمه في المصادر التي ألفها الفريق الذي لا يدين بالولاء للحكام كما سيأتي.

لكن المصادر الموالية لهم لم تستطع الإفصاح عن اسمه سوى ما روي عن أبي يحيى حكيم، قال: كنت جالساً مع عمار، فجاءه أبو موسى، فقال (يعني عمار): مالي ولك؟.

قال: ألسن أخاك؟

قال: ما أدري غير أنني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يلعنك ليلة الحملق.

قال: إنه استغفر لي.

قال عمار: قد شهدت اللعن، ولم أشهد الاستغفار^(١).

ونقول:

١ - حملق - كما في كتب اللغة -: فتح عينيه ونظر شديداً^(٢)، فإن لم يكن المقصود بها الكناية عن ليلة العقبة، باعتبار أن الحملقة قد وقعت فيها لكشف حقيقة المعتدين على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهي تصحيف

(١) الكامل لابن عدي ج ٢ ص ٧٧٢ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٠٤ وكنز العمال ج ١٣ ص ٦٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٢ ص ٩٣.

(٢) راجع: أقرب الموارد ج ١ ص ٢٣٣ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٢١١ وكتاب العين للفراهيدي ج ٣ ص ٣٢٢ والصحاح للجوهري ج ٤ ص ١٤٦٥ ومعجم مقاييس اللغة ج ٢ ص ١٤٧ ولسان العرب ج ١٠ ص ٦٩ والقاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢٤ وتاج العروس ج ١٣ ص ٩٩.

لكلمة العقبة، عمداً، أو سهواً.

ويشير إلى ذلك:

١ - أن الوارد في بعض المصادر هو: «الجمل» أو «الجبل»، وذلك بملاحظة: أنهم أرادوا تنفير الناقة به «صلى الله عليه وآله» في الجبل (العقبة)، أو بملاحظة إرادتهم إلقاء النبي «صلى الله عليه وآله» عن ظهر الجمل من العقبة إلى الوادي^(١).

٢ - روى الشيخ المفيد «رحمه الله» هذه الرواية، وفيها: أن عماراً قال لأبي موسى: «سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يلعنك ليلة العقبة، وقد هممت مع القوم بما هممت، الخ..»^(٢).

٣ - أن أبا موسى كان متَّهماً بالنفاق على نطاق واسع، قال أبو عمر بن عبد البر: «وكان لحذيفة قبل ذلك - أي قبل ما ظهر منه - فيه كلام»^(٣).

لائحة المجرمين لدى آخرين:

وقد ذكرت لائحة أخرى بأسماء المجرمين، في مصادر أخرى لجماعة لا

(١) راجع: كنز العمال ج ١٣ ص ٦٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٢ ص ٩٣ ولسان الميزان ج ٥ ص ٢٩٠ وتنزيه الشريعة المرفوعة ج ٢ ص ٩ واللائي المصنوعة ج ١ ص ٣٩١.

(٢) الأملالي للشيخ الطوسي ص ١٨٤ (١٨٢) والبحار ج ٣٣ ص ٣٠٥ و ٣٠٦ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٠٥.

(٣) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٤ ص ١٧٥ و(ط دار الجليل) ج ٤ ص ١٧٦٤ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٠٣.

تهتم برضا رموز السلطة، التي حكمت الناس من دون نص من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا تخشى من الجهر بالنقد لمن يستحق النقد، سواء أكان في السلطة، أم في خارجها..

وقد ذكرت الأسماء في تلك المصادر على النحو التالي:

قال حذيفة فيهم:

١ - أبو بكر.

٢ - عمر.

٣ - عثمان.

٤ - طلحة.

٥ - الزبير.

٦ - أبو سفيان.

٧ - معاوية.

٨ - عتبة بن أبي سفيان.

٩ - أبو الأعور السلمي.

١٠ - المغيرة بن شعبة.

١١ - أبو موسى الأشعري.

١٢ - أبو قتادة.

١٣ - عمرو بن العاص.

١٤ - سعد بن أبي وقاص^(١).

(١) البحار ج ٨٢ ص ٢٦٧ وج ٢٨ ص ١٠٠.

وفي نص آخر: الثانية من قريش هم: (سعد بن أبي وقاص، معاوية، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة). بالإضافة إلى:

١٥ - عبد الرحمن بن عوف.

١٦ - أبو عبيد بن الجراح.

والذين هم من غير قريش:

١٧ - أوس بن الحدثان.

١٨ - أبو هريرة.

١٩ - أبو طلحة الأنصاري.

٢٠ - أبو موسى الأشعري^(١).

وذكر ابن جرير بن رستم الطبري: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر حذيفة أن لا يخبرنا باسم الشيخين الجليلين^(٢).

وذكر أبو الصلاح الحلبي: عثمان، وطلحة، والزبير، وسعداً، وعبد الرحمن بن عوف^(٣).

وقد ذكرت مصادر أخرى منها ما ينتمي للفريق المحامي عن السلطة والحاكم، ومنها ما ينتمي إلى الفريق الآخر أسماء اتخذت صفة الكناية عن الأسماء الحقيقية.

(١) البحار ج ٢٨ ص ١٠٠ ومكاتب الرسول ج ١ ص ١٠٢ عن الصراط المستقيم ج ٣ ص ٤٤ وطرائف المقال ج ٢ ص ٢٠٧.

(٢) المسترشد ص ٥٩١ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٠٦ عنه.

(٣) تقريب المعارف ص ٣٥٧ والبحار ج ٣١ ص ٣١١ وج ٣٢ ص ٢١٨ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٠١.

فمن ذلك نذكر:

١ - ما روي عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنه عدّ منهم: أبا الشرور، وأبا الدواهي، وأبا المعازف، وابن عوف، وسعداً، وأبا سفيان، وابنه، وفعل، وفعليل، والمغيرة بن شعبة، وأبا الأعور السلمي، وأبا قتادة الأنصاري^(١).

وزاد في نص آخر: بعد أن ذكر عدداً من الأسماء المتقدمة عن أكثر من مصدر:

٢١ - سالم مولى أبي حذيفة.

٢٢ - خالد بن الوليد.

وذكر فيه أيضاً: أبا المعازف.

٢٣ - وأباه^(٢).

وذكر نص آخر بالإضافة إلى بعض الأسماء المتقدمة: صاحبي البصرة (يعني: طلحة والزبير).

٢٤ - وأبا مسعود^(٣).

ويلاحظ هنا: أن العدد قد انتهى إلى أربعة وعشرين، وقد جمعناه من الروايات المختلفة.

وهو ما صرحت به بعض الروايات حيث ذكرت: أنهم كانوا أربعة

(١) مكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٠٢ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٤٤ عن مسند الأنصار.

(٢) الخصال ج ٢ ص ٤٩٩ والبحار ج ٢١ ص ٢٢٣.

(٣) المسترشد للطبري ص ٥٩٦.

وعشرين^(١).

عرفهم بعلم النبوة، فلا مؤاخذة للمجرمين:

ونود أن نذكر القارئ الكريم: بأن الله تعالى هو الذي أعلم النبي «صلى الله عليه وآله» بأسماء أولئك المجرمين، فأعلم بها حذيفة.. وهذا معناه: أنه علم غير ميسور للبشر بما هو متوفر لديهم من وسائل. إذن.. فليس للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يؤاخذهم.. ولأجل ذلك لم يستجب لطلب حذيفة - حينما طلب منه ذلك. وزعمت رواية الصالحى الشامى المتقدمة: أن أسيد بن حضير هو الذي طلب قتل المتآمرين..

ولكننا نشك في صحة ذلك، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يتحدث مع حذيفة، وعمار، ولم يكن أسيد حاضراً، وقد أمر «صلى الله عليه وآله» حذيفة وعماراً بالكتمان، بعد أن جرى بينه وبينهما ذلك، كما تقدم^(٢).. بل صرحت بعض الروايات: بأن حذيفة هو الذي قال للنبي «صلى الله عليه وآله» ذلك، فراجع^(٣)..

(١) البحار ج ٢١ ص ٢٣١ والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص ٣٨٠ و ٣٨٩ والإحتجاج ج ١ ص ١٢٨.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٩ عن البيهقي في الدلائل.

(٣) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٦ والبحار ج ٢١ ص ١٩٦ و ٢٣٤ عنه وعن الخراج والخراج.

حمزة بن عمرو الأسلمي:

وقد زعم حمزة بن عمرو الأسلمي أنه لحق برسول الله «صلى الله عليه وآله» بالعقبة.. وأنه قد جمع الذي سقط من المتاع بسبب تنفيرهم برسول الله «صلى الله عليه وآله»، بعد أن نور الله له أصابعه..
ونقول:

١ - إن هذا مشكوك فيه، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» بعد أن أعلمه الله تعالى بالمؤامرة، قد أمر الناس بأن لا يمر منهم أحد بالعقبة، وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي^(١).

٢ - إن تنوير أصابع هذا الرجل كلها لا ضرورة له، إذ كان يكفي تنوير إصبع واحد له بحيث يجعله يضيئ له الدنيا بأسرها.. بل هو لا يحتاج إلى نور أصلاً، إذ إن حذيفة يقول: إنه سمع حسّ القوم، فالتفت فرأى قوماً ملثمين، فلم يعرفهم، لكنه عرف رواحلهم^(٢).
وهذا معناه: أن الظلام لم يكن دامساً بحيث يحتاج إلى تنوير خمس أصابع..

دباب الحصى، والهوة السحيقة:

قالوا: وحين رجوع الجيش من تبوك، كان في طريقهم عقبة صعبة، لا

(١) راجع: البحار ج ١٧ ص ١٨٤ ومجمع البيان ج ٥ ص ٥١ وعن الإحتجاج ج ١

ص ١٢٩ وتفسير العسكري ص ٣٨٠-٣٨٩

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٦ والسنن الكبرى

للبیهقي ج ٩ ص ٣٣.

يجتاز عليها إلا فرد رجل، أو فرد جمل، وكان تحتها هوة مقدار ألف رمح، فمن تعدى عن المجرى هلك من وقوعه في تلك الهوة.

وقد كانت غزوة تبوك، والعسكر يسير في الليل فراراً من الحرّ. فسبق بعضهم إلى تلك العقبة، وكانوا قد أخذوا دباباً كانوا هياؤها من جلد حمار، وضعوا فيها حصى، وطرحوها بين يدي الناقة^(١). ولعلمهم إنما وضعوا الحصى في تلك الدباب من أجل أن تصدر منها أصوات تفاجئ الناقة، وتوجب نفورها، بالإضافة إلى تعثرها بتلك الدباب.. غير أن النصوص المتقدمة قد ذكرت: أنه «صلى الله عليه وآله» أخبرهم بأن المتأمرين أرادوا أن يقطعوا أنساع ناقة، ثم ينخسوها لكي تلقيه.. فلعل هذا كان هو التدبير الأول لهم، ثم لما وجدوا أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد منع الناس من سلوك طريق العقبة، لم يعد يمكنهم الإقتراب منها، فهياؤا الدباب، وسبقوه إلى المكان، ثم نفروا به الناقة، فسقط بعض المتاع، ولم يتم لهم ما أرادوا..

في تبوك أم في حجة الوداع؟!

ثم إن معظم المصادر قد ذكرت هذه القضية في غزوة تبوك، لكن هناك سياق آخر يقول: إنها كانت بعد حادثة الغدير في حجة الوداع. وإنهم إنما فعلوا ذلك خوفاً من أن يأخذ البيعة لعلي «عليه السلام» منهم مرة أخرى في المدينة.

(١) البحار ج ٢٨ ص ٩٩ و ١٠٠ وج ٣٧ ص ١١٥ و ١٣٥ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٠٢ عنه.

ولا نستطيع أن نجزم بكذب أي من الروايتين، غير أننا نقول:
إن الأعراف بين المؤرخين سنةً وشيعةً، هو أنها كانت في تبوك.

لماذا هذه المؤامرة؟!

إن هذا النصر الذي سجّله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في تبوك، حيث ظهر لكل أحد رعب قيصر الروم من حركة المسلمين باتجاه بلاده، بالإضافة إلى أمور أخرى جرت في تبوك وأكّدت ورسّخت مكانة المسلمين، ليس في منطقة الحجاز وحسب، بل في المحيط العربي كله، ثم تجاوز ذلك أيضاً حتى بلغ بلاد الروم - إن ذلك - يطرح سؤالاً عن سبب لجوء هؤلاء الناس إلى هذه المؤامرة..

ولعل الإجابة الأقرب إلى القبول هي: أن هؤلاء الناس قد رأوا في تبوك تباشير مستقبل عظيم الأهمية، لا بد من أن يكون لهم نصيب فيه، ومن الواضح أن وجود النبي «صلى الله عليه وآله» سيكون مانعاً لهم من التصرف وفق ما تشتهيهم أنفسهم، فكيف وهم يرون أنه لم يزل يؤكد إمامة وخلافة علي «عليه السلام» من بعده، وهم يعلمون أن حالهم مع علي «عليه السلام» سوف لن تختلف عن حالهم مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه نسخة طبق الأصل عنه..

ولربما أصبحوا يخشون من أن يبادر «صلى الله عليه وآله» إلى عمل يخرجهم، ويعرقل خططهم الرامية إلى الإستئثار بالأمر من بعده، فكانت هذه المبادرة المخزية منهم..

لمحات أخرى على ما جرى في العقبة:

وقد ذكرت بعض الروايات: أن المنافقين كانوا قد دبروا لقتل علي «عليه السلام» في تبوك كما دبروا لقتل النبي «صلى الله عليه وآله» في العقبة، وذلك بأن حفروا في طريق علي «عليه السلام» في المدينة حفيرة طويلة بقدر خمسين ذراعاً، وقد عمقوها ثم غطوها بحصر، ثم وضعوا فوقها يسيراً من التراب، فإذا وقع فيها كبسوه بالأحجار حتى يقتلوه.

وقد أنجاه الله تعالى من كيدهم بكرامة منه، وعرفه أسماء تلك الجماعة التي فعلت ذلك، وأعلنها له، وكانوا عشرة، كانوا قد تواطأوا مع الأربعة والعشرين، الذين دبروا لقتل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في العقبة.

ثم تذكر الرواية حديث العقبة، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نزل بإزائها، وأخبر الناس بما جرى على علي «عليه السلام».. ثم أمرهم بالرحيل، وأمر مناديه فنادى: ألا لا يسبقن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحد على العقبة ولا يطأها حتى يجاوزها رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم أمر حذيفة أن يقعد في أصل العقبة، فينظر من يمر به، وأمره أن يتشبه بحجر، فقال حذيفة: يا رسول الله، إني أتبين الشر في وجوه رؤساء عسكرك، وإني أخاف إن قعدت في أصل الجبل، ثم جاء منهم من أخاف أن يتقدمك إلى هناك، للتدبير عليك، يحس بي، فيكشف عني، فيعرفني، وموضعي من نصيحتك، فيتهمني ويخافني فيقتلني.

إلى أن تذكر الرواية: أن حذيفة رأى الأربعة والعشرين رجلاً على جماهم، يقول بعضهم لبعض: من رأيتموه ها هنا كائناً من كان فاقتلوه، لئلا يخبروا محمداً بأنهم قد رأونا هنا، فينكص محمد، ولا يصعد هذه العقبة إلا نهراً،

فيبطل تدبيرنا عليه.

فسمعها حذيفة، واستقصوا فلم يجدوا أحداً.

ثم تذكر الرواية دحرجتهم للدباب، وأن الله تعالى قد حفظ نبيه «صلى الله عليه وآله» وجاز العقبة، وأرسل حذيفة إليهم، فضرب وجوه رواحلهم، فنفرت بهم، وسقط بعضهم، فانكسر عضده، وبعضهم انكسرت رجله، وبعضهم انكسر جنبه.

فلأجل ذلك كان حذيفة يعرف المنافقين.. انتهى ملخصاً^(١).

ونقول:

إنه يستوقفنا في هذه الرواية الأمور التالية:

قصة الحفيرة:

إن المدينة كانت قرية صغيرة، وكان سكانها قليلين، وبيوتها متراكمة ومجموعة، غير منتشرة، فإذا كان علي «عليها السلام» والياً على المدينة، ويمر من ذلك الطريق. فإن كان يمر منه في كل يوم فمعنى ذلك: أن هذه الحفيرة قد حفرت في أقل من يوم واحد، والمفروض: أن طولها كان خمسين ذراعاً، فكيف تمكنوا من حفر هذا المقدار في هذه المدة القصيرة؟! ومن الذي هياً الأمور بحيث لا يمر أحد من تلك الطريق ممن يمكن أن يخبر علياً «عليه السلام» بما يجري؟! ولماذا لم يتساءل الأطفال، والنساء، والرجال الساكنون، أو المارون من

(١) راجع: البحار ج ٢١ ص ٢٢٣ - ٢٣٢ والاحتجاج ج ١ ص ١١٦ - ١٣٢ وج ١ ص ٦٤ - ٦٥ والتفسير المنسوب للإمام العسكري ص ٣٨٠ - ٣٨٩.

هناك عن سبب حفر تلك الحفرة؟! ..

وهل لم يكن أحد من أهل الإيمان ومن بني هاشم يسكن في ذلك الحي كله، فيخبر علياً «عليه السلام» بالأمر؟! وهل كان علي «عليه السلام» مفرطاً في أمور ولايته إلى حد أن تحفر حفرة عميقة بطول خمسين ذراعاً في طريق عام، ولا يدري بها؟! إننا لا نملك جواباً مقبولاً أو معقولاً على هذه الأسئلة، يخفف من وطأة حيرتنا..

سبب منع النبي ' الناس من مرافقته:

لقد أكدت روايات عديدة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر الناس أن لا يطأوا العقبة حتى يجاوزها هو «صلى الله عليه وآله». وهذا إجراء لافت لا بد من فهمه، ومعرفة ما يتوخاه «صلى الله عليه وآله» منه..

ولنا أن نبادر إلى القول: بأن المقصود هو فضح المؤامرة، والتمكين من تحديد هوية فاعليها، فإنه لو سار الجيش بأكمله في تلك الطريق لم يمكن ذلك. ولكان قد أعطى الفرصة للمتآمرين لارتكاب جريمتهم، ثم يغيبون في خضم تلك الجموع الغفيرة، لتصبح هي الغطاء الطبيعي لهم، وسيجدون فيها من يساعدهم على إخفاء أنفسهم، ولربما يدعون أن الزحام هو السبب في سقوط النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الوادي، وقد يأتونهم إلى مسرح جريمتهم بعد ارتكابها في لهفة واستنكار، وبكاء واستعبار، فيساهمون في تشييع جنازة من قتلوا، ويشاركون في البحث عن القاتل

إمعاناً منهم في المكر والتضليل.

إنه «صلى الله عليه وآله» بإجرائه هذا قد أفردهم عن الجيش، ووضعهم أمام أعين رقبائه الذين رتبهم في مواضع قريبة، ولم يعد هناك أي فرصة للإيهام نتيجة للاختلاط بالآخرين، فإن الشبهة ممنوعة.

يضاف إلى ذلك: أن هذا الإجراء نفسه سوف يوقع الكثيرين في الحيرة، ويدعوهم للتساؤل عن سببه، فإذا تبين لهم الحق بعد ذلك، فستجدهم مسارعين لقبوله، وسوف لن يثور أي جدل حول صحته وواقعيته، وسوف توصل الأبواب أمام الشائعات، والتكهنات، والتشكيكات، بل تبقى الحقيقة بكل حيويتها، ووضوحها، وسيعرفها الناس، وسينقلونها للأجيال اللاحقة، وهي على ما هي عليه من الصفاء والنقاء، والإشراق والبهاء، وسيترك هذا الحدث أثره في العقل والقلب والوجدان، لأنه اقترن بمعجزة نبوية، وتسديد رباني، كان هو السبب في إبطال كيدهم، وافتضاح أمرهم.

التخفي بصورة حجر:

ويلاحظ هنا أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر حذيفة أن يقعد في أصل العقبة، وأن يتشبه بحجر، أي أنه يريد منه أن ينطوي على نفسه بطريقة تظهر للناظر أنه يرى حجراً، ولا يرى إنساناً.

وذلك لأن الوقت كان ليلاً، وكان المطلوب منه هو أن يتعرف على أشخاص المتأمرين، ولا يتيسر له ذلك في الليل إلا إذا كان قريباً جداً من الهدف حتى لو كان نور القمر موجوداً، ولو في بعض درجاته.. وقد كان «صلى الله عليه وآله» يعرف كما كان حذيفة يعرف أيضاً: أن هؤلاء المجرمين

.....
..
:
سوف لن يمكّنوا احداً من اقتفاء أثرهم، أو التعرف على اشخاصهم، وأنهم
سوف يتخلصون من كل من يصادفونه بالقتل، إن لم يمكنهم ابعاده، أو
ابعاد أنفسهم عن الأنظار..

رؤساء العسكر هم العدو:

وقد قال حذيفة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إني اتبين الشر في
وجوه رؤساء عسكرك»، ثم ذكر له: أنه يخشى ان يراه هؤلاء الرؤساء
المتآمرون ويقتلوه..

وهذا يدل على عدم صحة الرواية التي تتضمن اسماء مجهولة، لا يعرف
عنها احد شيئاً..

غير أن هذه الحقيقة ستكون مؤلمة جداً، وتجعل الشجى يعترض حلق
الإنسان المؤمن، وسيندى جبينه المأ وخجلاً من أن يكون الرؤساء هم
الأعداء والمتآمرون، وليس لنا إلا ان نقول: إنا لله وإنا اليه راجعون.

..... .. :

..

الفصل الحادي عشر:

أصح الروايات عن تبوك..
أو زبدة المخض

بداية:

وبعد.. فقد كان كل ذلك الذي قدمناه يعتمد على الروايات التي عرضها لنا أولئك البعداء عن خط أهل البيت «عليهم السلام»، والذين يدينون الله بالحب والولاء للذين عارضوهم، وأقصوهم عن مراتبهم التي رتبهم الله تعالى بها، بالقوة والقهر.. وسعوا إلى تصويب فعلهم هذا وتأويله، والتماس المخارج المختلفة والمتناقضة له في كثير من الأحيان. وقد رأينا أن أكثر تلك الروايات لم تكن سليمة عن التحريف والتزييف، ولكننا لم نغفل شيئاً منها يستحق التنويه أو العرض.

ولكننا سوف نذكر هنا رواية، ادخناها لتتوج بها جهد المتابع لأحداث هذه الغزوة، بعد أن يعيش بكل عقله وفكره الأجواء التي يريدون له أن يعيشها، ثم نفاجئه بهذه الرواية التي هي الأقرب إلى الحقيقة، والأصوب، والأصدق في عرض الوقائع، ليشعر بالفارق بينها وبين جميع ما عداها، رغم أنها لم توفق لسند يمكن وصفه بالصحة أو غيرها مما يوصف به المحدثون والمهتمون بالأسانيد رواياتهم. والرواية هي التالية:

النص الأقرب والأصوب:

لما مات سعد بن معاذ، بعد أن شفى غيظه من بني قريظة، قال رسول

الله «صلى الله عليه وآله»: «يرحمك الله يا سعد، فلقد كنت شجاً في حلوق الكافرين، لو بقيت لكففت العجل الذي يراد نصبه في بيضة الإسلام، كعجل قوم موسى.

قالوا: يا رسول الله، أوعجل يراد أن يتخذ في مدينتك هذه؟
قال: «بلى، والله يراد، ولو كان لهم سعد حياً ما استمر تدبيرهم. ويستمرون ببعض تدبيرهم، ثم الله يبطله».
قالوا: أتخبرنا كيف يكون ذلك؟
قال: «دعوا ذلك لما يريد الله أن يدبره».

قال موسى بن جعفر «عليه السلام»: ولقد اتخذ المنافقون من أمة محمد «صلى الله عليه وآله» بعد موت سعد بن معاذ، وبعد انطلاق محمد «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك، أبا عامر الراهب أميراً ورئيساً، وبايعوا له، وتواطأوا على إتهاب المدينة، وسبي ذراري رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسائر أهله وصحابته، ودبروا التبييت على محمد، ليقتلوه في طريقه إلى تبوك.
فأحسن الله الدفاع عن محمد «صلى الله عليه وآله»، وفضح المنافقين وأخزاهم، وذلك أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «لتسلكن سبل من كان قبلكم، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه».

قالوا: يا ابن رسول الله، من كان هذا العجل؟! وماذا كان هذا التدبير؟!
فقال «عليه السلام»: اعلموا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يأتيه الأخبار عن صاحب دومة الجندل، وكان ملك تلك النواحي، له مملكة عظيمة مما يلي الشام، وكان يهدد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه

يقصده، ويقتل أصحابه، ويبيد خضراءهم.

وكان أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» خائفين وجلين من قبله، حتى كانوا يتناوبون على رسول الله «صلى الله عليه وآله» كل يوم عشرون منهم، وكلما صاح صائح ظنوا أنه قد طلع أوائل رجاله وأصحابه.

وأكثر المنافقون الأراجيف والأكاذيب، وجعلوا يتخللون أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله»، ويقولون: إن أكيدر قد أعد من الرجال كذا، ومن الكراع كذا، ومن المال كذا، وقد نادى فيما يليه من ولايته: ألا قد أبحتكم النهب والغارة في المدينة، ثم يوسوسون إلى ضعفاء المسلمين يقولون لهم: فأين يقع أصحاب محمد من أصحاب أكيدر؟ يوشك أن يقصد المدينة فيقتل رجالها، ويسبي ذراريها ونساءها.

حتى أذى ذلك قلوب المؤمنين، فشكوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما هم عليه من الخدع.

ثم إن المنافقين اتفقوا، وبايعوا أبا عامر الراهب الذي سماه رسول الله «صلى الله عليه وآله» الفاسق، وجعلوه أميراً عليهم، وبخعوا له بالطاعة، فقال لهم: الرأي أن أغيب عن المدينة، لئلا أتهم بتدبيركم.

وكتبوا أكيدر في دومة الجندل، ليقصد المدينة، ليكونوا هم عليه، وهو يقصدهم فيصطلموه.

فأوحى الله إلى محمد «صلى الله عليه وآله»، وعرفه ما اجتمعوا عليه من أمرهم، وأمره بالمسير إلى تبوك.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا أراد غزواً ورى بغيره إلا غزاة تبوك، فإنه أظهر ما كان يريده، وأمرهم أن يتزودوا لها، وهي الغزاة

التي افترض فيها المنافقون، وذمهم الله تعالى في تشييطهم عنها، وأظهر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما أوحى إليه أن (الله) سيظفره بأكيدر، حتى يأخذه ويصالحه على ألف أوقية من ذهب في صفر، وألف أوقية من ذهب في رجب، ومائتي حلة في صفر، ومائتي حلة في رجب، وينصرف سالماً إلى ثمانين يوماً.

فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن موسى وعد قومه أربعين ليلة، وإني أعدكم ثمانين ليلة، ثم أرجع سالماً غانماً، ظافراً بلا حرب يكون، ولا أحد يستأسر من المؤمنين.

فقال المنافقون: لا والله، ولكنها آخر كسراته التي لا ينجبر بعدها، إن أصحابه ليموت بعضهم في هذا الحر، ورياح البوادي، ومياه المواضع المؤذية الفاسدة، ومن سلم من ذلك فبين أسير في يد أكيدر، وقتيل وجريح. واستأذنه المنافقون بعلل ذكروها، بعضهم يعتل بالحر، وبعضهم بمرض يجده، وبعضهم بمرض عياله، وكان يأذن لهم.

فلما صح عزم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الرحلة إلى تبوك عمد هؤلاء المنافقون فبنوا مسجداً خارج المدينة وهو مسجد الضرار، يريدون الاجتماع فيه، ويوهمون أنه للصلاة، وإنما كان ليجتمعوا فيه لعة الصلاة، فيتم لهم به ما يريدون.

ثم جاء جماعة منهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقالوا: يا رسول الله إن بيوتنا قاصية عن مسجدك وإنما نكره الصلاة في غير جماعة، ويصعب علينا الحضور، وقد بنينا مسجداً، فإن رأيت أن تقصده وتصلي فيه لنتيمّن ونتبرك بالصلاة في موضع مصلاك، فلم يعرفهم رسول الله «صلى

الله عليه وآله» ما عرفه الله من أمرهم ونفاقهم، وقال: اتتوني بحماري.
فأتي باليعفور فركبه يريد نحو مسجدهم، فكلما بعثه هو وأصحابه لم
ينبعث ولم يمش، فإذا صرف رأسه إلى غيره، سار أحسن سير وأطيبه.
قالوا: لعل هذا الحمار قد رأى في هذا الطريق شيئاً كرهه، فلذلك لا
ينبعث نحوه.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إيتوني بفرس فركبه، فكلما بعثه
نحو مسجدهم لم ينبعث، وكلما حركوه نحوه لم يتحرك، حتى إذا ولوا رأسه
إلى غيره سار أحسن سير.

فقالوا: لعل هذا الفرس قد كره شيئاً في هذا الطريق.
فقال: تعالوا نمش إليه، فلما تعاطى هو وأصحابه المشي نحو المسجد
جفوا في مواضعهم، ولم يقدرُوا على الحركة، وإذا هموا بغيره من المواضع
خفت حركاتهم، وحتت أبدانهم، ونشطت قلوبهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن هذا أمر قد كرهه الله، فليس
يريده الآن، وأنا على جناح سفر، فأمهّلوا حتى أرجع إن شاء الله تعالى، ثم
أنظر في هذا نظراً يرضاه الله تعالى.

وجد في العزم على الخروج إلى تبوك، وعزم المنافقون على اصطلام
مخلفيهم إذا خرجوا، فأوحى الله تعالى إليه: يا محمد، إن العلي الأعلى يقرأ
عليك السلام ويقول لك: «إما أن تخرج أنت وقيم علي، وإما أن يخرج علي
وتقيم أنت».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ذاك لعلي».
فقال علي «عليه السلام»: السمع والطاعة لأمر الله وأمر رسوله، وإن

كنت أحب أن لا أتخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حال من الأحوال.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟! فقال: رضيت يا رسول الله.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا أبا الحسن! إن لك أجر خروجك معي في مقامك بالمدينة، وإن الله قد جعلك أمة وحدك، كما جعل إبراهيم أمة، تمنع جماعة المنافقين والكفار هيبتك عن الحركة على المسلمين. فلما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» وشيعه علي «عليه السلام» خاض المنافقون وقالوا: إنما خلفه محمد بالمدينة لبغضه له، وملا له منه، وما أراد بذلك إلا أن يبيته المنافقون فيقتلوه، ويحاربوه فيهلكوه. فاتصل ذلك برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال علي «عليه السلام»: تسمع ما يقولون يا رسول الله؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أما يكفيك أنك جلدة ما بين عيني، ونور بصري، وكالروح في بدني. ثم سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأصحابه، وأقام علي «عليه السلام» بالمدينة، وكان كلما دبر المنافقون أن يوقعوا بالمسلمين فزعوا من علي «عليه السلام»، وخافوا أن يقوم معه عليهم من يدفعهم عن ذلك، وجعلوا يقولون فيما بينهم: هي كرة محمد التي لا يؤوب منها.

فلما صار بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين أكيدر مرحلة قال تلك العشيّة: يا زبير بن العوام، يا سمالك بن خرشة، امضيا في عشرين من

المسلمين إلى باب قصر أكيدر، فخذاه، واثنياني به.

قال الزبير: وكيف يا رسول الله «صلى الله عليه وآله» نأتيك به ومعه من الجيش الذي قد علمت، ومعه في قصره - سوى حشمه - ألف ما دون عبد وأمة وخادم؟

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: تحتالان عليه، وتأخذانه.

قال: يا رسول الله، وكيف وهذه ليلة قمراء، وطريقنا أرض ملساء، ونحن في الصحراء لا نخفى؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أتحبان أن يستركما الله عن عيونهم، ولا يجعل لكما ظلاً إذا سرتما، ويجعل لكما نوراً كنور القمر لا تبيينان منه؟ قالوا: بلى.

قال: «عليكما بالصلاة على محمد وآله الطيبين، معتقدين أن أفضل آله علي بن أبي طالب، وتعتقد يا زبير أنت خاصة أن لا يكون علي «عليه السلام» في قوم إلا كان هو أحق بالولاية عليهم، ليس لأحد أن يتقدمه.

فإذا أنتما فعلتما ذلك وبلغتما الظل الذي بين يدي قصره من حائط قصره، فإن الله سيبعث الغزلان والأوعال إلى بابه، فتحك قرونها به، فيقول: من لمحمد في مثل هذا؟ فيركب فرسه لينزل فيصطاد.

فتقول له امرأته: إياك والخروج، فإن محمداً قد أناخ بفنائك، ولست آمن أن يحتال عليك، ودس من يغزونك.

فيقول لها: إليك عني فلو كان أحد يفصل عنه في هذه الليلة لتلقاه في هذا القمر عيون أصحابنا في الطريق. وهذه الدنيا بيضاء لا أحد فيها، فلو كان في ظل قصرنا هذا إنسي لنفرت منه الوحش.

فينزل ليصطاد الغزلان والأوعال، فتهرب من بين يديه، ويتبعها فتحيطان به وتأخذانه».

وكان كما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخذوه، فقال: لي إليكم حاجة.

قالوا: ما هي؟ فإننا نقضيها إلا أن تسألنا أن نخليك.

قال: تنزعون عني ثوبي هذا، وسيفي ومنطقتي وتحملونها إليه، وتحملوني في قميصي لئلا يراني في هذا الزي، بل يراني في زي تواضع فلعله أن يرحمني.

ففعّلوا ذلك، فجعل المسلمون والأعراب يلبسون ذلك الثوب ويقولون:

هذا من حلل الجنة، وهذا من حلي الجنة يا رسول الله؟

قال: «لا، ولكنه ثوب أكيدر، وسيفه ومنطقته، ولمنديل ابن عمتي الزبير وسماك في الجنة أفضل من هذا، إن استقاما على ما أمضيا من عهدي إلى أن يلقياني عند حوضي في المحشر.

قالوا: وذلك أفضل من هذا؟

قال: بل خيط من منديل بأيديهما في الجنة أفضل من ملء الأرض إلى السماء مثل هذا الذهب.

فلما أتى به رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: يا محمد أقلني، وخلني على أن أدفع عنك من ورائي من أعدائك.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فإن لم تف به؟

قال: يا محمد، إن لم أف لك فإن كنت رسول الله فسيظفرك بي، من منع ظلال أصحابك أن يقع على الأرض حتى أخذوني، ومن ساق الغزلان إلى بابي حتى استخرجتني من قصري، وأوقعتني في أيدي أصحابك.

وإن كنت غير نبي، فإن دولتك التي أوقعني في يدك بهذه الخصلة العجيبة، والسبب اللطيف ستوقعني في يدك بمثلها.

قال: فصالحه رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ألف أوقية من ذهب في رجب ومأتي حلة، وألف أوقية في صفر ومأتي حلة، وعلى أنهم يضيفون من مر بهم من العساكر ثلاثة أيام، ويزودونهم إلى المرحلة التي تليها، على أنهم إن نقضوا شيئاً من ذلك فقد برئت منهم ذمة الله، وذمة محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم كرّر رسول الله «صلى الله عليه وآله» راجعاً إلى المدينة إلى إبطال كيد المنافقين في نصب ذلك العجل الذي هو أبو عامر، الذي سماه النبي «صلى الله عليه وآله» الفاسق.

وعاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» غانماً ظافراً، وأبطل الله كيد المنافقين. وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإحراق مسجد الضرار، وأنزل الله عز وجل: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً} (١) الآيات. وقال موسى بن جعفر «عليهما السلام»: فهذا العجل في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» دمر الله عليه، وأصابه بقولنج، وفالج، وجذام، ولقوة. وبقي أربعين صباحاً في أشد عذاب، صار إلى عذاب الله (٢).

(١) الآية ١٠٧ من سورة التوبة.

(٢) راجع: تفسير الإمام العسكري «عليه السلام» ص ١٦٩ - ١٩٩ و (ط) مدرسة الإمام المهدي «عليه السلام» سنة ١٤٠٩ هـ) ص ٤٨٠ - ٤٨٨ والبحار ج ٢١ ص ٢٥٧ - ٢٦٣ عنه، وراجع: التفسير الصافي ج ٢ ص ٣٧٦.

ونقول:

إن هذا النص قد تضمن أموراً هامة، نحب لفت النظر إليها، وهي
التالية:

الإنقلاب يبدأ بضرب نقطة الارتكاز:

قد أظهر النص المتقدم: أن المؤامرة على النبي «صلى الله عليه وآله» لم تكن وليدة ساعتها، بل جاءت ضمن خطة شاملة ودقيقة، حددت الأهداف وطريقة العمل، وتوقعت النتائج، وتوخت أن تكون ضرباتها حاسمة ومؤثرة، ومحمية، وحسبت لكل أمر حسابه..

فكان على رأس أولياتهم تسديد ضربة حاسمة لمركز القرار، ونقطة الارتكاز، ورأس الهرم الحافظ والضامن لوحدة الكيان العام كله، والمؤثر في حركته كلها. ثم لكل امتداداته المؤثرة، أو التي يحتمل أن تؤثر في إعادة انتظام عقد الاجتماع، وامتلاك زمام المبادرة بنفس ما حكموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما أوضحه نص آخر، وقرروا سبي جميع ذراري النبي «صلى الله عليه وآله»، وسائر أهله وصحابته..

كل ذلك لإدراكهم أن حدوث الفراغ في مركز القرار، سيؤدي إلى شل حركة سائر الخلايا الفاعلة والحية في الكيان كله، وسيضع الكيان كله على طريق التمزق والتلاشي..

ولأجل ذلك حاولوا أن يتخلفوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا يسيروا معه إلى تبوك..

الخطبة الملعونة:

وقد صرحوا: بأنهم سوف يضعون المسلمين بين خطرين داهمين: خطر يأتي من قبلهم، فهم يهاجمونهم، فيصطلون مَخْلَفِي المسلمين إذا خرجوا، فإذا عادوا من تبوك، فإن أكيدر يلاحقهم، والمتخلفون في المدينة يهاجمونهم من جهة المدينة، وأكيدر يهاجمهم بجموعه من الخلف، ويحده في ذلك هرقل، وملك غسان من جهة الشام، إن نجح أبو عامر الراهب في إقناعها بذلك. ويبدو أن أبا عامر قد نجح في إيجاد صلة بين منافقي المدينة وبين ملك غسان، كما ربما تشير إليه رسالة ملك غسان إلى كعب بن مالك.

القرار النبوي في ثلاثة اتجاهات:

ولكن القرار النبوي الذي فاجأهم، قد حسم الأمور في ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الأول: أنه أبطل كيدهم بجعل علي «عليه السلام» خليفته في المدينة، فلم يَمَكَّنْهم من فعل أي شيء فيها، حسبما أوضحته الرواية المتقدمة عن الإمام الكاظم «عليه السلام»..

الاتجاه الثاني: القضاء على أكيدر بصورة سريعة وحاسمة، والإتيان به أسيراً إلى المدينة لكي يروا جميعاً وبأَم أعينهم ضعفه، وذله..

الاتجاه الثالث: الإثبات العملي لهم بأن قيصر، ومن تبعه، بما فيهم الحارث الغساني، لا يجرؤون على مواجهته، بل هم يخطبون وده، ويراعون جانبه، ويسعون لكسب رضاه.

ومما زاد في خزيهم وذلمهم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان قد أخبرهم بما يجري على أكيدر، وبمقدار الجزية التي يضعها عليه..

وربما يكون هذا هو السبب أيضاً في إعلانه «صلى الله عليه وآله» جهة السير حين خرج بجيشه من المدينة، فإنه أراد أن لا يدخل في وهم أحد أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخذ أعداءه على حين غرة، وأنه لولا ذلك فلربما كانت النتائج على عكس ما جاءت عليه.. وذلك أبعد أثراً في قطع آمال أهل النفاق، وفي خزي أهل الشقاق..

الإخبار بالغيب، والمعجزات في تبوك:

ورغم أنه «صلى الله عليه وآله» كان يظهر لأصحابه المعجزات والكرامات بين الفينة والفينة، خصوصاً في ساعات العسرة، ليكون ذلك أوقع في نفوسهم، وليربط على قلوبهم، وأدعى لتلمسهم مواقع الإعجاز وخصوصية الكرامة فيما يرونه ويعيشونه.. فإن ما ظهر لهم في غزوة تبوك على الخصوص كان يزيد على ما ظهر لهم في غيرها بأضعاف كثيرة، حتى ليخيّل لقارئ نصوص هذه الغزوة: أن كل ما يجري مرتبط بالغيب، ويراد به إظهار الكرامة والرعاية، والتدخل الإلهي، من دون التفات يذكر إلى الأسباب الظاهرة..

حتى لقد أخبرهم حسبما تقدم عن الإمام الكاظم «عليه السلام» بما يجري على أكيدر، وبمقدار الجزية التي يضعها عليه.. وهذا يدل على أن لتبوك خصوصية انفردت بها عما عداها.. ولعل خصوصيتها تكمن في أنها تريد أن تسدد إلى النفاق وأهله ضربة مهلكة، فإن الحرب مع المنافقين قد بلغت الذروة وأصبحت مصيرية، وحاسمة.. وكان ظهور أي ضعف أو توان في هذا المجال، من شأنه أن يعرّض

كل جهود الأنبياء إلى خطر داهم وأكد، كما أظهرته رواية الإمام الكاظم
«عليه السلام» المتقدمة..

وظهور هذا الارتباط العميق بالغيب قد حفظ الكثيرين من أن يتأثروا
بوسوسات المنافقين، وأباطيلهم وأضاليلهم..

إن تهلك هذه العصابة لا تعبد:

وقد فسرت لنا الرواية المشار إليها أيضاً ما عناه رسول الله «صلى الله
عليه وآله» بقوله على المنبر، وهو يحث الناس على الجهاد: «اللهم إن تهلك
هذه العصابة لن تعبد في الأرض»^(١).

فإن المؤامرة كانت كبيرة وخطيرة، وكان استهداف رسول الله «صلى
الله عليه وآله» وجميع صحابته الأخيار، وكذلك أهل بيته واصطلامهم يشير
إلى قلة أهل الإيمان، بالنسبة إلى من عداهم من أهل النفاق، فإنهم كانوا هم
الكثرة الساحقة التي جعلت المنافقين يستسهلون ارتكاب هذه الجريمة،
غير مكترئين بتبعاتها.. إذ لو كان المنافقون هم القلة القليلة - ثمانين رجلاً أو
أكثر بقليل مثلاً - فإن ارتكابهم لجريمتهم سوف يستتبع ثورة عارمة ضدهم
لا بد أن تنتهي باستئصالهم..

ولعل مما يشير إلى ذلك: أن حشود أكيدر مهما كانت كثيرة وخطيرة،
فإنها لا تستطيع إبادة ثلاثين ألفاً، حتى مع مساعدة أهل النفاق المتواجدين
في المدينة لهم.

(١) المعجم الكبير ج ١٨ ص ٢٣٢ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٩١ وكنز العمال ج ١٣
ص ٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٦٣.

وهذا يعطي: أنهم كانوا يتكلمون على مساعدة لهم على ذلك تكون من نفس الجيش الذي كان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولو بقيام مجموعة منه باغتيال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم يتولى فريق آخر السيطرة على الموقف، مع قدرتهم على ذلك، بسبب كثرتهم العارمة، وقلة جماعة أهل الإيمان..

ومما يدل على ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر المضرب، بأن يُعدَّ له العسكر في تبوك، فعدهم فكانوا ثلاثين ألفاً، ثم أمره بأن يعد المؤمنين منهم، فكانوا خمسة وعشرين رجلاً فقط^(١)، حسبما تقدم. وما أسهل كسر شوكة عشرين رجلاً على يد ثلاثين ألفاً يحسبون أنهم معهم، فكيف إذا انضم إليهم ما يحشده أكيدر، ثم ما يقوم به منافقوا المدينة بعد أن يستأصلوا من عندهم من أهل النبي «صلى الله عليه وآله»، ومن المؤمنين؟!..

وتتأكد فرص نجاح هذه المؤامرة الخبيثة إذا نجح المنافقون في قتل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقتل علي «عليه السلام»..

قائد السرية خالد؟! أم الزبير وأبو دجانة؟!

وقد زعمت الروايات التي نقلها أتباع مناوئي علي «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر خالدًا على سرية دومة الجندل..

(١) راجع: تفسير القمي ج ١ ص ٢٩٦ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٣٢ والبحار ج ٢١ ص ٢١٨ والبيان للطوسي ج ٥ ص ٢٨٠ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج ٥ ص ١٠٤.

ولكن الرواية التي ذكرناها آنفاً عن الإمام الكاظم «عليه السلام»، تقول:
إنه «صلى الله عليه وآله» قد أوكل أمر أكيدر إلى الزبير، وأبي دجانة.
ونحن لا نمنع أن يكون خالد قد حضر في تلك السرية أيضاً، فاعتنمها
محبوه فرصة، فنسبوا السرية إليه، لينيلوه فضيلة كان بحاجة ماسة إليها، بعد
أن كان السبب في تضييع النصر العظيم الذي كان ينتظره المسلمون في
مؤتة، وبعد ما فعله ببني جذيمة، ومالك بن نويرة.
أما أبو دجانة فليس له أحد يهتم بحفظ تاريخه، والذب عن مواقفه،
وبيان مواقع التجني عليه، والإغارة على منجزاته..

كما أن الزبير، فهو وإن كان - عند هؤلاء المخدولين - قد نال شرف
القتال ضد علي «عليه السلام»، لكنه لم يعد يستحق الذكر، بعد أن نازع
ولده المشؤوم بني أمية وانتزع منهم الحجاز.. وهذا ذنب لا يغفره له
الأمويون، وهم الشجرة الملعونة في القرآن، وأشياعهم، ومحبوهم، وما
أكثرهم.

مناديل سعد، أم مناديل الزبير؟!

وقد تقدم في الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها: أنه «صلى الله عليه
وآله» قال: لمنديلُ ابن عمتي الزبير، وسماك (يعني أبا دجانة) في الجنة أفضل
من هذا، إن استقاما على ما أمضيا من عهدي، إلى أن يلقياني عند حوضي في
المحشر..

ونقول:

أولاً: إن الكلام عن مندلي الزبير وأبي دجانة في الجنة اقترن باشتراط

استقامتهما على العهد إلى أن يلقياه في المحشر.. وهذا لا يختص بهما بل هو يجري على كل الناس، ولعل تخصيصهما بالذكر لأنه ولاهما أخذ أكيدر. ويريد «صلى الله عليه وآله» أن يظهر قيمة الإيمان والإسلام، وأنه هو المعيار، وليس كونه ملكاً، أو سوقة..

ثانياً: إن اشتراط بقاء الزبير وأبي دجانة على العهد، قد جاء بلفظ «إن» التشكيكية، أي التي يؤتى بها عند الشك في تحقق مدخولها، بخلاف «إذا» التحقيقية، فإنها يؤتى بها للدلالة على تحقق مدخولها، قال الزمخشري:

سلم على شيخ النحاة وقل له: عندي سؤال من يحبه يعظم
أنا إن شككت وجدتموني جازماً وإذا جزمت فإنني لم أجزم
قل في الجواب بأن إن في شرطها جزمت ومعناها التردد فاعلم
وإذا لجزم الحكم إن شرطية وقعت ولكن لفظها لم يجزم^(١)

ثالثاً: إن الوقائع اللاحقة قد أظهرت: أن الزبير لم يبق على العهد، فقد خرج على إمام زمانه علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد قتل في تلك الواقعة من المسلمين ما يعد بالألوف، وربما بعشرات الألوف أيضاً، طمعاً منه في الدنيا، ورغبة عن الآخرة..

رابعاً: إن الروايات الأخرى قد ذكرت مناديل سعد بن معاذ بدلاً عن مناديل الزبير، ونحن لا نمنع من أن يكون قد قال هذه الكلمة مرتين، أو أنه «صلى الله عليه وآله» قالها في مناسبة أخرى، ولكن الرواة نقلوها إلى هنا، فعن البراء قال: أهدى إلي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثوب حرير،

(١) راجع: حاشية رد المحتار لابن عابدين ج ١ ص ٩٥.

فجعلوا يعجبون من لينه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أتعجبون من هذا؟ لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا»^(١).

الحرب الإعلامية وأثرها:

والمراجع لآيات القرآن الكريم يلمس الإهتمام الظاهر في آياته المباركة

(١) أسد الغابة ج ٢ ص ٢٩٨ وراجع: الإحتجاج للشيخ الطبرسي ج ١ ص ٢١١ ومسند أحمد ج ٣ ص ١١١ وج ٣ ص ٢٣٤ وصحيح البخاري ج ٧ ص ٢٢٠ وسنن الترمذي ج ٣ ص ١٣٣ وسنن النسائي ج ٨ ص ٢٠٠ وفضائل الصحابة للنسائي ص ٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٢٧٤ وج ٥ ص ٦٢ و ٤٧٢ وشرح مسلم للنووي ج ١٦ ص ٢٣ وفتح الباري ج ١٠ ص ٢٤٥ وعمدة القاري ج ١٣ ص ١٧٠ وج ١٦ ص ٢٦٧ وج ٢٢ ص ١٤ وج ٢٣ ص ١٧٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٠٨ وج ٨ ص ٤٩٧ ومسند أبي يعلى ج ٣ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ والمعجم الكبير ج ٦ ص ١٣ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٧ ص ١٣٨ وتغليق التعليق ج ٥ ص ٦٢ و ١٩٤ وخلاصة تذهيب تهذيب ص ١٣٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٤٣٥ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٠٧ وتهذيب الكمال ج ٢٢ ص ٢٤٦ وميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ١٢٨ والإصابة ج ٤ ص ٥٢٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٤٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٧٦ وصحيح البخاري ج ٢ ص ٢٠٠ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٥٠ و ١٥١ راجع: سيرة مغلطاي ص ٥٧ ومرآة الجنان ج ١ ص ١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٧٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٢٩ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٧٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٨ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٥٠٠ وتاريخ الإسلام (المغازي) ص ٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٤٨ و ٢٤٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٤٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢٠.

بالتصدي للإعلام المسموم، وبيان ما فيه من زيف، وما يكمن وراءه من خلفيات، وأهداف، ويبدو هذا الإهتمام واضحاً من خلال الآيات الكثيرة النازلة في مناسبة حرب تبوك التي تسجل إدانات واضحة للشائعات الكاذبة، التي تهدف إلى التأثير على روحية الناس، وإسقاطهم، وهزيمتهم نفسياً..

وقد بين النص المتقدم مدى تأثير شائعات ووسوسات المنافقين على الناس الذين لا يملكون ثقافة واسعة، أو حصانة كافية.. فكان لا بد من مواجهة هذا الكيد الرخيص، الذي لا يؤمن بقيم، ولا يلتزم بمبادئ بصورة قوية وحاسمة، وهكذا كان..

سياسة الفضائح:

وقد واجه الله هذا الكيد الإعلامي بسياسة مرة وقوية، لم يعرفوها من قبل، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما كان يرفق بهم حيثما كان الرفق سديداً ومفيداً..

ولعله يحق لنا أن نسمي هذه السياسة التي اتبعها الله عز وجل بـ «سياسة الفضائح»، - خصوصاً بعدما سميت سورة التوبة التي جاءت كثير من آياتها فيهم بالفاضحة - حيث بين تبارك وتعالى فنون مكرهم، وخفايا أساليبهم التي اتبعوها في قضية تبوك بصراحة ووضوح، فذكر أنهم منافقون.

١ - قد ابتغوا الفتنة.

٢ - وأنهم قلبوا للنبي «صلى الله عليه وآله» الأمور.

٣ - وقالوا: هو أذن.

٤ - وأنهم يلمزون المطّوعين.

٥ - يسخرون من المؤمنين الذين لا يجدون إلا جهدهم.

٦ - يكذبون.

٧ - يستهزؤون.

٨ - يقولون للناس: لا تنفروا في الحر.

٩ - بنوا مسجداً ضراراً.

إلى غير ذلك مما يمكن استخلاصه من آيات سورة التوبة التي فضحتهم، فسميت السورة بالفاضحة..

وقد بينت الآيات القرآنية للناس حقيقة تصرفاتهم، وأهدافهم، ونواياهم منها.. فتحدثت بالإضافة إلى ما تقدم عن سبب بنائهم لمسجد الضرار، وأنهم قد بنوه ضراراً وكفراً، وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل..

وأنهم إذا قيل لهم: انفروا ثاقبوا إلى الأرض، رضاً بالحياة الدنيا، ورغبة عن نصر رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وأنهم يحلفون أن لو استطاعوا لخرجوا، وهم كاذبون، وأنهم يستأذنونهم بالتخلف عنه. وأنهم لو خرجوا مع المسلمين ما زادوهم إلا خبالاً، ولأوضعوا خلاصهم، وأن منهم من يقول: إءذن لي ولا تفتني. وأنه إن تصب النبي «صلى الله عليه وآله» حسنة تسؤهم، وإن تصبه مصيبة يقولوا: قد أخذنا أمرنا من قبل، ويتولوا وهم فرحون. وأنهم ينفقون وهم كارهون.

وأنهم يحلفون إنهم لمن المسلمين، وما هم منهم. وأن منهم من يلمز النبي «صلى الله عليه وآله» في الصدقات، فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم

يعطوا منها إذا هم يسخطون. وأنهم إن سألهم عن استهزائهم يقولون: كنا نخوض ونلعب. وأنهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف. ويقبضون أيديهم، ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن، فلما آتاهم من فضله بخلوا به، وقد فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقالوا: لا تنفروا في الحر.

وإذا ما أنزلت سورة: أن آمنوا بالله، وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم، وقالوا: ذرنا نحن مع القاعدين.. وأنهم يعتذرون إليكم إذا رجعت إليهم، وسيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم، ولترضوا عنهم.. وأن منهم من يتخذ ما ينفق مغرمًا، ويتربص بكم الدوائر.. وغير ذلك مما صرحت به الآيات الكريمة في تلك السورة المباركة^(١).

عدد سرية أسري أكيدر:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة عن الإمام الكاظم «عليه السلام»: أن عدد أفراد السرية التي أرسلها النبي «صلى الله عليه وآله» لأسر أكيدر كان حوالي عشرين رجلاً فقط.. لكن الروايات التي رواها الآخرون تقول: إن عددهم كان أربع مائة وعشرين..

(١) راجع سورة التوبة.

ونرى: أن تنفيذ هذه المأمورية على النحو الذي وصفه لهم النبي «صلى الله عليه وآله» لا يحتاج إلى أكثر من عشرين رجلاً.. إذ إن أسر هذا الرجل سيتم دون أن يتمكن أحد من نجدته أو الدفاع عنه، بل دون أن يعلم أحد بالأمر..

على أن وجود جيش يتألف من ثلاثين ألفاً بالقرب من هذه الجماعة، وكان أكيدر على علم بوجوده، وقد حذرته منه زوجته حين حاولت أن تشنيه عن الخروج في تلك الليلة كما تقدم ستكون أقوى رادع لأتباع أكيدر عن القيام بأي تحرك لملاحقه أسريه، كما أن أسر أكيدر سيجعل الرعية بلا راع، والجند بلا قائد، وسيكون سبباً آخر لمزيد من التخبُّط والإحباط، والخضوع للأمر الواقع.

بل إننا حتى لو أخذنا برواية الأربع مائة وعشرين رجلاً، فسوف لن نستفيد شيئاً: إذا كان لدى أكيدر ألوف من المقاتلين، كما ورد في سائر الروايات، خصوصاً وأن خالداً قد عودنا على الهزيمة، بلا حاجة إلى عساكر جراحة، بل هو قد عودنا على التخلي عن النصر المحقق لصالح أعداء الدين كما هو الحال في مؤتة.. فلا فرق بين الأربع مائة والألف، لأن النتيجة ستكون واحدة.

المطلوب من الزبير خاصة:

ويلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد طلب من الزبير خاصة أن يعترف بالولاية لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وذلك لأنه «صلى الله عليه وآله» كان يعرف ابن عمته حق المعرفة، وقد أخبره بأنه سيقا تل علياً «عليه

- (١) علي والخوارج ج ١ ص ٢٥٣ و ٢٥٨ وراجع: أنساب الاشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٢٥٨ وراجع: مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٦٦ وأسد الغابة ج ٢ ص ١٩٩ والشافي في الإمامة للشريف المرتضى ج ٤ ص ٣٢٣ والوافي بالوفيات ج ١٤ ص ١٢٣ ورسائل المرتضى للشريف المرتضى ج ٤ ص ٧٢ وكفاية الأثر ص ١١٥ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج ٤ ص ٨٤ وكشف المحجة لثمرة المهجة للسيد ابن طاووس ص ١٨٣ والصراط المستقيم ج ٣ ص ١٢٠ و ١٧١ والجمل لابن شدقم ص ١٠ و ١٣١ والبحار ج ١٨ ص ١٢٣ وج ٣٠ ص ١٩ وج ٣٢ ص ١٧٣ وج ٣٦ ص ٣٢٤ وفتح الباري ج ٦ ص ١٦١ وج ١٣ ص ٤٦ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٢٤١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٧١٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٢٣٤ وج ١٣ ص ٢٨٧ وكنز العمال ج ١١ ص ٣٣٠ وفيض القدير ج ٤ ص ٣٥٨ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٤٢٣ والضعفاء للعقيلي ج ٣ ص ٦٥ والعلل للدارقطني ج ٤ ص ٢٤٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٨ ص ٤٠٩ و ٤١٠ وتهذيب الكمال للمزي ج ١٨ ص ٩٣ والإصابة ج ٢ ص ٤٦٠ وتهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٩٠ والعثمانية للجاحظ ص ٣٣٥ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٤٠ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢٣٧ و ٢٣٨ وج ٧ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ وكتاب الفتوح لأعثم ج ٢ ص ٤٧٠ والإستغاثة ج ٢ ص ٦٨ وبشارة المصطفى للطبري ص ٣٨٠ وإعلام الوري ج ١ ص ٩١ والمناقب للخوارزمي ص ١٧٩ ومطالب السؤول في مناقب آل الرسول «عليه السلام» لمحمد بن طلحة الشافعي ص ٢١٥ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٤٢ وكشف اليقين ص ١٥٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٤١٢ و ٤١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ١٤٩ وخزانة الأدب للبغداد ج ٥ ص ٤١٦ وج ١٠ ص ٤٠٣.

.....
..
:
وأخبر علياً «عليه السلام»، وسائر الناس بقتال الناكثين والقاسطين
والمارقين لعلي «عليه السلام»، والمراد بالناكثين أصحاب الجمل بقيادة
عائشة، وطلحة والزبير..

..... .. :

الفصل الثاني عشر:

النبي ' في المدينة بعد تبوك

بالمدينة أقوام لهم أجر المجاهدين:

عن أنس وجابر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة فقال: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم».

فقالوا: يا رسول الله، وهم في المدينة؟
قال: «وهم بالمدينة، حسبهم العذر»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٨ عن البخاري، وابن سعد، وقال في هامشه: أخرج البخاري ج ٦ ص ٤٦ في الجهاد، باب من حبسه عذره عن الغزو، وفي المغازي (٤٤٢٣) وأبو داود (٢٥٠٨) وأحمد ج ٣ ص ١٠٣ و ١٠٦ و ١٨٢ و ٣٠٠ وابن ماجه ج ٢ ص ٩٢٣ (٢٧٦٤) والبيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢٦٧ وراجع: البحار ج ٢١ ص ٢٤٨ وفتح الباري ج ٦ ص ٣٥ ج ٨ ص ١٩٧ وعمدة القاري ج ١٤ ص ١٣٠ و ١٣٣ وج ١٨ ص ٥٧ وتحفة الأخوذ ج ٣ ص ٢٤٧ وج ٨ ص ٣٠٩ وعون المعبود ج ٧ ص ١٣٣ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٢٦١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥٦٢ وممتخب مسند عبد بن حميد ص ٤١٢ وبغية الباحث ص ٢١٠ ومسند أبي يعلى ج ٤ ص ١٩٣ وج ٦ ص ٤٥١ وج ٧ ص ٢١٤ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٣٣ والإستذكار لابن عبد البر ج ٢ ص ٨٢ وج ٣ ص ٦٨ والتمهيد لابن عبد البر ج ٦ ص ٣١٩ وج ١٢ ص ٢٦٨ =

ولعله إنما قال لمن معه ذلك، حتى لا يخطر في بال أحد منهم أن يُدَلَّ على أولئك الناس الضعفاء، بأنه قد سار مع النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الجهاد، ويحاول أن يسوّق لنفسه عن هذا الطريق، فقد حدث نظير ذلك في مرة سابقة، وذلك حين قال عمر بن الخطاب لأسماء بنت عميس: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق بالنبي «صلى الله عليه وآله» منكم، فشكته إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فوقف «صلى الله عليه وآله» إلى جانبها، ونصرها

= وج ١٩ ص ٢٠٤ و ٢٠٥ ورياض الصالحين للنووي ص ٥٨ وتخرّيج الأحاديث والآثار ج ١ ص ٣٥٠ وموارد الظمان ج ٥ ص ٢١١ و ٢١٢ وتغليق التعليق ج ٣ ص ٤٣٤ وكنز العمال ج ٣ ص ٤٢٢ وفيض القدير ج ٣ ص ٤٧٤ وتفسير البغوي ج ١ ص ٤٦٨ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٦٠١ والمححر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٢ ص ٩٨ والتفسير الكبير للرازي ج ١١ ص ٨ والجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٣٤٢ وج ٨ ص ٢٢٦ و ٢٩٢ وتفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٨٧ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٥٤ وتفسير الثعالبي ج ٣ ص ٢٢٧ وج ٥ ص ٦٠٧ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٧ وتفسير أبي السعود ج ٢ ص ٢٢٢ وفتح القدير ج ١ ص ٥٠٣ وج ٢ ص ٣٩٢ وتفسير الآلوسي ج ٥ ص ١٢٤ وأضواء البيان للشنقيطي ج ١ ص ٢٤٧ وطبقات المحدثين بأصبهان ج ٤ ص ٢٨٩ وذيل تاريخ بغداد لابن النجار البغدادي ج ٣ ص ١٤٤ وذكر أخبار إصبهان ج ٢ ص ٣٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٤٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٨ وإمتاع الأسماع ج ٨ ص ٣٩٤ وإعلام الوری ج ١ ص ٢٤٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٢.

عليه، فراجع^(١)..

المدينة تنفي خبثها، وخير دور الأنصار:

عن أبي حميد الساعدي، وأنس، وجابر، وأبي قتادة قالوا: أقبلنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من غزوة تبوك حتى أشرفنا على المدينة قال: «هذه طابة - وزاد ابن أبي شيبه: أسكننيها ربي، تنفي خبث أهلها كما ينفي الكير خبث الحديد» انتهى.

فلما رأى أحداً قال: «هذا أحد، جبل يحبنا ونحبه، ألا أخبركم بخير دور الأنصار».

قلنا: بلى يا رسول الله.

(١) راجع: الطرائف ص ٤٦٦ وذخائر العقبى ص ٢١٣ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ١٨٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٤٣ و ٢٤٤ وصحيح البخاري ج ٥ ص ٨٠ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٧٢ وفضائل الصحابة ص ٨٧ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٥١ والمصنف لابن أبي شيبه ج ٧ ص ٥١٥ وج ٨ ص ٤٦٦ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٤٥٥ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٠٤ ومسند أبي يعلى الموصلي ج ١٣ ص ٣٠٤ والمعجم الأوسط ج ٦ ص ٢٣١ وج ٢٤ ص ١٥٣ وكنز العمال ج ١٣ ص ٣٢٣ وج ١٦ ص ٦٧٧ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ١٨٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٢٨١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٢ ص ٣٠ و ٣٢ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢ ص ٢٨٣ و ٤٣١ والوافي بالوفيات ج ٩ ص ٣٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٣٥ و ١٣٦ ونهج الحق وكشف الصدق ص ٣٤٧ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٢٨٩.

قال: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم دار بني عبد الأشهل، ثم دار بني ساعدة».

فقال أبو أسيد: ألم تر أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خير دور الأنصار فجعلنا آخرها داراً؟

فأدرك سعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، خيرت دور الأنصار فجعلتنا آخرها داراً؟!

فقال: «أوليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار»؟^(١).

ونقول:

إن ما تقدم يحتاج إلى بعض البيانات التي تفيد في فهم مقاصده ومراميه. ونذكر من ذلك الأمور التالية:

خبث أهل المدينة:

بالنسبة لطابة، وأنها تنفي خبث أهلها نقول:
أولاً: إنه لا شك في أن نفي طابة لخبث أهلها ليس بنحو الجبرية،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٩ عن أحمد، والبخاري، ومسلم، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة في مصنفيهما، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٢٥ (٤٤٢٢) ومسلم في الحج (٥٠٣) والبيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢٦٦ وفي السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٧٢ وانظر الكنز (٣٤٩٩٣) وابن عساكر كما في التهذيب ج ٧ ص ٢٢٦. وراجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٤١ وراجع مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٤٢ والمعجم الكبير ج ٦ ص ١٢٥ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٤٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٦.

والتصرف التكويني، فلعل ذلك يكون على معنى أن أجواءها ومحيطها الإيماني يساعد على تصفية النفوس وتركيتها، وإبعاد الشوائب السيئة عن أهلها.. بالإضافة إلى الألفاف والبركات التي تحمل على الناس، لأجل تاريخها المجيد، في خدمة الإسلام وأهله، وبركات حلول رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها..

ثانياً: إن ثمة ما يبرر شكنا في صحة نسبة هذا الكلام إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ إن أهل المدينة سرعان ما انقلبوا على أعقابهم، واختاروا خط العداء لأهل البيت «عليهم السلام» ومناذرتهم، حتى لم يبق في المدينة وفي مكة عشرون^(١) رجلاً يحبهم «عليهم السلام»^(٢).

فما معنى هذا الثناء على أناس ستكون هذه حالهم مع أهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذين أمر الله ورسوله بمحبتهم ومودتهم؟! ثالثاً: لم نعرف المراد بنفيها خبث أهلها!! فإن كان يراد به تطهيرهم من الخبث الباطني والأخلاقي، وإعادتهم إلى حالة الصفاء والنقاء من الشوائب كما أشير إليه فيما روي: «إنها طيبة، تنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الفضة»^(٣)، فنقول:

-
- (١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٠٤ والغارات للثقفاني ج ٢ ص ٥٧٣ والبحار ج ٣٤ ص ٢٩٧ وج ٤٦ ص ١٤٣ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٧٩ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٧٣٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٩٨.
- (٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٠٤ والبحار ج ٤٦ ص ١٤٣.
- (٣) وفاء الوفاء ج ١ ص ٤٢ عن البخاري، ومسند أحمد ج ٥ ص ١٨٤ وج ٥ ص ١٨٧ و ١٨٨ وصحيح البخاري ج ٥ ص ٣١ و ١٨١ وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٢١ =

إننا لم نجد في الواقع العملي ما يشير إلى أن المدينة قد نفت خبث أهلها فعلاً. بل بقي الذين مردوا على النفاق فيها، وكان عددهم يزداد، ونفوذهم وخطرهم يتضاعف، حتى إن أكثر آيات سورة التوبة قد نزلت فيهم، وكانت لهجتها بالغة القسوة. كما يعلم بالمراجعة.

ولو أن ذلك قد كان بالفعل، فينبغي أن نجد سياء الصلاح ظاهرة على جميع أهلها، أو على أكثرهم، أو على الكثيرين منهم على الأقل..

مع أننا نلاحظ: أن ثمة اختلافاً كبيراً بينهم وبين غيرهم من أهل البلاد الأخرى.. حيث ظهر منهم الانحراف عن أهل بيت النبوة، ثم أشاع فيهم الأمويون المجون والفسق، والفجور، واللهو والباطل كما هو معروف، وفي التاريخ موصوف.

وإن كان المراد بنفي الخبث: إخراج شرارها منها، كما صرحت به بعض الروايات: «لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير

= وشرح مسلم للنووي ج ٩ ص ١٥٣ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٨٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٤٩٣ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٤٥٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٣٢٦ واللمع في أسباب ورود الحديث لجلال ص ٥٤ وجامع البيان للطبري ج ٥ ص ٢٦٢ وتفسير الثعلبي ج ٣ ص ٣٥٥ وتفسير البغوي ج ١ ص ٤٥٩ والجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٣٠٦ والدر المنثور ج ٢ ص ١٩٠ وفتح القدير ج ١ ص ٤٩٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٦٧ وعيون الأثر ج ١ ص ٤٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٣٠٨ وج ٤ ص ١٨٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٨٦ والفتوحات المكية لابن العربي ج ١ ص ٧٥٩.

الخبث»^(١).

وفي آخر: «وهي المدينة تنفي الناس، كما ينفي الكير خبث الحديد»^(٢).

فنقول:

إن الواقع الخارجي كان ولا يزال على خلاف ذلك أيضاً.. وإن كان

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٤١ عن الصحيحين، وراجع: المحلى لابن حزم ج ٧ ص ٢٨١ وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٢٠ وشرح مسلم للنووي ج ٩ ص ١٥٤ وفتح الباري ج ٤ ص ٧٥ وج ١٣ ص ٢٥٧ وعمدة القاري ج ١٠ ص ٢٣٥ و تحفة الأحوذى ج ١٠ ص ٢٨ وصحيح ابن حبان ج ٩ ص ٥٢ وج ١٥ ص ١٧٩ والمعجم الأوسط ج ٣ ص ١٥٧ وكنز العمال ج ١٢ ص ٢٤٠ وإمتاع الأسماع ج ١٠ ص ٣٤٨ و سبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٣٠٧ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٨٦.

(٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ٤٢ عن مسلم، وكتاب الموطأ ج ٢ ص ٨٨٧ والمحلى لابن حزم ج ٧ ص ٢٨٠ ومسند أحمد ج ٢ ص ٢٣٧ و ٢٤٧ وصحيح البخاري ج ٢ ص ٢٢١ وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٢٠ وعمدة القاري ج ١٠ ص ٢٣٤ والمصنف للصنعاني ج ٩ ص ٢٦٧ ومسند الحميدي ج ٢ ص ٤٨٨ والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٤٣٠ ومسند أبي يعلى ج ١١ ص ٢٦٢ وصحيح ابن حبان ج ٩ ص ٣٩ والإستذكار لابن عبد البر ج ٨ ص ٢٢٦ والتمهيد لابن عبد البر ج ٢٣ ص ١٧٠ و ١٧١ والجامع الصغير ج ١ ص ٢٥٠ وكنز العمال ج ١٢ ص ٢٣٢ وفيض القدير ج ٢ ص ٢٤٣ والدر المنثور ج ٥ ص ١٨٨ وفضائل المدينة ص ٢٦ وإمتاع الأسماع ج ١٠ ص ٣٤٨ والإمامة والسياسة لابن قتيبة (بتحقيق الزيني) ج ٢ ص ١٥١ و (بتحقيق الشيري) ج ٢ ص ٢٠٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٢٩٦ و ٣٠٨.

ابن عبد البر وغيره قد ادَّعوا: أن ذلك يختص بزمناه «صلى الله عليه وآله»^(١).
ودعواه باطلة أيضاً، فإن ذلك لم يحصل في زمن النبي «صلى الله عليه وآله»، بل كان المنافقون والفاسدون مقيمين فيها ولم يخرجوا منها.
فلذلك ادَّعى النووي: أن ذلك سيكون في زمن الدجال حسبما تقدم
عن البخاري^(٢).

غير أنهم يروون: أنه حين خروج الدجال يأتي أحداً، فيصعد أحداً، أو
ينزل بذباب يخرج إليه مشركوها وكفارها ومنافقوها.. وهذا لا ينطبق على
الرواية التي نتحدث عن أنها تنفي خبثها في آخر الزمان، لأنها هي لم تخرج
المنافقين والكفار، بل هم خرجوا منها^(٣).
ويؤكد ما نرمي إليه: أن الرواية تشبه المدينة بالكير الذي ينفي خبث
الفضة، وخروجهم منها، من دون أي فعلٍ أو تأثير لها يجعل تشبيهها بالكير
في غير محله..

ولأجل ذلك ادَّعى الآقشهري: أن المراد بنفي خبثها أمر الملائكة بنقل

-
- (١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٤٢ عن ابن عبد البر، وعمدة القاري للعيني ج ١٠ ص ٢٣٥
عن عياض، وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٣٠٩.
(٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ٤٢ عن أحمد وغيره برجال الصحيح.
(٣) وفاء الوفاء ج ١ ص ٦٢ عن أحمد برجال الصحيح، والطبراني في الأوسط،
والحاكم، وابن حجر، وراجع: مجمع الزوائد ج ٣ ص ٣٠٨ والمعجم الأوسط
ج ٢ ص ٣٤٠ و ج ٤ ص ٢٤ وكنز العمال ج ١٤ ص ٣٣٠ ومسند أحمد ج ٤
ص ٣٣٨ وفتح الباري ج ١٣ ص ٨٢ و ج ١٣ ص ٢٥٧.

المذنبين إلى غيرها من الأرض^(١).

وهذا معناه: عدم صحة ما زعموه من أنه «صلى الله عليه وآله» وعد من يموت بالمدينة بالشفاعة^(٢).

نفي الخبث هو فضح المنافقين:

وزعموا: أن المقصود بنفي الخبث هو فضح أهل النفاق فيها^(٣).
مع أن هذا الإحتمال منقوض بقوله تعالى: {وَيَمَنَّ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ}^(٤).
فأبقي أمرهم على حال الخفاء والإبهام..

كما أن الواقع التاريخي لا يؤيد هذا الإحتمال أيضاً، فإن الكثيرين من المنافقين لم يفتضح أمرهم، أو على الأقل لا يمكن التأكد من أن أمر جميع المنافقين فيها قد افتضح، فلا مجال للتأكد من صحة هذا الإحتمال.

نقل الوباء إلى خم:

وقد يقال: إن المراد هو نفي الأمراض عن أهلها، مثل الوباء والطاعون، فقد ورد: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «اللهم حبب إلينا المدينة».

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٤٢.

(٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ٤٢. وراجع: كنز العمال ج ١٤ ص ٣٩٩ ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٨١ وكتاب الأوائل ص ٧٤ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ٢٣٠ وكتاب الأوائل ص ١٠٥ وفيض القدير ج ٣ ص ١١٧ وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٣٢ والإصابة ج ٤ ص ٣١٩.

(٣) وفاء الوفاء ج ١ ص ٤٣.

(٤) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

إلى أن قال: «وانقل حماها، واجعلها بالجحفة»^(١).
وفي نص آخر: «اجعل ما بها من وباء بخم»^(٢).
وفي نص ثالث: أنه «صلى الله عليه وآله» قال على المنبر: «اللهم انقل
عنا الوباء»^(٣).
أو قال: «أتيت هذه الليلة بالحمى، فإذا بعجوز سوداء ملببة في يدي
الذي جاء بها، فقال: هذه الحمى، فما ترى؟
فقلت: اجعلوها بخم»^(٤).

-
- (١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٥ عن فضائل المدينة للجندي وراجع: كتاب الموطأ لمالك
ج ٢ ص ٨٩١ وتنوير الحوالك ص ٦٤٢ ومسند أحمد ج ٦ ص ٢٦٠ وصحيح
البخاري ج ٤ ص ٢٦٤ وج ٧ ص ٥ وج ٧ ص ١١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣
ص ٣٨٢ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٦١ وج ٢١ ص ٢١٧ وج ٢١ ص ٢٢٩
والأدب المفرد للبخاري ص ١١٦ والسنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٣٥٥
والإستذكار لابن عبد البر ج ٨ ص ٢٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٠ ص ٤٥١
وفضائل المدينة ص ٢٠ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٩ وإمتاع الأسماع ج ١١
ص ٢٩٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣١٥.
- (٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٧ و٥٥ عن أحمد برجال الصحيح، وعن ابن زبالة ومسند
أحمد ج ٥ ص ٣٠٩ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٣٠٤ وكنز العمال ج ١٢ ص ٢٤٤
ومعجم البلدان ج ٥ ص ٨٣.
- (٣) اللمع في أسباب ورود الحديث ص ٣١ وكنز العمال ج ٣ ص ٧٩٥ وسبل الهدى
والرشاد ج ٣ ص ٢٩٨.
- (٤) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٥ عن ابن زبالة، واللمع في أسباب ورود الحديث ص ٣١
وكنز العمال ج ٣ ص ٧٩٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٢٩٨.

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «وانقل (أو فحول) حماها إلى الجحفة»^(١).

وفي نص آخر: «اللهم انقل ما كان بالمدينة من وباء إلى مهيعة»^(٢). وهي الجحفة».

قال السمهودي: «وإنما دعا «صلى الله عليه وآله» بنقل الحمى إليها، لأنها كانت دار شرك، ولم تزل من يومئذٍ أكثر بلاد الله حمى».

قال بعضهم: وإنه ليتقى شرب الماء من عينها التي يقال لها: عين خم، فقلّ من شرب منها إلا حُمّ^(٣).

وقيل: لم يبق أحد من أهلها إلا أخذته الحمى^(٤).

قال النووي: الجحفة من يومئذٍ وبيئة، ولا يشرب أحد من مائها إلا حُمّ^(٥).

قال هشام بن عروة: وكان المولود إذا ولد بالجحفة لم يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى^(٦).

(والطاعون) بثرة مع لُهب واسوداد من مادة سَمِيّة من وخز الجن.
قال الزمخشري: هو من الطعن لأنهم يسمون الطواعين رماح الجن

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٦ و ٥٧ عن البخاري، ومسلم، والموطأ، وعن ابن إسحاق.

(٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٧ و ٥٨.

(٣) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٨ وفيض القدير ج ٤ ص ١٤ وعمدة القاري ج ١٠ ص ٢٥١.

(٤) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٨ عن الخطابي وعمدة القاري ج ١٠ ص ٢٥١.

(٥) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٨ وراجع: فتح الباري ج ٣ ص ٣٠٥.

(٦) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٨ عن البيهقي.

(فأمسكت) حبست (الحمى بالمدينة) النبوية لكونها لا تقتل غالباً بل قد تنفع كما بينه ابن القيم. وهذا كان أولاً ثم لما رأى ما أصاب أصحابه حين هاجروا إليها من حماها من البلاء والسقم دعى الله فنقلها إلى الجحفة حتى صارت لا يمر بها طائر إلا حم^(١).

ونقول:

إن هذه الترهات والأباطيل مرفوضة جملة وتفصيلاً، وذلك للأمور التالية:

١ - لماذا نُقِلَت الحمى إلى خصوص الجحفة، وغدير خم، دون سائر البلاد؟! فإن كان السبب هو شرك أهلها أو كفرهم، فلماذا لم ينقلها إلى جميع بلاد المشركين والكافرين؟!.

٢ - إذا كان كفرهم أو شركهم هو السبب فما ذنب أبنائهم الذين أسلموا، وذرياتهم الذين لم يأتوا بعد؟! ولماذا تلازم الحمى الناس الذين يشربون من ماء الجحفة إلى يومنا هذا؟!.

٣ - إن الحمى لم تنقطع عن أهل المدينة، سواء في ذلك ما كان منها وباءً، كما يدل عليه ما يروونه في صحاحهم عن أبي الأسود قال: «قدمت المدينة، وهم يموتون بها موتاً ذريعاً»^(٢).

(١) فيض القدير ج ١ ص ١٢٤.

(٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ٦١ عن البخاري، وفتح الباري لابن حجر ج ٣ ص ١٨٢ وج ١٠ ص ١٥١ و ١٦١ وعمدة القاري ج ٨ ص ١٩٦ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٢ و ٣٠ و ٤٥ وصحيح البخاري ج ٣ ص ١٤٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١٢٣ وعمدة القاري ج ٨ ص ١٩٦ وج ١٣ ص ٢٠٢ وشرح سنن النسائي للسيوطي ج ٤ ص ٥١ ومسند أبي يعلى ج ١ ص ١٣٥ وصحيح ابن حبان ج ٧ =

وكذلك سائر أنواع الحمى، فإنها لم تنقطع عنهم أيضاً، بل بقيت تنتابهم كما تنتاب سائر العباد في مختلف البلاد^(١).

٤ - قال الصالحى الشامى فى أحداث حجة الوداع: «وأصاب الناس جدري، أو حصبة، منعت من شاء الله أن تمنع من الحج»^(٢).
ومن المعلوم: أن حجة الوداع كانت فى سنة عشر.

وقد صرّحوا: بأن الحمى قد كثرت فى المدينة سنة إحدى وثمانين وثمان مائة^(٣).

٥ - لماذا يدعو لنقل وتحويل الحمى؟! ألم يكن الأولى والأوفق برحمة الرسول بالناس هو أن يطلب رفع الحمى عن أهل المدينة، دون أن يجعلها فى غيرهم، لا من أهل الجحفة ولا من غيرهم؟! بل يترك الأمور على ما هي عليه بحسب طبيعتها..

٦ - إذا كانت الحمى لا تدع أحداً من أهل خم حتى تأخذه، وإذا كان

= ص ٢٩٧ وكنز العمال ج ١٥ ص ٧٥٠ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٧
وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ١٧٦.

(١) راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٦١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٠ وراجع: الغدير ج ١ ص ٩ ونظرة الغدير
ص ٥٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٠٨ وموسوعة الإمام علي بن
أبي طالب «عليه السلام» فى الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج ٢
ص ٢٥٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٤١ وحجة الوداع لعلي بن أحمد بن سعيد بن
حزم الأندلسي ج ١ ص ١١٥.

(٣) وفاء الوفاء ج ١ ص ٦٧.

المقصود بالحمى التي نقلها من المدينة إلى الجحفة هي تلك التي تكون وباءً وليست الحمى العادية^(١)، فإن المتوقع هو: أن يكون أهل تلك البلاد قد بادوا على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان الناس قد هجروا تلك البلاد، وتوقف كل أهل الأرض عن الدخول إليها، ولأصبح بنيانها خراباً، وبيوتها يباباً..

٧ - بل إن اللازم هو: أن يتلى بالحمى كل أولئك الذين يُحرمون من الجحفة، وأن يفتك ذلك الوباء بالحجاج على مر الأزمان.. وكان الناس قد امتنعوا عن المرور من ذلك الميقات وحولوا قوافلهم إلى سواه، ولشاع ذلك وذاع في جميع البلاد والأصقاع..

ولجاء السؤال المخرج عن السبب في اعتبار هذه البقعة بالذات من المواقيت، فهل المراد التسبب لابتلاء الناس بالأمراض، والأوبئة المهلكة؟

٨ - إن النبي «صلى الله عليه وآله» وتسعين ألفاً من المسلمين، أو أكثر من ذلك، قد جاؤوا إلى غدير خم بعد حجة الوداع، حيث نصب «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إماماً ومولى للمسلمين، ولم نسمع أن أحداً من هؤلاء أصيب بالوباء، ولا حتى بالحمى.

وعلى كل حال، فإن من الواضح: أنهم إنما يريدون بروايتهم هذه توهين هذا الموقع، ليوهنوا هذه الواقعة، أعني واقعة الغدير، حيث نصب النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إماماً للناس.

٩ - وعن المرأة التي أتت بها إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة دعائه

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٦٦ وراجع ص ٦٠ و ٦١.

بنقل الوباء عن المدينة، فأرسلها إلى الجحفة نقول:

ألف: إن ظاهر الحديث الذي ذكره ابن زبالة أنه «صلى الله عليه وآله» أتى بالمرأة التي هي الحمى في حال اليقظة فأمر بجعلها بخم^(١).

لكن حديث البخاري يقول: إنه رأى امرأة سوداء ثائرة الرأس ذهبت إلى مهيعة، فتأولها بنقل حمى المدينة إلى هناك^(٢).

وعند ابن زبالة: أن إنساناً جاء إلى المدينة من طريق مكة، فأخبره أنه رأى امرأة سوداء عريانة، ثائرة الشعر فقال «صلى الله عليه وآله»: «تلك الحمى ولن تعود بعد اليوم أبداً»^(٣).

إلا أن يقال: إن هذه الرواية لا تتنافى مع رواية البخاري المشار إليها آنفاً.

ب: ورووا بسند صحيح: أن الحمى استأذنت على النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: من هذا؟

فقالت: أم ملدم.

فأمر بها إلى أهل قباء، فلقوا ما لا يعلمه إلا الله تعالى.. فشكوها إليه الخ..^(٤). فلا ندري هل أرسلها إلى خم أو إلى قباء؟! وما ذنب هؤلاء وأولئك؟!!

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٥ و ٥٦.

(٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٩ عن البخاري، والطبراني في الأوسط، والبحار ج ٥٨ ص ٢٢٥ ومسنند أحمد ج ٢ ص ١٠٧ و ١١٧ وسنن الدارمي ج ٢ ص ١٣٠ و ١٣٧.

(٣) وفاء الوفاء ج ١ ص ٦٠ عن ابن زبالة، وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٢٩٨.

(٤) وفاء الوفاء ج ١ ص ٦٠ عن أحمد برجال الصحيح، وعن ابن حبان، وأبي يعلى، والطبراني، ومسنند أحمد ج ٣ ص ٣١٦ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٣٠٥ وفتح الباري ج ١٠ ص ٩٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٨٥ وراجع: مستدرک الحاكم ج ١ =

ج: ورووا بسند رجاله ثقات عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «أتاني جبريل بالحمى والطاعون، فأمسكت الحمى بالمدينة، وأرسلت الطاعون بالشام.

فالتاعون شهادة لأمتي، ورحمة لهم، ورجز على الكفار»^(١).
وأسئلتنا كثيرة هنا: إذ لماذا خص أهل الشام بالطاعون، ولم يرسله إلى العراق أو إلى فارس، أو الروم، أو الحبشة؟!..

= ص ٣٤٦ ومسند أبي يعلى ج ٣ ص ٤٠٩ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٣١٤ والآحاد والمثاني ج ٦ ص ٢١٩ وصحيح ابن حبان ج ٧ ص ١٩٧ والمعجم الكبير الطبراني ج ٢٥ ص ١٤٥ وموارد الزمآن ج ٢ ص ٤٥٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ٩٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٣٠٣ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ٥٠ وإمتاع الأسماع ج ١١ ص ٣٨٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٥ و ٣٣٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٨٥ ومسند ابن راهويه ج ٥ ص ٢٣٨.

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ٨١ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٦٠ عنه، ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٣١٠ عن أحمد، وراجع: فتح الباري ج ١٠ ص ١٦٢ وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٩٢ والمعجم الكبير ج ٢٢ ص ٣٩٢ والجامع الصغير ج ١ ص ١٦ وكنز العمال ج ١٠ ص ٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٦١ والثقات لابن حبان ج ٥ ص ٣٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٣٥٧ وج ٤ ص ٢٩٥ وأسد الغابة ج ١ ص ٥٤ وج ٥ ص ٢٥٤ والآحاد والمثاني ج ١ ص ٣٤٢ وعمدة القاري ج ٢١ ص ٢٦٠ وعون المعبود ج ٨ ص ٢٦٣ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٧٥ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٤٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٣٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٣٠٤ وج ١٠ ص ٣٣٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٨٣.

ولماذا لا نجد هذا الطاعون في الشام في الأزمنة المتعاقبة، إلا مثل ما
تراه في جميع الناس في غيرها من البلاد؟!
وإذا كان الطاعون رحمة وشهادة للأمة، فلماذا يحرم أهل المدينة وسائر
البلاد من هذه الرحمة والشهادة ويفوز بها أهل الشام؟!
ولماذا عاد فأخرج الحمى من المدينة إلى غدير خم (أو مهيعة، أو الجحفة)؟!
أحد جبل يحبنا ونحبه:

ولعلنا قد أشرنا في بعض الموارد إلى حديث: «أحد جبل يحبنا ونحبه»^(١).

(١) الأحكام ليحيى بن الحسين ج ٢ ص ٥٤٦ وكتاب الموطأ للمالك ج ٢ ص ٨٨٩ و ٨٩٣
وتنوير الحوالك ص ٦٤١ والمجازات النبوية للشريف الرضي ص ١٥ و ١٦ وعوالي
اللائي ج ١ ص ١٧٧ والبحار ج ٢١ ص ٢٤٨ والغدير ج ٥ ص ١٦٢ ومستدرک
سفينة البحار ج ٢ ص ٣٠ ومسنند أحمد ج ٣ ص ١٤٠ و ١٤٩ و ١٥٩ و ٢٤٣
وصحيح البخاري ج ٢ ص ١٣٣ وج ٣ ص ٢٢٣ و ٢٢٥ وج ٤ ص ١١٨ وج ٥
ص ٤٠ و ١٣٦ وج ٦ ص ٢٠٧ وج ٨ ص ١٥٣ وصحيح مسلم ج ٤ ص ١١٤ و
١٢٤ وج ٧ ص ٦١ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٠٤٠ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٧٩
والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ١٩٧ وج ٦ ص ٣٠٤ و ٣٧٢ وج ٩ ص ١٢٥
وشرح مسلم للنووي ج ٩ ص ١٣٩ و ١٦٢ وج ١٥ ص ٤٣ ومجمع الزوائد ج ٤
ص ١٣ وج ٦ ص ١٥٥ وج ١٠ ص ٤٢ وفتح الباري ج ٣ ص ١٥٧ و ٢٧٤ و ٢٩٩
وج ٦ ص ٦٤ وج ٧ ص ٣٢ و ٢٦٦ و ٢٨٩ و ٢٩٠ ج ١٣ ص ٢٦٠ وعمدة القاري
ج ٨ ص ١٢٨ وج ٩ ص ٦٥ وج ١٤ ص ١٧٣ و ١٧٧ وج ١٥ ص ٢٦٢ وج ١٧
ص ١٣٨ و ١٦٥ وج ١٨ ص ٥٧ وج ٢١ ص ٥٨ وج ٢٣ ص ٢ وج ٢٥ ص ٥٨
والديباج على مسلم ج ٣ ص ٤٠٨ وشرح سنن النسائي ج ٤ ص ٥٦ وتحفة =

= الأحوذى ج ٥ ص ٣١٠ وج ١٠ ص ٢٩٢ والمصنف للصنعاني ج ٩ ص ٢٦٨
والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٤٩٠ و ٥٥٩ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة
ص ٢٤٧ والآحاد والمثاني ج ٤ ص ١٤٣ ومسند أبي يعلى ج ٥ ص ٣٢٥ و ٤٣٨
وج ٦ ص ٣٧٠ و ٣٧١ وشرح معاني الآثار ج ٤ ص ١٩٣ وصحيح ابن حبان ج ٩
ص ٤٢ و ٤٣ وج ١٠ ص ٣٥٥ وج ١٤ ص ٤٢٨ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ٢٥٥
وج ٦ ص ٣١٥ والمعجم الكبير للطبراني ج ٧ ص ٩٠ ومسند الشاميين للطبراني ج ٤
ص ١٢ و ٢٥١ والإستذكار لابن عبد البر ج ٨ ص ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٤٧
والإستيعاب ج ٢ ص ٦٨١ والتمهيد لابن عبد البر ج ٢٠ ص ١٧٦ وج ٢٢
ص ٣٣٠ و ٣٣١ وتغليق التعليق ج ٣ ص ٣٠ و ٣١ وج ٤ ص ١٧ و ١١٠ وج ٥
ص ٣٢٤ والجامع الصغير ج ١ ص ٤١ و ٤٢ و ٣٣٢ وكنز العمال ج ١٢ ص ٢٦٨ و
٢٦٩ وج ١٤ ص ١٤٢ و ١٤٣ وشرح مسند أبي حنيفة ص ٤٠٢ وفيض القدير ج ١
ص ٢٣٩ و ٢٤٠ وج ٢ ص ٥٢٢ وكشف الخفاء ج ١ ص ٥٦ وتفسير ابن زمنين ج ٢
ص ١٢٥ وتفسير الثعلبي ج ٨ ص ٦٣ وتفسير البغوي ج ١ ص ٨٦ وأحكام القرآن
لابن العربي ج ٢ ص ٣٢٩ والمحزر الوجيز ج ٢ ص ٤٠٤ والجامع لأحكام القرآن
ج ٧ ص ٢١٣ وتفسير البحر المحيط ج ١ ص ٤٣٢ و ٤٣٣ وتفسير القرآن العظيم
ج ١ ص ١١٨ و ١٧٨ وتفسير الثعلبي ج ٣ ص ٣٣ وتفسير الألوسي ج ١ ص ٢٩٧
وأضواء البيان للشنقيطي ج ٨ ص ١٠ وتاريخ ابن معين ج ٢ ص ٤٣ والتاريخ الكبير
للبخاري ج ٢ ص ٣٨٠ وج ٤ ص ١٤١ وج ٥ ص ٥٨ و ١٩٣ وضعفاء العقيلي ج ٢
ص ٣٠٨ والكامل لابن عدي ج ٤ ص ٢٢٤ وج ٦ ص ٥٩ وعلل الدارقطني ج ٢
ص ١٦٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣٤٦ وج ٢٦ ص ٢٥٤ وج ٦٢ ص ٢٣٦
والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ١٤٨ وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٧٩ وذيل تاريخ
بغداد لابن النجار ج ٣ ص ٦٩ وتهذيب الكمال ج ١٦ ص ١٧٦ وميزان الاعتدال
للذهبي ج ٢ ص ٦٥١ ومن له رواية في مسند أحمد لابن حمزة ص ١٨٨ والإصابة =

غير أننا نحب أن نشير هنا إلى أن للأمكنة دوراً في حياة البشر يتجاوز ما عهدناه وألفناه من استفادة الإنسان منها في تيسير حاجاته، وتحقيق غاياته، فالأرض التي قد تكون مقدسة وقد لا تكون قد ورد في الآيات أنها تشهد عند الله للعبد إذا صلى فيها، وربما تفتح وربما تسكن، وقد تلعنه وقد تبكيه، وقد تكون به برة وقد ترفضه وتلفظه، وقد تحبه وربما تبغضه، وقد تفتخر وتباهى به، وقد تحشى وربما تشفق، وقد يحرم عليها هذا ولا يحرم عليها ذاك، وتأتي طوعاً أو كرهاً.. و.. و.. الخ..

وجبل أحد يحب النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته الطاهرين «عليهم السلام»، ومن معه من المؤمنين، لأنهم يجلبون الخير والبركة له، ولغيره من الموجودات، وقد عاين صبرهم وجهادهم وتضحياتهم بكل غال ونفيس، وحتى بأعز أحبائهم، والخيرة من أهلهم من أجل إعزاز دين الله، والذود عن

= ج ٣ ص ١٩٢ ولسان الميزان ج ٤ ص ٥٥ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٥١ وج ٥ ص ٨٧ وتاريخ المدينة ج ١ ص ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٤ وفضائل المدينة ص ٢١ و ٤٤ و ٦١ و ٦٦ وذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ٣٥٨ وج ٢ ص ٩٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤٢٣ و ٦٣٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١ وج ٥ ص ٢٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٢٧ وج ١٤ ص ٤٢ وإعلام الوری ج ١ ص ٢٤٧ وعيون الأثر ج ١ ص ٤٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨ وج ٤ ص ٤١ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٣١٨ وج ٤ ص ٢٤٣ وج ٥ ص ١٥٠ و ٤٦٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٨٧ وج ٣ ص ١٢٣ وينايع المودة ج ٢ ص ٨٨ وغريب الحديث لابن سلام ج ٣ ص ٥٦ ومعجم ما استعجم ج ١ ص ١١٧ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ١ ص ٣٢٧.

حياضه، وفي سبيل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.. إن جبل أحد قد عاين ذلك، وساهم فيه بصورة أو بأخرى، واحتضن في بعض سفوحه أجساد الشهداء الأبرار، بمن فيهم حمزة عم النبي «صلى الله عليه وآله»، وأسد الله، وأسد رسوله..

وجبل أحد لم يزل يسمع التسبيح والدعاء، والإبتهال، وقراءة القرآن عند تلك القبور، فتنعش وجوده، وتهز كيانه، ويخشع لذكر الله تبارك وتعالى، ويعيش لذة تسبيحه، ويتحسس عظمته، وجبل أحد يشعر مع أولئك الذاكرين والمسيحين بالأمان والسكينة، ويطمئن إلى نسمات الأنس التي تزجها تسابيحهم في كل أجوائه، ويرتاح لنفحات الخير، والرحمات التي تزدهم في كل محيطه..

وهم يحبون جبل أحد لأن لهم معه ذكريات جهاد ملأت قلوبهم بالخشية، وهمسات أسحار بهرت أنوارها وجودهم، وغمرت بالطهر أرواحهم، وصفت ورضيت بذكر الله فاطمأنت نفوسهم. كما أن لهم لدى جبل أحد ودائع غالية، ونفائس عزيزة، وأمانات مباركات يريدون منه حفظها، وأن يعرف حقها.

خير دور الأنصار حديث مشكوك:

ولسنا ندري لماذا ينسبون إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ما يسيء إلى مكانته، وموقعه كنبي يهدي إلى الحق، وهو أنه قد تدخل بلا مبرر بين القبائل، وأثار حالات من الحسد والضغينة بينها.. وذلك حين يفضل هذه القبيلة على تلك، ويجعل هذه القبيلة أولاً، وتلك يجعلها آخراً، من دون

سبب، وهذا ما يثير العجب، حيث لم يبين وجه الأفضلية، وأنه في هذا الأمر، أو في ذاك!!

وقد رأينا أثر هذه الكلمة في أبي أسيد الساعدي، الذي شكّا من جعل النبي «صلى الله عليه وآله» بني ساعدة آخر الأنصار داراً..
و حين طالب سعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالأمر أصر على ذلك، ولم يذكر له أي شيء يخفف من وقع هذا التفضيل.. مع أنه قد كان بالإمكان أن يتخذ منه ذريعة لحثهم على نيل بعض المقامات والكرامات بالعمل الذي يرشداهم إليه على أنه من موجبات تصحيح الأمور، والتغيير في المعادلة.

طلع البدر علينا:

عن السائب بن زيد قال: أذكر أني خرجت مع الصبيان نتلقى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى ثنية الوداع، مقدمه من تبوك^(١).
وعن ابن عائشة قال: لما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٩ وج ٣ ص ٢٧٨ عن البخاري، وأبي داود، والترمذي، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ٦ ص ١٩١ (٣٠٨٢) وأبو داود ج ٣ ص ٩٠ (٢٧٧٩) وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٧٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٠ ص ١٠٧ و ١٠٨ والإصابة ج ٣ ص ٢٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٦ ص ٣٦٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٠ ص ١٠٧ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ١١٣ ومسند أحمد ج ٣ ص ٤٤٩.

جعل النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع^(١)

وعن خريم بن أوس بن أم قال: هاجرت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منصرفه من تبوك، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول: يا رسول الله إني أريد امتداحك؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قل لا يفضض الله فاك». فقال:

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	أنت ولا نطفة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم	إذا مضى عالم مضى طبق
وردت نار الخليل مكتماً	في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	حندق علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض	فضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي	النسور وسبل الرشاد نخترق ^(٢)

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٩ عن البيهقي في دلائل النبوة ج ٥ ص ٢٥٥ وابن كثير في البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٣.

(٢) راجع المغني لابن قدامة ج ١٢ ص ٤٣ و ٥٢ والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ =

ولما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة بدأ بالمسجد بركعتين،
ثم جلس للناس كما في حديث كعب بن مالك^(١).

قال ابن مسعود: ولما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة قال:
«الحمد لله الذي رزقنا في سفرنا هذا أجراً وحسنة»^(٢).

وكان المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»
يخبرون عنه أخبار السوء، ويقولون: إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في
سفرهم وهلكوا. فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية رسول الله «صلى الله عليه
وآله» وأصحابه، فساءهم ذلك، فأنزل الله تعالى: {إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ

= ص ٢٧ والبحار ج ٢٢ ص ٢٨٧ والغدير ج ٢ ص ٤ والمستدرک للحاکم ج ٣
ص ٣٢٧ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢١٧ والمعجم الكبير ج ٤ ص ٢١٣ والفايق في
غريب الحديث ج ٣ ص ٣٥ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٤٦٢ - ٤٦٣
وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٤١٠ وأسد الغابة ج ٢ ص ١١١ وسير أعلام النبلاء
ج ٢ ص ١٠٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٤٣ والوافي بالوفيات ج ١٦
ص ٣٦١ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٣١٧ وج ٥ ص ٣٤ وإمتاع الأسماع ج ٣
ص ١٩٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ١٩٥ وج ٤ ص ٥١ وسبل الهدى
والرشاد ج ١ ص ٧٠ وج ٥ ص ٤٦٩.

(١) المجموع للنووي ج ٢ ص ١٧٨ وج ٤ ص ٥٤ و ٣٩٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٩ و ٤٧٠ عن الطبراني، والبيهقي، وقال في
هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ وابن كثير في البداية
والنهاية ج ٥ ص ٢٧ و ٢٨ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٧
وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٩.

تَسُوهُمْ^(١)»^(٢).

ونقول:

١ - قد تحدثنا عن استقبال النبي «صلى الله عليه وآله» بالنشيد المتقدم:

طلع البدر علينا الخ.

وقلنا: إن الصحيح هو: أن ذلك قد حصل في غزوة تبوك، لا حين الهجرة..

٢ - إن بدء النبي «صلى الله عليه وآله» بالمسجد حين قدومه المدينة يتضمن تعليماً كريماً، وأدباً عظيماً مع الله تبارك وتعالى، الذي منّ عليه بهذا النصر المؤزر.. وهو يشير للمسلمين بأن لا شيء يغني الإنسان عن الإتصال بالله تعالى، ولا يجوز أن يشغل الإنسان أي شاغل عن حفظ هذه الصلة، وعن القيام بالأعمال العبادية التي تغذي الروح وتنميها، وتصفي النفس وتركيها.

إذ لا يغني شيء عن شيء، كما أن الكمال هو وضع كل شيء في موضعه، وليس من الحكمة، ولا من الصواب ترك الأمور على حالة النقص من جهة، والتصدي لإكمالها من سائر الجهات. بل لا بد من إنجاز الواجب في الحالتين، وأن لا يسمح بعروض النقص في الموضعين.

(١) الآية ٥٠ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٠ و ٤٧١ عن أبي حاتم، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي ج ٦ ص ١٨١٠ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٤٩ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ١١٨ و (ط دار الكتب العلمية) ١٠٥ وفتح القدير ج ٢ ص ٣٧٠ وتفسير الألوسي ج ١٠ ص ١١٥.

الأجر والحسنة:

وقد أعلن «صلى الله عليه وآله»: نتائج سفره إلى تبوك، وحصرها بأمرين:
أحدهما: الثواب والأجر.
ثانيهما: الحسنة.

والمراد بالحسنة: الغنائم المادية والمعنوية، مثل إرهاب أعدائهم، وزيادة عزتهم، وثبات أمرهم، ورسوخ قدمهم، وإقبال الناس على الدخول في دينهم. ويلاحظ هنا: أنه لم يقل: «نلنا». بل قال: «رزقنا الله»، لكي لا يتوهم متوهم أن ذلك بجهد وسعي منهم، وليُعلم أن ما نالوه إنما هو نتيجة للتفضل الإلهي، من دون أن يواجهوا أمراً ذا بال، أو أن يصيبهم ما يعكر عليهم صفو عيشهم.. بل كل ما فعلوه هو أنهم قاموا بسياسة محفوفة برضا الله تعالى ورسوله. مع شعور بالمزيد من السكينة والرضا، والطمأنينة، وبالعزة والكرامة.

وهذا ما حُرِمَ منه المتخلفون من المنافقين، وضعفاء اليقين، فلا كرامة لهم عند الله، ولا عزة لهم، ولا غنائم، ولا مثوبة.. بل لهم الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة.. مع مزيد من الحيرة والقلق، والترقب والأرق.. وما ظلمناهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون..

والذي يلفت النظر: أن كلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد توافقت مع قوله تعالى في ذمهم: {إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ} (١) وترافقت مع ما أذاعوه وأشاعوه من أن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم

(١) الآية ٥٠ من سورة التوبة.

وهلكوا.. فبلغهم تكذيب حديثهم، وعافية رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه. وطبيعي: أن يزيد ذلك من ألمهم، ويضاعف من ذلتهم، وهي حسنة أخرى تضاف إلى ما رزقه الله تعالى نبيه، ومن معه، لأنها نصر على أهل الشقاق والنفاق، يزيد من قوة أهل الإيثار، ويبعث فيهم نفحة سكية وسلام، ومحبة ووئام..

مسجد الضرار:

عن أبي رهم كلثوم بن الحصين، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ويزيد بن رومان: «أن مسجد قباء بني في موضع كان لامرأة يقال لها: «لية»، كانت تربط حماراً لها فيه، فابتنى سعد بن أبي خيثمة وبنو عمرو بن عوف مسجداً، فبعثوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأتيهم فيصلي فيه. فأتاهم فصلى فيه، فحسدتهم أخوالهم بنو عمرو بن عوف. فقال لهم أبو عامر الفاسق، قبل خروجه إلى الشام: ابنوا مسجدكم، واستمدوا فيه بما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجيش من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه، فكانوا يرصدون قدوم أبي عامر الفاسق.

فلما فرغوا من مسجدهم أرادوا أن يصلي فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليروج لهم ما أرادوه من الفساد، والكفر والعناد، فعصم الله تبارك وتعالى رسوله «صلى الله عليه وآله» من الصلاة فيه، فأتى جماعة منهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يتوجه إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إننا بنينا مسجداً لذي العلة، والحاجة والليلة المطيرة، وإننا نحب أن تأتينا

فتصلي لنا فيه.

قال: «إني على جناح سفر، وحال شغل، وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا لكم فيه»^(١).

فلما رجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من غزوة تبوك، ونزل بذي أوان - مكان بينه وبين المدينة ساعة - أنزل الله سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٠ وج ١٢ ص ٧٢ عن ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والواقدي. وراجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٩٩ و ١٠٠ والمجازات النبوية للشريف الرضي ص ١٣٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ٤ ص ٤٥٨ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ١٠٠ و ١٠١ والكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٢١٣ وتفسير مجمع البيان ج ٥ ص ١٢٥ وجامع البيان للطبري ج ١١ ص ٣٢ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٢٦ وتفسير النسفي ج ٢ ص ١٠٩ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٥٨١ والمححر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٣ ص ٨١ والتفسير الكبير للرازي ج ١٦ ص ١٩٥ وتفسير البحر المحيط ج ٥ ص ١٠١ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٠٣ وتفسير الثعالبي ج ٣ ص ٢١٣ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٧٧ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ١٢٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص ١١١ وتفسير أبي السعود ج ٤ ص ١٠٢ وفتح القدير ج ٢ ص ٤٠٥ وتفسير الألوسي ج ١١ ص ١٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٤٧ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٥٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٣ وغيرها من المصادر..

.....
اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا^(١)»^(٢).

عن عروة عن أبيه قال: «كان موضع مسجد قباء لا امرأة يقال لها «ليّة» كانت تربط حمراً لها فيه، فابتنى سعد بن خيثمة مسجداً، فقال أهل مسجد الضرار: نحن نصلى في مربوط حمار «ليّة»؟ لا لعمر الله، لكننا نبني مسجداً فنصلي فيه.

وكان أبو عامر يرى من الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، فلحق بمكة ثم لحق بعد ذلك بالشام، فتنصر، فمات بها، فأنزل الله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا^(٣)»^(٤).

قال ابن النجار: هذا المسجد بناه المنافقون، مضاهياً لمسجد قباء،

(١) الآية ١٠٧ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٠ وراجع: تخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ١٠١ والفتح السماوي ج ٢ ص ٧٠١ وجامع البيان للطبري ج ١١ ص ٣٢ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٩٢ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٢٧ والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٣ ص ٨١ وتفسير البحر المحيط ج ٥ ص ١٠١ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٠٣ وج ٢ ص ٤٠٣ وتفسير الثعلبي ج ٣ ص ٢١٣ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٧٧ و ٢٨٦ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ١٢٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص ١١١ وفتح القدير ج ٢ ص ٤٠٥ وتفسير الألوسي ج ١١ ص ١٨ ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٧٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٤٧.

(٣) الآية ١٠٧ من سورة التوبة.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧١ ج ١٢ ص ٧٢ عن ابن أبي شيبة، وابن هشام، وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ٥٥ وإمتاع الأسماع ج ١٠ ص ٧٦.

وكانوا مجتمعين فيه يعيرون النبي «صلى الله عليه وآله»، ويستهزئون به^(١).

بناة مسجد الضرار:

قال ابن إسحاق: وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذَامُ بن خالد، من بني عبيد بن زيد - ومن داره أخرج هذا المسجد^(٢) - ومَعْتَبُ بن قَشِيرٍ من بني ضبيعة بن زيد، وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد، وعَبَّادُ بن حُنَيْفٍ أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر، وابناه مُجَمَّع بن جارية وزيد بن جارية، ونُقَيْل (نبتل) بن الحرث من بني ضبيعة، وبَحَزَج بن عثمان من بني ضبيعة، ووديعه بن ثابت من بني أمية بن عبد المنذر^(٣).

وقال بعضهم: إن رجلاً من بني عمرو بن عوف هم الذين بنوه، وكان أبو عامر المعروف بالراهب - وسماه النبي «صلى الله عليه وآله» بالفاسق - منهم^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧١.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٩٩ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٢٦.

(٣) جامع البيان للطبري ج ١١ ص ٣٢ وأسباب نزول الآيات ص ١٧٥ وزاد المسير ج ٣ ص ٣٣٩ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٥٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٠٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٤ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٨٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٥٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٢.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٢ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٩٨ و ٩٩ وراجع: الدرر لابن عبد البر ص ١٤٧ وتفسير الثعالبي ج ٣ ص ٢١٣ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٩٩ و ١٠٠ وتفسير الإمام العسكري «عليه =

هدم وحرق مسجد الضرار:

وقالوا: لما أنزلت الآية: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا} (١) .. دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» مالك بن الدُخْشُم أخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عدي، وأخاه عاصم بن عدي - زاد البغوي: وعامر بن السكن، ووحشي قاتل حمزة، زاد الذهبي في التجريد: سويد بن عباس الأنصاري (٢) - فقال: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهلته، فهدموا، وحرقوه» (٣).

فخرجوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف (وهم رهط مالك بن الدُخْشُم)، فقال مالك لرفيقه: أنظراني حتى أخرج إليكما، فدخل إلى أهله

= السلام» ص ٤٨٨ والكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٢١٣ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٩٣ والتفسير الكبير للرازي ج ١٥ ص ٥٤ وتفسير أبي السعود ج ٤ ص ١٠٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٢ ص ٢٠٤.

(١) الآية ١٠٧ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٢ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٩٨ و ٩٩. (٣) راجع: البحار ج ٢١ ص ٢٥٤ والدرر لابن عبد البر ص ٢٤٢ وتخریج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ١٠٠ و ١٠١ والتبيان للطوسي ج ٥ ص ٢٩٨ والكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٢١٣ وتفسير مجمع البيان ج ٥ ص ١٢٦ وفقه القرآن للراوندي ج ١ ص ١٥٩ وجامع البيان للطبري ج ١١ ص ٣٢ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٩٢ وأسباب نزول الآيات ص ١٧٦ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٢٧ وتفسير النسفي ج ٢ ص ١٠٩ والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٣ ص ٨١ وزاد المسير ج ٣ ص ٣٣٩ والتفسير الكبير للرازي ج ١٦ ص ١٩٥ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٥٣.

وأخذ سعفاً من النخيل فأشعل فيه ناراً، ثم خرجوا يشتدون حتى أتوا المسجد بين المغرب والعشاء، وفيه أهله، وحرّقوه، وهدموه حتى وضعوه بالأرض، وتفرق عنه أهله، ونزل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَاراً وَكُفْرًا} ^(١).

فلما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة عرض على عاصم بن عدي المسجد يتخذه داراً، فقال عاصم: يا رسول الله، ما كنت لأتخذ مسجداً - قد أنزل الله فيه ما أنزل - داراً، ولكن أعطه ثابت بن أقرم، فإنه لا منزل له، فأعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثابت بن أقرم. فلم يولد في ذلك البيت مولود قط. ولم ينعم فيه حمام قط، ولم تحضن فيه دجاجة قط ^(٢).

وعن سعيد بن جبير، وقتادة، وابن جريج، قالوا: ذكرنا أنه حفر في مسجد الضرار بقعة، فأبصروا الدخان يخرج منها ^(٣).

عاقبة السكنى في مسجد الضرار:

ونقول:

١ - إننا نرتاب فيما ذكره هؤلاء من أنه «صلى الله عليه وآله» قد عرض

(١) الآية ١٠٧ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٢ وج ١٢ ص ٧٢ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٩٧ و ٩٨ وراجع: إمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٣.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٩٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٢ عن ابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن أبي حاتم، وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٣ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٢٨.

على عاصم بن عدي أن يتخذ مسجد الضرار داراً، فرفض، ثم أعطاه لثابت بن أقرم فلم يولد له فيه إلى آخر ما تقدم..

فقد روي عن أبي عبد الله «عليه السلام» قوله: وأمر أن يُتخذ كناسة تلقى فيه الجيف^(١).

إضافة إلى ما ورد عن جابر من أنه قال: رأيت المسجد الذي بني ضراراً يخرج منه الدخان^(٢).

ولم يتضح لنا متى كان عرض المسجد على عاصم؟ هل كان قبل هدمه، أم بعده؟

وعلى فرض حصوله، فلعل الأرجح أن عرض موضع المسجد على عاصم كان بعد هدمه، لأن المفروض: أن عرضه عليه قد جاء بعد نزول الآية في شأنه، وقد هدمه «صلى الله عليه وآله» بعد نزولها مباشرة..

فيكون قول عاصم: «ما كنت لأتخذ مسجداً قد أنزل الله فيه ما أنزل داراً»^(٣) قد جرى فيه على ضرب من التأويل، أي أنه قصد الموضع الذي كان مسجداً.

(١) تفسير مجمع البيان ج ٥ ص ١٢٦ والبحار ج ٢١ ص ٢٥٤ عنه، وراجع: مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٤٨٦ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٦٩ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٣٩٢ وميزان الحكمة ج ٢ ص ١٢٦٢ وراجع: تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٧٢ وزاد المسير ج ٣ ص ٣٣٩ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٥٨ وتفسير الألوسي ج ١١ ص ١٨.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٢٥٤ والتبيان للطوسي ج ٥ ص ٣٠٣ وجامع البيان للطبري ج ١١ ص ٤٥ وزاد المسير ج ٣ ص ٣٤١ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٠٥.

(٣) إمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٢.

٢ - إن كان النبي «صلى الله عليه وآله» يعلم بما سيصيب من يسكن في ذلك الموضع من سوء، وأنه لا يولد له ولد.. فإنه يكون قد غرر بثابت بن أقرم، وحاول التغرير بعاصم.. وحاشاه أن يفعل ذلك، فهو النبي المعصوم، الذي لا يغرر بالآمنين، ولا بالغافلين، بل هو يحفظهم بكل ما أوتي من قوة وحول..

وإن كان لا يعلم بذلك، فإن عاصم بن ثابت قد صرح له بتوَجُّسه من السكنى في موضع نزلت الآيات بشأنه، وأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بتحريقه.. وقد ظهر ما يشير إلى شدة الغضب الإلهي مما جرى فيه، حتى إنهم حين حفروا بقعة منه، أبصروا الدخان يخرج منها.. ألم يكن ذلك كافياً للتخلي عن الأمر بالسكنى في ذلك المكان المغضوب عليه؟!.. وإن كان ذلك قد حصل بعد سكنائهم فيه،

فلماذا لم يتركه ساكنوه؟ أو لماذا لم يراجعوا الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» في أمره، ليعفيهم من السكنى فيه، أو ليشير عليهم بالأصلح؟! ٣ - ما معنى أن يصيب هؤلاء الناس هذا السوء بسبب سكنائهم في موضع اختاره النبي «صلى الله عليه وآله» لهم؟! ألم يكن ذلك من موجبات تشكيكهم، وتشكيك سائر الناس بصوابية تصرفات الرسول «صلى الله عليه وآله»؟! أو إعطاء الإنطباع عنه بأنه يخطئ فيما يختاره لهم وهو قد يشير عليهم بما فيه شر وسوء، ومصيبة؟!!

عمر، وإمام مسجد الضرار:

ومن الطريف هنا: أن مجمع بن جارية كان حين بناء مسجد الضرار غلاماً

حدثاً قد جمع القرآن، فقدموه إماماً لهم - وهو لا يعلم بشيء من شأنهم.
وقد ذكر: أن عمر أراد عزله عن الإمامة، وقال: أليس بإمام مسجد الضرار؟!
فأقسم له مجمع أنه ما علم بشيء من أمرهم، وما ظن إلا الخير.
فصدقه عمر، وأقره^(١).

ونقول:

لعل المقصود: أنه كان غلاماً حدثاً بالنسبة لغيره من الذين كانوا مسنين.
وليس المقصود: أنه كان دون البلوغ، فإن إمامة الصبي للبالغين لا تصح..
ويشير إلى ذلك: أنه احتاج إلى أن يقسم لعمر: أنه ما علم بشيء من
أمرهم، حيث دل ذلك على أنه كان في سن لو علم بأمرهم لصحت مؤاخذته،
وثبتت مشاركته لهم في النفاق والتآمر.. والغلام الحدث لا يتمشى ذلك في
حقه..

على أن ثمة سؤالاً يراود خاطرنا، وهو: أنه لماذا لم يتعرض أبو بكر
الذي حكم سنتين ونيفاً لإمامة هذا الرجل، ولم يحاول عزله عن هذا المقام
كما فعل عمر من بعده؟!

بدريون.. في مسجد الضرار:

وذكروا في جملة المشاركين في مسجد الضرار معتب بن قشير. وقد
ذكره ابن إسحاق في من شهد بدرًا.

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٩٩ وراجع: الكشف للزمخشري ج ٢
ص ٢١٥ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٢٧ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٥٥
والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٣.

قال العسقلاني: قيل: كان منافقاً.

وقيل: إنه تاب^(١).

وهذا يشير: إلى أن ما يزعمونه من أن أهل بدر مغفور لهم، إن صح، فلا بد أن يكون المقصود بهم أولئك الذين استقاموا على طريق الحق، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، ولا عرض لهم النفاق، ولا ارتكبوا الموبقات.

كما أن قوله «صلى الله عليه وآله» لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»، إن صح، فالمراد به: اعملوا ما شئتم من قليل الخير وكثيره.

وليس المراد: أنه سوف يغفر لهم ما يرتكبونه من ذنوب وموبقات، فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يغري أحداً بالمعاصي.

سبب التسمية بمسجد الضرار:

وقالوا: إن سبب تسمية مسجدهم بمسجد ضرار، أنهم كانوا يضارون به مسجد قباء، وذلك أنه لما بنى عمرو بن عوف مسجد قباء، الذي أسسه النبي «صلى الله عليه وآله» لما قدم المدينة، وصلى فيه قالت طائفة من المنافقين: نبني

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٩٩ وراجع: نيل الأوطار ج ٨ ص ١٢٧ والغدير للشيخ ج ٣ ص ١٦٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٣٢ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١١١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٣١١ والمعجم الكبير ج ٣ ص ١٦٦ والإستيعاب ج ٣ ص ١٤٢٩ والدرر لابن عبد البر ص ١١٨ وتفسير البحر المحيط ج ٣ ص ٩٦ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ١٤٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٤٦٣ وإكمال الكمال لابن ماكولا ج ٧ ص ٢٨٠ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٠٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٨.

نحن أيضاً مسجداً كما بنوا، فنقيل فيه، فلا نحضر خلف محمد.

فقال لهم أبو عامر الفاسق قبل خروجه إلى الشام: ابنوا مسجدكم، واستمدوا فيه ما استطعتم من سلاح وقوة، فإني ذاهب إلى قيصر، فأتي بجند الروم، فأخرج محمداً وأصحابه، فكانوا يرصدون قدومه^(١).
ثم طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يصلي فيه ليروج أمره على الناس العاديين، وذلك حين كان «صلى الله عليه وآله» يتجهز إلى تبوك، ووعدهم بتلبية طلبهم بعد رجوعه من سفره كما تقدم.

ونقول:

اختلفت كلماتهم في المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى، فقيل: هو المسجد النبوي الشريف^(٢)..

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٩٩ عن ابن جرير، وغيره وراجع: تخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ١٠٢ وجامع البيان للطبري ج ١١ ص ٣٣ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٧٨ وفتح القدير ج ٢ ص ٤٠٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٤٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٠ و ٤٧١.

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٢٦ وشرح مسلم للنووي ج ٩ ص ١٦٩ والديباج على مسلم ج ٣ ص ٤٢٩ وتحفة الأحوذى ج ٢ ص ٢٣٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ١٠٢ و ١٠٣ وجامع البيان ج ١١ ص ٣٧ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٩٤ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٢٧ وتفسير البيضاوي ج ٣ ص ١٧٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٠٥ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٦٧ وإمتاع الأسماع ج ١٠ ص ٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣١١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧١ وج ١٢ ص ٧٢ و ٣٥٥ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ١٠٠.

وقال ابن حجر: «الجمهور على أنه هو مسجد قباء، لقوله تعالى في الآية: {مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ} يقتضي: أنه مسجد قباء، لأن تأسيسه كان من أول يوم وصل فيه «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة، وقوله في بقية الآية {فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا} يؤكد أن المسجد مسجد قباء».

قال الداودي وغيره: إن هذا ليس خلافاً، فإن كلاً منهما أسس على التقوى^(١)..

والذي نقوله:

أولاً: قد يقال: ليس المقصود بالضرار هو الضرار بمسجد آخر بتقليل رواده لكي يقال: إن المقصود بالآية: أنه قد أضر بمسجد قباء، أو بمسجد المدينة، بل المقصود هو أن هذا المسجد قد أنشئ بهدف الإضرار بأهل الإسلام، وبدعوة أهل الإيمان..

ثانياً: قد صرح النص المتقدم بما يدل على أن مقصود المنافقين من بناء مسجد الضرار هو: أن لا يحضروا خلف محمد «صلى الله عليه وآله»، وهذا يرجح: أن مرادهم هو الإستغناء عن الحضور في مسجد النبي «صلى الله عليه وآله»، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» - إذا كان حاضراً بالمدينة - فهو الذي يصلي في مسجدها غالباً لا في مسجد قباء..

ثالثاً: إنه يظهر من بعضهم: أن المراد بقوله: {لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧١ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ١٠٠.

التَّقْوَى {^(١)، هو مسجد النبي «صلى الله عليه وآله».

والمراد بقوله: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ؟^(٢)، هو مسجد قباء^(٣)، مع أن سياق الآيات يفيد أن الحديث فيها عن مسجد واحد.

رابعاً: إن المنافقين أرادوا ببناء هذا المسجد أن يتستروا على مكائدهم ومؤامراتهم، بإظهار أنهم أهل دين وعبادة والتزام.. ثم طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يصلي لهم فيه، ليأخذوا شرعية بذلك، وليظهروا للناس أنهم يقدسون الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويتبركون به وبصلاته في مسجدهم.

واغتنموا الفرصة باختيار هذا الوقت الحساس، وهو وقت خروج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك، حيث الناس منشغلون بأمر السفر، وبالتفكير بمواجهة العدو، ودفع خطره.. ربما لكي تمر القضية في زحمة الأحداث، وتوزع الإهتمامات، حيث لم يكن ثمة متسع من الوقت ولا تتوفر الفرصة اللازمة للبحث والتحري عن النوايا والخلفيات والدوافع..

(١) الآية ١٠٨ من سورة التوبة.

(٢) الآية ١٠٩ من سورة التوبة.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ٢٥٧ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٨٣ وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٨٨ و ٣٤٩ و تفسير العز بن عبد السلام ج ٢ ص ٥٢ والتسهيل لعلوم التنزيل ج ٢ ص ٨٥ وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص ١٦٦ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٧٩ و فتوح البلدان ج ١ ص ٢.

ولكن لم يلبّ النبي «صلى الله عليه وآله» طلبهم، وبقيت الأمور غير ظاهرة حتى جاء الوحي الإلهي، ليفضحهم، ويكذب أحدوثنهم..

هدم المسجد، لماذا؟!

ويبقى هنا سؤال: لماذا يهدم النبي «صلى الله عليه وآله» المسجد، ويتلف بذلك جهداً بُذل، مع أنه قد كان بالإمكان أن يبقى ليصل به بالمؤمنين، بعد أن يطرد أولئك المتآمرين المكّارين، أو أن يعاقبهم بما يستحقونه..

ونقول في الجواب:

إنّ النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعاقب المنافقين الذين شاركوا في هذا الكيد القوي، واكتفى بهدم مسجد الفتنة الذي أقاموه، من أجل أن لا يبقى رمز النفاق قائماً تحنُّ له قلوب بعض أهل النفاق، وقد يتشجعون لبذل مسعى آخر يستلهمون فيه نفس الفكرة، ويطبقون نفس الأسلوب، ويسيرون على خطى أسلافهم..

كما أن من الممكن أن يمارسوا أسلوباً تضليلياً بادعائهم أن ما اتُّهموا به لم يكن حقيقياً، وإنما هو مجرد شائعات مكذوبة، ولربما يتمكنون من استمالة كثير من ضعفاء العقول والإيمان إلى جانبهم، ثم يمارسون معهم أساليب الخداع، لسوقهم إلى أجواء النفاق..

فكان حرق المسجد وهدمه هو السبيل الأمثل لاقتلاع جرثومة الفساد، وإفهام الناس أن لا هوادة في أمر النفاق، ولا مهادنة للمنافقين. بل القرار حاسم، ولا مجال لتزييف الحقائق أو تحريفها بأي وجه. وإن كل حركة باتجاه إثارة أجواء المكر والخيانة، والتآمر معرّضة للإفضاح، المؤدي بهم إلى الخزي

.....
والمهانة في أبشع مظاهرها وصورها..

وذلك هو الأسلوب الأمثل لردع هؤلاء الساقطين عن غيهم. وإحباط
مكرهم، وبوار سيعهم.

ويلاحظ هنا: أن علياً «عليه السلام» كان يهدم دور الذين يهربون إلى
معاوية لكي تكون عبرة لمن اعتبر، ودرساً لمن حقق النظر.

جيش الروم أمل أهل النفاق:

وقد أوضح النص المتقدم: أن هناك مساع كانت تبذل، وكان المنافقون
ينتظرون نتائجها، وهي تهدف إلى إقناع الروم بشن حملة على الإسلام وأهله،
ومهاجمة المدينة والحجاز كله، لاستئصال شأفة الإسلام والمسلمين..

ولعل هذا يفسر لنا بعض السبب في مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله»
إلى غزو الروم، كعملية وقائية تهدف إلى وأد الخطر في مهده.. أو على الأقل
منع الخطر من الزحف إلى مشارف المدينة.

وقد أظهر كلام أبي عامر الفاسق: أن المنافقين في مسجد الضرار كانوا
يتجهون إلى جمع السلاح، والإستعداد، والسعي للتشبث بأسباب القوة،
لاستخدامها في الوصول إلى مآربهم، فراجع: قوله: «واستمدوا فيه بما
استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فأتي بجيشٍ
من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه».

وقد تركت هذه الكلمات أثرها في المنافقين، حيث بقوا يرصدون ما
يقدم به أبو عامر الفاسق.

الملاعنة في المسجد:

قالوا: وفي سنة تسع في شهر ذي القعدة لاعن «صلى الله عليه وآله» بين عويمر بن أبيض العجلاني، وبين امرأته، في مسجده، بعد صلاة العصر. وكان عويمر قدم من تبوك فوجدها حبل، وقد كان قذفها بشريك بن سمحاء^(١)..

ويقال: لما نزل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}^(٢). قرأها النبي «صلى الله عليه وآله» على المنبر يوم الجمعة، فقام عاصم بن عدي الأنصاري، فقال: جعلني الله فداك، إن رأى رجل منا مع امرأته رجلاً، فأخبر بما رأى جلد ثمانين، وسماه المسلمون فاسقاً، ولا تقبل شهادته أبداً، فكيف لنا بالشهداء، ونحن إذا التمسنا الشهداء كان الرجل قد فرغ من حاجته ومر؟!.

فجاء عويمر إلى عاصم، وأخبره أنه رأى شريك بن السمحاء على بطن امرأته، فرجع عاصم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الجمعة الثانية، فأخبره، فجمع النبي «صلى الله عليه وآله» بينهما فسألها، فأنكرت ذلك.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٣ وراجع: البحار ج ١٠١ ص ١٧٤ وتفسير القمي ج ٢ ص ٩٨ وراجع: البرهان ج ٣ ص ١٢٥ عن الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، وتهذيب الأحكام، والاستبصار ج ٣ ص ٣٧٠ والدر المنثور ج ٥ ص ٢١ - ٢٤ وراجع: الوسائل ج ١٥ ص ٥٨٦ و ٥٨٩ ورسالة المحكم والمتشابه ص ٩٠ وراجع: الإستيعاب ج ٣ ص ١٢٢٦ والبحار ج ٢١ ص ٣٦٧.

(٢) الآية ٤ من سورة النور.

وأصر عويمر على أنه لم يقربها منذ أربعة أشهر، وهي حامل من غيره، فأنزل الله آية الملائكة، فلاعن بينهما، ففرق رسول الله «صلى الله عليه وآله» بينهما، وقال: «لولا هذه الأيمان لكان في أمرها رأي».

ثم قال: «تربصوا بها إلى حين الولادة، فإن جاءت بأصيهب أثيج، يضرب إلى السواد، فهو لشريك بن السمحاء، وإن جاءت بأورق، جعداً، جمالياً، حَدَلَج الساقين، فهو لغير الذي رميت به».

قال ابن عباس: فجاءت بأشبه خلق بشريك^(١).

ونقول:

إن لنا هنا بعض التوضيحات، والبيانات، وهي كما يلي:

إيضاح مفردات:

الأصيهب: تصغير الأصهب. وهو الأحمر.

الأثيج: تصغير الأثج. وهو واسع الظهر.

الجمالي: عظيم الخلقة، تشبيهاً بالجمال عَظْماً وبدانةً.

الحدلج: العظيم. والحدلجة: المرأة الممتلئة الذراعين والساقين.

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٣٣ و ١٣٤ وتفسير القمي ج ٢ ص ٨٩ والبحار ج ١٠١ ص ١٧٤ و ١٧٥ عنه وج ٢٢ ص ٤٥ و ٤٦ و ٦٨ - ٧٠ وج ٢١ ص ٣٦٧ و ٣٦٨ ومجمع البيان ج ٧ ص ١٢٧ و ١٢٨ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ١٢٦ والدر المنثور ج ٥ ص ٢٢ - ٢٤ عن البخاري، والترمذي، وابن ماجة ومصادر كثيرة أخرى فراجع.

لعل هذه أمارات شرعية؟!

إن ما ذكر عن النبي «صلى الله عليه وآله» من أن المولود الذي سيأتي إن كان فيه صفات كذا فهو لفلان، وإن لم تكن فيه تلك الصفات فهو لغيره، لا يمكن القبول بنسبته إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإن ذلك لم يجعل من أمارات النسب، ولأجل ذلك نقول:

أولاً: إنه إن كان قوله هذا أمانة معتبرة شرعاً، فلا حاجة إلى الملاعنة، بل كان يجب أن ينتظر بالمرأة حتى تضع حملها فيُنظر إلى صفات الولد، ليحكم عليها بالزنا أو بعدمه..

وإن كان ذلك لا يثبت شيئاً، فإنه يدخل في سياق قذف تلك المرأة من دون حجة ظاهرة، وهذا لا يصدر عن نبي الرحمة، المعصوم، والداعي إلى الستر على الناس.

ويزيد الأمر إشكالاً: أن بعض الروايات قد بينت أن ذلك أدى إلى تكريس اتهام تلك المرأة بالزنا ونفي الولد عن أبيه بين الناس، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أورد ذلك على سبيل الظن والإحتمال، ففيها: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: انظروا، فإن جاءت به أسحم، أدعج العينين، عظيم الإليتين، خدلج الساقين، فلا أحسب عويمراً إلا صدق عليها. وإن جاءت به أحيمر، كأنه وجرة، فلا أحسب عويمراً إلا كذب عليها. فجاءت به على النعت الذي نعت «صلى الله عليه وآله» من تصديق عويمر. فكان بعد ذلك ينسب إلى أمه^(١).

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٣٤ وراجع: كتاب الأم للشافعي ج ٥ ص ١٣٤ =

ثانياً: إن الكلام المنسوب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» قد جاء شبه متناقض فإن قوله «صلى الله عليه وآله»: «فهو لغير الذي رميت به..» قد أكد أن الولد ابن زنا على كل تقدير. ثم لم يحكم بأنه ابن الزوج على التقدير الآخر. مع أنه حكم بأن عويمراً قد كذب عليها. إلا أن يقال: إن أبوة الزوج للولد قد انتفت بنفس اللعان وإن كان لا يصح نسبته إلى الزاني أيضاً.. ولكن يبقى السؤال عن معنى توصيف الولد بصفات محددة حتى في الحالتين.

نزول آية اللعان واعتراض سعد:

وقد ذكرت الرواية: أن آية اللعان قد نزلت في مناسبة قصة عويمر التي حصلت بعد تبوك.

وقد روى ابن عباس: أن سعد بن عبادة كان بصدد الاعتراض على حكم الله، حتى قال النبي «صلى الله عليه وآله» للأنصار: «يا معشر الأنصار، ألا تسمعون إلى ما قال سيدكم؟»

= و ٣٠٧ وج ٧ ص ٣١١ والبحر الرائق ج ٤ ص ١٨٩ واختلاف الحديث للشافعي ص ٥٤٧ وكتاب المسند للشافعي ص ١٨٨ وكتاب المسند للشافعي ص ٢٥٧ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٤ وصحيح البخاري ج ٦ ص ٣ وج ٨ ص ١٤٦ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٦٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٣٩٩ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٢ ص ٣٨٦ وفتح القدير ج ٤ ص ١١ والدر المنثور ج ٥ ص ٢٣ وتفسير الثعلبي ج ٧ ص ٧١ والكشاف للزنجشري ج ٣ ص ٥٢.

فاعتذروا له بشدة غيرة سعد، ثم إن سعداً نفسه اعتذر: بأنه إنما قال ذلك تعجباً.

وتضمن هذا الحديث نفسه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» همَّ بأن يجلد الذي قذف زوجته ثمانين.

قال: واجتمعت الأنصار وقالوا: ابتلينا بما قال سعد: أيجلد هلال^(١)، وتبطل شهادته؟

فتزل الوحي باللعان..

ثم ذكرت الرواية قول النبي «صلى الله عليه وآله»: إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها. وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه^(٢).

ونقول:

إن من المناسب ملاحظة ما يلي:

متى نزلت آية اللعان؟!:

إن سورة النور قد نزلت دفعة واحدة على الأرجح، لقوله تعالى في أول

(١) يعني هلال بن أمية.

(٢) البحار ج ٢٢ ص ٤٦ ومجمع البيان ج ٧ ص ١٢٧ و ١٢٨ والدر المنثور ج ٥ ص ٢١ و ٢٢ عن أحمد، وعبد الرزاق، والطيالسي، وعبد بن حميد، وأبي داود، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وراجع: مسند أبي داود الطيالسي ص ٣٤٨ وتفسير مجمع البيان ج ٧ ص ٢٢٥ وجامع البيان للطبري ج ١٨ ص ١٠٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٨ ص ٢٥٣٣ وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٣٥٥ و ٣٦٤ وتفسير الثعلبي ج ٧ ص ٦٩ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٣٥٠.

آية منها: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا} (١). وهي إنما نزلت كما يقال: في غزوة المريسيع، التي كانت قبل تبوك بعدة سنوات.
إن قلت: لعل الآية نزلت مع السورة أولاً دفعة واحدة، ثم بعد سنوات حصلت مناسبتها، فنزلت مرة ثانية؟!..
فإنه يقال: لو كان الأمر كذلك لم يتحير عاصم، أو سعد بن عبادة في هذا الأمر..

فإن قلت: إن من الممكن أن لا يلتفت المتحير للآية التي ذكرت اللعان.
فنقول: قد كان يكفي في هذه الحال مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى تذكير المتحير بالآية والسورة، من دون حاجة إلى إنزالها على يد جبرئيل مرة أخرى.
وقد تقدم: عدم صحة ما نسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من حكمه بأن الولد للزاني إن جاءت به بصفة كذا وكذا.

جلد هلال بن أمية:

إن ما زعمته رواية ابن عباس - كما في الدر المنثور -: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جلد هلال بن أمية. لا يمكن قبوله، وذلك:
أولاً: لما ذكرناه من أن هذا الحكم قد ورد في سورة النور التي نزلت دفعة واحدة على ما يظهر، وقد نزلت آيات الأمر بجلد القاذف، وآيات اللعان في صيغة واحدة، فالنبي «صلى الله عليه وآله» كان يعلم الحكم قبل هذه الواقعة.

(١) الآية ١ من سورة النور.

ثانياً: قد يقال: إن ظاهر الرواية: أنه «صلى الله عليه وآله» قد جلد هلالاً.
والجواب: أن الرواية لا تدل على ذلك، فإن قول سعد بن عباد: «الآن،
فضرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» هلال بن أمية، وأبطل شهادته في
المسلمين»، يراد به: توقع حصول ذلك منه «صلى الله عليه وآله» لا أنه قد
حصل بالفعل.

ويدل عليه قوله في آخر الرواية: «والله لم يعذبني عليها، كما لم يجلدني
عليها».

ولو سلمنا أنه جلدته فعلاً فيرد عليه:

ألف: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يقدم على جلد ذلك الرجل
بدون إذن من ربه، فإن كان الحكم هو اللعان، فلماذا يأذن الله بجلده، وإن
كان الحكم هو الجلد، فلا حاجة إلى حكم اللعان..

ونسبة الظلم إلى الله تعالى، أو التسرع إلى رسول الله «صلى الله عليه
وآله» والإقدام على عمل لم يؤذن له به، يوجب الكفر.

ب: تقول الرواية المزعومة - التي وردت في الدر المنثور - عن المصادر
المتقدمة: أن هلال بن أمية، بعد أن جلد قال: «والله، إني لأرجو أن مخرجاً..»
مع أنه قد جلد وانتهى الأمر، فأني مخرج من عند الله؟!..
إلا إن كان يريد أن يظهر الله صدقه فيما ادّعاه، لأنه لا يريد أن يشيع
بين الناس أنه قد افترى وكذب..

لولا ما مضى من كتاب الله:

وقد ذكرت رواية ابن عباس: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «لولا ما

مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن، أو كذا وكذا»^(١). أو «لولا هذه الأيمان لكان في أمرها رأي أو شأن»^(٢).

-
- (١) الدر المنثور ج ٥ ص ٢٢ و ٢٤ عن البخاري، والترمذي، النسائي، وأبي يعلى، وابن ماجة، وابن مردويه، وراجع: المجموع للنووي ج ١٧ ص ٣٨٩ والمحلى لابن حزم ج ١٠ ص ١٤٥ وج ١١ ص ٢٨٠ ونيل الأوطار ج ٧ ص ٦٧.
- (٢) الخلاف للشيخ الطوسي ج ٥ ص ٨ وج ٦ ص ٣٥٠ و ٤٤٢ والمبسوط للشيخ الطوسي ج ٥ ص ١٨٣ والسرائر لابن إدريس ج ٢ ص ٧٠٥ وجامع الخلاف والوفاق ص ٤٩٤ وتذكرة الفقهاء (ط.ق) ج ٢ ص ٢٧٨ وكشف اللثام (ط.ج) ج ٨ ص ٣٣٢ و (ط.ق) ج ٢ ص ١٧٩ وجواهر الكلام ج ٣٤ ص ٦٣ والمجموع للنووي ج ١٥ ص ٣١٠ وج ١٧ ص ٤١٣ و ٤٣٣ والمغني لابن قدامة ج ٦ ص ٣٩٦ و ٣٩٧ وج ٩ ص ٤ و ٦ و ٤٤ وج ٦ ص ٤٠٤ و ٤٠٥ وج ٩ ص ٤ و ١٦ وج ١٠ ص ٢٢٠ وكشاف القناع للبهوتي ج ٥ ص ٤٦٠ وسبل السلام ج ٣ ص ١٩٤ وج ٤ ص ١٣٧ ونيل الأوطار ج ٧ ص ٧٠ و ٨١ و ٢٧١ وج ٩ ص ١٨٨ و ١٩٩ وعوالي اللآلي ج ٣ ص ٤١٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٢ ص ٣٦٣ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٣٩ وسنن أبي داود ج ١ ص ٥٠٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٣٩٥ وشرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٥ وفتح الباري ج ٩ ص ٣٩١ و ٤٠٨ وج ١٣ ص ١٥٣ وعمدة القاري ج ١٣ ص ٦ و ٢٥١ وشرح سنن النسائي للسيوطي ج ٨ ص ٢٣٤ ومسند أبي داود الطيالسي ج ٥ ص ٣٤٨ ومسند أبي يعلى ج ٥ ص ١٢٧ ومعرفة السنن والآثار ج ٥ ص ٥٤٦ والتمهيد لابن عبد البر ج ١٥ ص ٤٣ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٤٢١ وكنز العمال ج ١٥ ص ٢٠٣ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٨ ص ٢٥٣٤ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٣٠٦ وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٤٩٨ تفسير السمعي ج ٣ ص ٥٠٥ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٣٥٣ وتفسير =

ونقول:

إن نسبة هذا الكلام إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرفوضة، فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يكون له رأي يغير شرع الله تبارك وتعالى. كما لا يمكن أن يكون التشريع تابعاً لآراء الرجال.. بل إذا كان لا بد من إعمال نظر في أية قضية، فلا بد أن ينطلق من الضابطة التي وضعها الله، وفي الحدود التي رسمها..

إن هؤلاء يريدون أن يشرعوا لأئمتهم القول في الدين بآرائهم، حين يجهلون أحكام الله، وتطلب منهم الفتوى، أو اتخاذ الموقف.

ويلاحظ: أن الروايات قد اختلفت فيما بينها، فلاحظ مثلاً اختلافها في اسم الرجل الذي لاعن زوجته، هل هو هلال، أو عويمر؟ وفي اسم أبيه، هل هو أبيض، أو أمية؟

وهل الذي كلم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الذي يرى مع زوجته رجلاً ماذا يصنع، هل هو عاصم بن عدي، أم هلال بن أمية، أم سعد بن عبادة؟

يضاف إلى ذلك: الإختلاف في الكلام المنسوب للنبي «صلى الله عليه وآله»، إلى غير ذلك مما يجده المتتبع.

= الرازي ج ٢٣ ص ١٦٦ والجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ١٨٧ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢٧٧ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٥ ص ٤٦٧ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٢ ص ٣٨٢.

آمنة بنت وهب المؤمنة الطاهرة:

وروا عن ابن عباس أنه قال: إنه «صلى الله عليه وآله» «لما أقبل من غزوة تبوك اعتمر، فجاء قبر أمه، فاستأذن ربه أن يستغفر لها. ودعا الله تعالى أن يأذن له في الشفاعة لها يوم القيامة، فأبى الله أن يأذن له، ونزلت الآية: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ}»^(١).

ونقول:

إن هذا الكلام مختلق ومكذوب من أساسه، وذلك لما يلي:
أولاً: قد تقدم: أن كلمة الإمامية قد اتفقت على أن أبوي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بل جميع آبائه «عليه السلام»، كانوا مؤمنين صالحين، وليس فيهم كافر أصلاً، وقال الصدوق «رحمه الله»: إن أم النبي «صلى الله عليه وآله» آمنة بنت وهب كانت مسلمة أيضاً^(٢).

وهناك جماعة من غير الإمامية يوافقونهم على ذلك..
وقد ألف السيوطي عدة رسائل لإثبات إيمان آباء النبي «صلى الله عليه وآله» مثل: «التعظيم والمنة» في أن أبوي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في

(١) الغدير ج ٨ ص ١٣ عن مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٦٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ١

ص ١٨٩ والمعجم الكبير ج ١١ ص ٢٩٦ وتفسير جامع البيان ج ١١ ص ٣١

وإرشاد الساري ج ٧ ص ٢٧٠ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٣.

(٢) الآية ١١٣ من سورة التوبة.

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية للصدوق ص ١١٠ والبحار ج ١٥ ص ١١٧.

:
..
الجنة، وغير ذلك.

ثانياً: قال كعب: إنه وجد في الكتب التي أنزلت من السماء: «ما ضرب على آدمية حجب الجنة غير مريم، وآمنة أم محمد أو أحمد»^(١)..

ثالثاً: قال الشيخ المفيد: «لا خلاف بين الأمة أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما فرغ من حجة الوداع لاذ بقبر قد درس، فقعده عنده طويلاً، ثم استعبر، فقليل له: يا رسول الله، ما هذا القبر؟!».

فقال: هذا قبر أمي آمنة بنت وهب، سألت الله تعالى في زيارتها فأذن لي»^(٢).

رابعاً: قال تعالى في سورة «المنافقون» التي نزلت في غزوة بني المصطلق، أي قبل غزوة تبوك بعدة سنوات: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} ^(٣). فإذا كان الله لا يغفر للمنافق، فهل يغفر للمعلن بشركه؟!.

خامساً: لماذا لم يتذكر النبي «صلى الله عليه وآله» الإستغفار لأمه إلا في آخر أيام حياته؟!.

سادساً: عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: نزل جبرئيل «عليه السلام» على النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا محمد، إن ربك يقرؤك السلام ويقول: «إني قد حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك»..

(١) البحار ج ١٥ ص ٢٦١ عن أمالي الصدوق ص ٣٥٧ و (ط مؤسسة البعثة)

ص ٦٩٨ وروضة الواعظين ص ٦٧ والبحار ج ١٥ ص ٢٦١.

(٢) الفصول المختارة للشيخ المرتضى ص ١٣١ والبحار ج ١٠ ص ٤٤١ عنه.

(٣) الآية ٦ من سورة المنافقون.

فالصلب صلب أليك عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذي حملك
بطن آمنة بنت وهب، وأما الحجر الذي كفلك فحجر أبي طالب»^(١).

زاد في رواية قوله: «وفاطمة بنت أسد».

سابعاً: عن علي «عليه السلام»؛ قال: قال رسول الله «صلى الله عليه
 وآله»: «هبط علي جبرئيل، فقال لي: إن الله تعالى مشفعك في (خمسة أو)
 ستة: بطن حملك، آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك، عبد الله بن عبد
 المطلب، وحجر كفلك، أبو طالب الخ..»^(٢).

وفي نص آخر: «حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك الخ..»^(٣).

(١) روضة الواعظين ص ١٢١ وفي (ط أخرى) ج ١ ص ١٣٩ و (ط منشورات
 الشريف الرضي) ص ٦٧ والجواهر السنية ص ٢١٨ والبحار ج ١٥ ص ١٠٨
 وج ٣٥ ص ١٠٩ والكافي ج ١ ص ٤٤٦ ومعاني الأخبار ص ١٣٦ وتفسير أبي
 الفتوح الرازي ج ٨ ص ٤٧٠ والحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب ص ٤٨
 والغدير ج ٧ ص ٣٨٥ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٧٦ وأمالى الصدوق
 ص ٧٠٣ ومعاني الأخبار ص ١٣٧.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٧ والبحار ج ٣٥ ص ١٠٨ وج ٣٥
 ص ١٥٦ والغدير ج ٧ ص ٣٧٨ و ٣٨٦ وراجع: الخصال للشيخ الصدوق
 ص ٢٩٤ والبحار ج ١٥ ص ١٢٦.

(٣) التعظيم والمنة للسيوطي ص ٣٥ عن ابن الجوزي، وراجع: الغدير للأميني ج ٧
 ص ٣٧٨ والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٢٨٣ ولسان الميزان ج ٦ ص ٢٤٨
 وينابيع المودة ج ٢ ص ٣٣١ والكافي ج ١ ص ٤٤٦ والأمالى للصدوق ص ٧٠٣
 ومعاني الأخبار ص ١٣٧ وروضة الواعظين ص ٦٧ وشرح أصول الكافي ج ٧
 ص ١٧٧ وكنز الفوائد ص ٧٠ والصراط المستقيم ج ١ ص ٣٤١ والجواهر =

ثامناً: أخرج تمام الرازي في فوائده عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وأخ كان لي في الجاهلية»^(١).

تاسعاً: عنه «صلى الله عليه وآله»: «إن الله عز وجل وعدني في أربعة، في أبي وأمي وعمي، وأخ كان لي في الجاهلية»^(٢).

عاشراً وأخيراً: سيأتي في آخر غزوة تبوك تحت عنوان: «إعتبار النبي «صلى الله عليه وآله» بعد حجة الوداع». أن الروايات عن الأئمة المعصومين «عليهم السلام» تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» اعتمر ثلاث مرات: في الحديبية، وفي عمرة القضاء، ومن الجمرانة بعد الطائف وحين^(٣)..

أما الروايات عند غير الشيعة، فتزيد على ذلك عمرة رابعة، وهي

= السنية ص ٢١٨ و ٢١٩ والبحار ج ١٥ ص ١٠٨ وج ٣٥ ص ١٠٩ والغدير ج ٧ ص ٣٧٨ و ٣٨٥ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٢٥٦ والتفسير الصافي ج ٤ ص ٩٦ والدر النظيم ص ٢٧.

(١) ذخائر العقبى ص ٧ والدرج المنيفة ص ٧ ومسالك الحنفا ص ١٤ عن أبي نعيم، وراجع: من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٣٦٨ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص ٤٤٢ والبحار ج ٨ ص ٣٦ وج ٧٤ ص ٥٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٣ وتفسير القمي ج ٢ ص ٢٥ وتفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٢٠٦.

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٣٥ والغدير ج ٧ ص ٣٧٨.

(٣) راجع تذكرة الفقهاء (ط.ج) ج ٨ ص ٤٣٧ و (ط.ق) ج ١ ص ٤٠١ وكشف اللثام (ط.ج) ج ٥ ص ٢٢٢ والمجموع للنووي ج ٧ ص ١٧٠ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٣٤١ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٢٤٧.

العمرة في حجة الوداع في السنة العاشرة^(١)، ولا توجد عمرة في سنة تسع،
بعد تبوك أصلاً.

(١) راجع: المغني لابن قدامة ج ٣ ص ٤١١ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٢٤٨
وكشاف القناع للبهوتي ج ٢ ص ٤٨٣ ونيل الأوطار ج ٥ ص ٢٦.

الباب العاشر

سورة براءة وحجة الوداع

الفصل الأول: أبو بكر وسورة براءة: هكذا يزورون الحقائق

الفصل الثاني: حجة الوداع

الفصل الثالث: حج النبي ' برواية الإمام الصادق

الفصل الرابع: قبل أن يسير ' إلي عرفات (بروايتهم)

الفصل الأول:

أبو بكر وسورة براءة:
هكذا يزورون الحقائق

أبو بكر يحج بالناس:

قالوا: وفي سنة تسع في ذي القعدة حج أبو بكر بالناس، بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله». فخرج من المدينة في ثلاث مائة رجل. وبعث معه «صلى الله عليه وآله» عشرين بدنة، قلّدها، وأشعرها بيده، وعليها ناجية بن جندب الأسلمي، وساق أبو بكر خمس بدنات. وحج عبد الرحمن بن عوف أيضاً، وساق هدياً^(١).

إرجاع أبي بكر وبعث علي ×:

قالوا: وبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» على أثر أبي بكر ليقراً على الناس سورة براءة، فأدركه بالعرج في قول ابن سعد، أو في ضجنان^(٢) كما قاله ابن عائذ. وكان علي «عليه السلام» على العضباء ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما رآه أبو بكر قال: أميراً أو مأموراً؟!

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٣ وراجع ج ١١ ص ٣٣٨.

(٢) العرج: قرية تبعد عن المدينة نحو ثمانية وسبعين ميلاً. وضجنان: جبل يبعد عن مكة اثني عشر ميلاً.

قال: لا بل مأمور. ثم مضياً^(١).

وحسب نص آخر: بعث أبا بكر على إقامة الحج سنة تسع، وبعث في أثره علياً يقرأ على الناس سورة براءة.

ف قيل: لأن أولها نزل بعد أن خرج أبو بكر إلى الحج^(٢).

وقيل: بل لأن عادة العرب كانت أنه لا تحل العقود والعهود ويعقدها إلا المطاع، أو رجل من أهل بيته، فلهذا بعث علياً «عليها السلام» في أثره^(٣).
وقيل: أردفه به عوناً له ومساعداً، ولهذا قال له الصديق: أأميراً أو مأموراً؟

قال: بل مأموراً.

وأما أعداء الله الراضية، فيقولون: عزله بعلي، وليس هذا ببدع من بهتهم وافترائهم^(٤).

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٣ و ٧٤ والدرر لابن عبد البر ص ٢٥٠ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٣٢٢.

(٢) راجع: الدرر لابن عبد البر ص ٢٥٠ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٣٢١ و ٣٢٢.

(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٣٨ وج ١٢ ص ٧٥ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٤٥ و ٢٤٦ عن الفضل بن روزبهان، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٦١ والبحار ج ٣٠ ص ٣١٩ عن الجبائي، والمغني للقاضي عبد الجبار ج ٢٠ ص ٣٥١ وتفسير الرازي ج ١٥ ص ٢١٨ والكشاف للزخشري ج ٢ ص ١٧٢ وتفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٠٥ وشرح التجريد للقوشجي ص ٣٧٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٤٥.

(٤) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٣٨.

وقيل: كان في سورة براءة الثناء على الصديق، فأحب أن يكون على لسان غيره، قال في الهدى: لأن السورة نزلت بعد ذهاب أبي بكر إلى الحج^(١).

وإن مكرهم لتزول منه الجبال:

إن هذا العرض لما جرى لأبي بكر في تبليغ مضامين سورة براءة في موسم الحج يمثل أنموذجاً لمكر الماكرين، وجحود الجاحدين، {وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}.. مع أن أحداث هذه القضية كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، ولم يزل العلماء يتداولونها، ويستدلون بها في قضايا الإمامة، ولا يجد الآخرون مناصاً عن البخوع لمقتضيات مضامينها، والتسليم بدلالاتها، ولو وجدوا أي مجال للتأويل أو التحوير.. لما ترددوا في اللجوء إليه، والتعويل عليه. ونحن نوضح الحقيقة في هذه القضية هنا، فنقول:

أساس القضية:

عن الحارث بن مالك: أنه سأل سعد بن أبي وقاص (سعد بن مالك): هل سمعت لعلي منقبة؟! هل سمعت لعلي منقبة؟!!

قال: قد شهدت له أربعاً، لأن تكون لي واحدة منهم أحب إلي من الدنيا، أعمّر فيها مثل عمر نوح: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث أبا بكر براءة إلى مشرقي قريش، فسار بها يوماً وليلة. ثم قال لعلي: اتبع أبا

(١) راجع: سبيل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٥.

(٢) الآية ٤٦ من سورة إبراهيم.

بكر فخذها وبلغها. فَرَدَّ عليَّ أبا بكر، فرجع يبكي، فقال: يا رسول الله، أنزل فيَّ شيء؟

قال: لا، إلا خيراً، إنه ليس يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني.
أو قال: من أهل بيتي الخ..^(١).

وكان مع أبي بكر، قبل أن يرجع ثلاث مائة رجل^(٢).

ويظهر من النصوص المتوافرة لدينا: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر أبا بكر أن يسير إلى مكة ليقيم للناس حجهم في سنة تسع، وليبلغ عنه إلى الناس صدر سورة براءة، بالإضافة إلى قرارات يريد أن يلزم الناس بمراعاتها.

ويستفاد من مجموع الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» كتب عشر آيات، أو ثلاثين أو أربعين آية من سورة براءة، وكتب أيضاً:
١- أن لا يطوفنَّ بالبيت عريان.

٢- ولا يجتمع المسلمون والمشركون.

٣- ومن كان بينه وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» عهد، فأجله إلى مدته ومن لم يكن بينه وبينه عهد فأجله إلى أربعة أشهر.

(١) كفاية الطالب ص ٢٨٧ والبحار ج ٣٥ ص ٢٨٥ عن علل الشرايع ص ٧٤ ومقام الإمام علي «عليه السلام» لنجم الدين العسكري ص ٣٦ والغدير للشيخ الأميني ج ١ ص ٤٠ والغدير للشيخ الأميني ج ٦ ص ٣٤٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٤٤٥ وج ١٥ ص ٦٦١ وج ٢٢ ص ٤٢٩ عن مختصر تاريخ دمشق (ط إسلامبول) ج ١٧ ص ١٣٠.

(٢) البحار ج ٣٥ ص ٣٠٩ عن الكامل لابن الأثير.

- ٤ - وإن الله ورسوله بريء من المشركين.
- ٥ - ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة (أو إلا من كان مسلماً).
- ٦ - ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا.
- ٧ - وأن هذه أيام أكل وشرب.
- ٨ - وأن يرفع الخمس من قريش، وكنانة وخزاعة إلى عرفات^(١).
- والخمس أحكام كانوا قد قرروها لأنفسهم ترك الوقوف بعرفات والإفاضة منها^(٢).

فلما كان أبو بكر ببعض الطريق إذ سمع رغاء ناقه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإذا هو علي «عليه السلام»، فأخذ الكتاب من أبي بكر ومضى. ويبدو أن الكتب كانت ثلاثة: أحدها: ما أشير إليه آنفاً.

والثاني: كتاب يشتمل على سنن الحج، كما روي عن عروة.

والكتاب الثالث: كتبه النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أبي بكر وفيه: أنه استبدله بعلي «عليه السلام» لينادي بهذه الكلمات في الموسم، ويقيم للناس حجهم.

وعند المفيد: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي: «وخير أبا بكر أن يسير مع ركابك أو يرجع إليّ»، فاختر أبو بكر أن يرجع إلى رسول الله «صلى الله

(١) تفسير فرات ص ١٦١ والبحار ج ٣٥ ص ٣٠٠ عنه، وراجع: تفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج ٨ ص ٨٧.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٩٩.

عليه وآله»، فلما دخل عليه قال: «يا رسول الله، إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق فيه إليّ، فلما توجهت له رددتني عنه؟ ما لي؟ أنزل في قرآن؟ فقال «صلى الله عليه وآله»: لا، الخ..»^(١).

رجع أبو بكر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منزعجاً قلقاً قائلاً: يا رسول الله هل نزل في شيء. فأخبره النبي «صلى الله عليه وآله» بأن جبرئيل جاءه وقال له: إنه لا يبلغ عنه إلا هو أو رجل منه، وهو علي «عليه السلام». فقرأ علي «عليه السلام» في موقف الحج سورة براءة حتى ختمها كما عن جابر.

وعن عروة: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» أن يؤذن بمكة وبمنى، وعرفة، وبالمشاعر كلها: بأن برئت ذمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» من كل مشرك حج بعد العام، أو طاف بالبيت عريان الخ.. ولهذا الحديث مصادر كثيرة جداً، فراجع في مظانه^(٢).

(١) الإرشاد ج ١ ص ٦٥ و ٦٦ والبحار ج ٢١ ص ٢٧٥ وج ٣٥ ص ٣٠٣ عنه، وعن المناقب ج ١ ص ٣٢٦ و ٣٢٧ والمستجد من الإرشاد (المجموعة) ص ٥٥ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٢٤٧ وكشف اليقين ص ١٧٣.

(٢) راجع هذا الحديث في المصادر التالية: الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٩ و ٢١٠ عن أحمد، وابن أبي شيبة، والترمذي، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وابن حبان، والطبراني، والتراتيب الإدارية ج ١ ص ٧٢ ورسالات نبوية ص ٧٢ والبحار ج ٢١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٧٤ و ٢٧٥ وج ٣٥ ص ٢٨٥ - ٣٠٩ والجامع لأبي زيد القيرواني ص ٣٩٦ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٦ والرياض النضرة ج ٣ ص ١١٨ و ١١٩ وذخائر العقبى ص ٦٩ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٣ ص ٩١ وعن تاريخ الأمم =

: ..

= والملوك ج ٣ ص ١٢٢ و ١٢٣ والكفاية للخطيب ص ٣١٣ والسنة لابن أبي
عاصم ص ٥٨٩ وكنز العمال ج ٢ ص ٤٢٢ و ٤١٧ و ٤٣١ وج ١٣ ص ١٠٩
ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٩ وتفسير المنار ج ١٠ ص ١٥٧ و ١٥٦ والعمدة لابن
البطريق ص ١٦٠ وكشف اليقين ص ١٧٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٨ وج ٧
ص ٣٥٧ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢٦٠ وج ٤ ص ٧٨ ووسيلة المآل ص ١٢٢
والجمل للمفيد ص ٢١٩ والكمال لابن عدي (ط دار الفكر) ج ٣ ص ٢٥٦ و ٤١٣
وابن زنجويه ج ١ ص ٦٦٣ والمعجم الكبير ج ١١ ص ٤٠٠ وفتح القدير ج ٢
ص ٣٣٤ والمناقب للخوارزمي ص ٩٩ و ١٦٥ و ١٦٤ وزوائد المسند ص ٣٥٣
وفرائد السمطين ج ١ ص ٦١ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٨٣ وجامع البيان ج ١٠
ص ٤٤ - ٤٧ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٣٣ والصواعق المحرقة ص ٣٢
وتفسير أبي حيان ج ٥ ص ٦ وإمتاع الأسماع ص ٤٩٩ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٩
وخصائص الإمام علي بن أبي طالب للنسائي ص ٩٢ و ٩٣ والأموال لأبي عبيد
ص ٢١٣ و ٢١٥ وتيسير الوصول ج ١ ص ١٥٨ وعن الكشف ج ٢ ص ٢٤٣
والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٠٣ والسنن الكبرى ج ٥ ص ١٢٨ ح ٨٤٦١
وج ٩ ص ٢٢٤ وكفاية الطالب ص ٢٥٥ و ٢٥٤ و ٢٨٥ عن أحمد، وابن عساكر،
وأبي نعيم، وتشديد المطاعن ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٥ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٧٧ و
١٨٢ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٣ ص ٨٩ ومسند أحمد ج ١ ص ٣ و ١٥١ و ١٥٠
وج ٣ ص ٢١٢ و ٢٨٣ وإرشاد الساري ج ١٠ ص ٢٨٣ وغرائب القرآن (مطبوع
بهامش جامع البيان) ج ١٠ ص ٣٦ وتذكرة الخواص ص ٣٧ وترجمة الإمام علي
«عليه السلام» من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٣٧٦ و ٣٩٠
والمستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٣٦١ وج ٣ ص ٥٢ وينايع المودة ص ٨٩
والطرائف ص ٣٨ و ٣٩ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٣١٨ ومختصر تاريخ دمشق
ج ١٨ ص ٦ وج ٢٠ ص ٦٨ والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٢٥٧ و ٢٥٦ =

وقد نظم الشعراء هذه المتنقة شعراً فقال شمس الدين المالكي المتوفي
سنة ٧٨٠هـ:

وأرسله عنه الرسول مبلغاً وخُص بهذا الأمر تخصيص مفرد
وقال هل التبليغ عني ينبغي لمن ليس من بيتي من القوم فاقتد^(١)

الثناء على أبي بكر في سورة «براءة»:

وبعد، فإننا بالنسبة لقولهم: إن أخذ آيات براءة من أبي بكر، إنما هو
لأن السورة تضمنت مدحاً لأبي بكر، فأحب أن يكون على لسان غيره..

= وتفسير النسفي ج ٢ ص ١١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٨
وتفسير البيضاوي ج ١ ص ٣٩٤ ومطالب السؤل ص ١٧ وشرح النهج للمعتزلي
ج ١٢ ص ٤٦ وج ٧ ص ٢٨٨ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٦٧ و ٢٣٧ وصحيح ابن
خزيمة ج ٤ ص ٣١٩ والروض الأنف ج ٧ ص ٣٧٤ والكامل في التاريخ ج ١
ص ٦٤٤ والتفسير الكبير للرازي ج ١٥ ص ٢١٨ والإحسان في تقريب صحيح ابن
حبان ج ٥ ص ١٩ وج ١٥ ص ١٦ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٤ والمواهب
اللدنية ج ١ ص ٦٤٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٤٠ وروح المعاني ج ١٠
ص ٤٥٤٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٢٨
وج ٢ ص ٤٠٧ وعن ابن خزيمة، وأبي عوانة، والدارقطني في الأفراد، وابن أبي
حاتم، وتفسير البغوي (مطبوع مع تفسير الخازن) ج ٣ ص ٤٩ وتفسير الخازن ج ٢
ص ٢٠٣ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٦٥ و٦٦ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٠٠ و
١٠١ وإعلام الوری ص ١٣٢ وعن علل الشرايع ص ٧٤ وعن الخصال ج ٢
ص ١٦ و ١٧. وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٥٢ ومسند علي ص ٧٤١.
(١) الغدير ج ٦ ص ٥٨ عن نفح الطيب ج ١٠ ص ٢٤٤.

نقول:

إن هذا القائل يشير إلى آية الغار، فإن أبا بكر مقصود فيها، وهذا الكلام باطل.

أولاً: قد ذكرنا في هذا الكتاب حديث الغار، وقلنا: إن الآية التي ذكرت صحبة أبي بكر للنبي «صلى الله عليه وآله» في الغار، قد تضمنت ما يدل على التعريض بدم أبي بكر لأكثر من سبب، ومن ذلك: أنها ذكرت: حزن أبي بكر وهو في الغار، رغم أنه يرى الكرامات والمعجزات الدالة على حفظ الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»، وهو معه، والحال أنه «صلى الله عليه وآله» يطمئنه ولا يلتفت إلى ذلك، وهذا يدل على أنه كان يحتاج إلى المزيد من تأكيد يقينه، وبلورة إيمانه، ولا يكتفي بهذا القدر، الذي لم تكن نتائجه مرضية ومقبولة.

يضاف إلى ذلك: أن الله تعالى سبحانه قد أخبر أنه أنزل سكينته على نبيه «صلى الله عليه وآله» دون أبي بكر، مع أن أبا بكر كان هو الخائف الحزين، وليس النبي «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: إنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد كتب إلى أهل مكة بعشر آيات، أو بعشرين، أو بثلاثين آية من سورة براءة، فليس من بينها آية تشير إلى أبي بكر، لأن آية الغار هي الآية الأربعون في سورة براءة..

إننا نسجل ملاحظة هامة هنا، وهي: السؤال عن سبب تأخر الحديث عن الغار، إلى ما بعد عشر سنوات، وعدم الحديث عن مبيت علي «عليها السلام» في فراش النبي «صلى الله عليه وآله» حين الهجرة. فهل يراد بذكر الغار الإلماح إلى أن المصائب والبلايا والشدائد قد لاحقت النبي «صلى الله

عليه وآله» إلى تلك اللحظات، وأنها كانت تأتيه من الداخل والخارج. وقد نصره الله في المواطن كلها حتى في هذه المواطن؟! فليأس المتآمرون، وليكف أعداء الله عن تقصّده بالكيد والتآمر، فإن الله الذي كان معه في تلك المواطن الخطيرة والصعبة لن يتخلى عنه بعد أن ضرب الإسلام بجرانه، وعزّ الدين وأهل الدين. نعم، هل يراد بالحديث عن الغار بيان هذه الحقيقة؟! أم أن هناك ما هو أبعد من ذلك؟!

من بدع الرافضة!!:

تقدم: أن بعض أهل الأهواء زعم: أن حديث عزل أبي بكر عن إمارة الحج من بدع الرافضة.. وسنرى: أن هذا الذي ادّعي أنه من بدع الرافضة هو الذي تؤيده أكثر الروايات. باستثناء رواية واحدة رواها محبو أبي بكر، وبقية الروايات وهي تؤكد على رجوع أبي بكر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» من الطريق وهي الأخرى لم يروها الرافضة، بل رواها أعداؤهم، ومناوؤوهم الذين لا يتورعون عن كيل الاتهامات الباطلة لهم، بسبب، وبدون سبب.. وليكن ظهور زيف هذه التهمة، دليلاً وشاهداً على قيمة سائر اتهاماتهم للرافضة، ومدى تجنيهم عليهم!.. فإننا لله وإنا إليه راجعون.. ويا ساعد الله هذه الأمة التي يكون رعاتها وعلمائها بهذا المستوى من الجرأة على الباطل، وعدم الالتزام بالصدق، بل وتعتمد التجني، والإصرار على التسويق للباطل..

وسيتضح مدى جرأة هؤلاء الناس بملاحظة المطالب التالية:

رجوع إلى روايات غير الشيعة:

قد اختلفوا في هل أن أبا بكر رجع إلى المدينة، أم واصل سيره إلى مكة مع علي «عليه السلام»؟!.

وإذا كان قد سار إلى مكة، هل كان هو أمير الحج، وعلي «عليه السلام» تحت إمارته ورئاسته، أم العكس؟!.

والجواب: أن الروايات التي رواها غير الشيعة على ثلاثة أقسام:
الأول: ما لم يتعرض لهذا الأمر.

الثاني: ما صرح بمواصلة أبي بكر سيره إلى مكة، وحج مع علي «عليه السلام». وهذه الروايات عن أبي هريرة، وابن عباس، وينسب ذلك إلى أبي جعفر أيضاً والسدي.

الثالث: تلك الروايات التي تحدثت عن رجوع أبي بكر إلى المدينة، وهي منقولة عن علي «عليه السلام»، وابن عباس، وأبي هريرة، والسدي^(١)، وأبي بكر نفسه، وعن زيد بن بئع..

وقد صرحت بعض روايات هؤلاء: بأنه «صلى الله عليه وآله» بعث «براءة» أولاً مع أبي بكر، ثم دعاه، فبعث بها علياً «عليه السلام»^(٢).

(١) راجع مكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) راجع: مسند أحمد ج ٣ ص ٢٨٣ ونحوه في سنن الترمذي في تفسير سورة التوبة.

وقال: هذا حديث حسن. وكنز العمال ج ٢ ص ٤٢٢ وراجع الغدير ج ٦ ص ٣٤٥ وغير ذلك وشواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٣٠٩ وتاريخ مدينة =

فيلاحظ: أن الذين يقال: إنهم رَوَوْا أن أبا بكر واصل سفره إلى مكة،
وإنه أقام الحج للناس. هم ثلاثة أشخاص فقط وهؤلاء هم أنفسهم
باستثناء ما نسبوه إلى أبي جعفر، قد رَوَوْا: أن أبا بكر رجع إلى المدينة..
وبذلك تصبح روايتهم لرجوع أبي بكر إلى المدينة هي المجمع عليها
تقريباً.

وبذلك يتضح عدم صحة ما ادَّعاه هؤلاء من تواتر الأخبار في حج أبي
بكر بالناس في سنة تسع، قال فضل بن روزبهان في رده على العلامة الحلي:
«من الذي حج تلك السنة، إن رجع أبو بكر؟ أتدَّعي أن علياً كان أمير
الحاج تلك السنة، وتحالف المتواتر؟! أم تدَّعي أنه لم يحج في سنة تسع
أحد؟»^(١).

كما أن القاضي عبد الجبار قد ادَّعى: أن ولاية أبي بكر على الموسم
والحج قد ثبت بلا خلاف بين أهل الأخبار، ولم يصح أنه عزله، ولا يدل
رجوع أبي بكر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» مستفهماً عن القصة على
العزل^(٢).

= دمشق ج ٤٢ ص ٣٤٤ وكشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (بتحقيق الآملي)
للعلامة الحلي ص ٥٠٩ و (بتحقيق السبحاني) ص ٢٠٤ وشرح إحقاق الحق
للسيد المرعشي (الملحقات) ج ٢٢ ص ٤٢٢.

(١) دلائل الصدق ج ٣ ق ١ ص ١٨ و ١٩ عن فضل بن روزبهان، وإحقاق الحق
(الأصل) ص ٢٢٢.

(٢) البحار ج ٣ ص ٣١٤ والمغني لعبد الجبار ج ٢٠ ص ٣٥٠ وراجع: شرح النهج
للمعتزلي ج ١٧ ص ١٩٥ والشافعي في الإمامة ج ٤ ص ١٥٣.

ونقول:

أولاً: إن الأخبار متواترة في أن أبا بكر قد رجع إلى المدينة، ومضى علي «عليه السلام» في طريقه إلى مكة. ولم يرو - عندهم - مضي أبي بكر إلى مكة سوى ما نسبوه إلى أبي جعفر «عليه السلام».

وأما أبو هريرة، وابن عباس، والسدي، فرووا كلا الأمرين.. فإذا أيدنا رواية الرجوع بما رواه كثيرون غيرهم، فإن روايتهم لغيرها تسقط عن الاعتبار.

ثانياً: إننا نقول لابن روزهان: إن الذي حج بالناس في تلك السنة هو علي «عليه السلام»، كما صرحت به الروايات أيضاً.

وتبليغ رسالة النبي «صلى الله عليه وآله» للناس، لا يمنع علياً «عليه السلام» من إقامة الحج لهم. كما لم يكن مانعاً لأبي بكر من المضي في نفس هذين الغرضين، وكان سيؤديهما معاً، لو أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرجعه، ويرسل علياً «عليه السلام» مكانه..

ثالثاً: بالنسبة لكلام القاضي عبد الجبار، نقول:

ليس هناك إجماع على تولية أبي بكر للموسم، فقد قال الطبرسي بالنسبة لعلي «عليه السلام»: «روى أصحابنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» ولاه أيضاً الموسم، وأنه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر»^(١). وقد قلنا أيضاً: إن أكثر الأخبار خالية عن ذكر مسير أبي بكر إلى مكة.

(١) مجمع البيان ج ٥ ص ٩ والبحار ج ٢١ ص ٢٦٦ وج ٣٠ ص ٤١٧ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٢١ والتبيان للطوسي ج ٥ ص ١٦٩ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٨٢.

وإن جميع الروايات، وجميع الرواة الذين تعرضوا لهذا الأمر قد صرحوا
برجوعه إلى المدينة، باستثناء راو واحد ورواية واحدة.

وإن ثلاثة من الرواة قد ناقضوا أنفسهم في ذلك.. فلا اعتداد بروايتهم
هذه، لأن روايتهم الأخرى مؤيدة بسواها..

رابعاً: لنفترض: أن أهل الأخبار - كما قال القاضي عبد الجبار - قد
ذكروا تولية أبي بكر للموسم. فإذا كانوا كلهم من محبي أبي بكر، ومن
المدافعين عنه، بكل قوة وحول ويسعون لتبرئته، ولدفع الطعون عنه.

وإذا كانت جميع الروايات التي رووها هم لنا تخالف قولهم هذا، مع
تناقض باقيها فيما ينقله سوى رواية واحدة - وإذا كان الأمر كذلك - فإننا
نفقد ثقتنا بهم، ونشك في اعتمادهم سبيل الإنصاف، وسنرى: أنهم
متحيزون بلا حجة ولا دليل، بل الدليل والحجة والرشد في خلافهم..

خامساً: ويرد على القول: بأن رجوع أبي بكر لا يدل على العزل: أن
المدعي لبقائه أميراً على الموسم هو الذي ربط بين الأمرين، واعتبر أن قبوله
برجوع أبي بكر معناه إسقاط أبي بكر عن ولاية الموسم..

وهو محق في ربطه هذا، لأن الرواية التي اعتمد عليها، وهي رواية أبي
جعفر. ورواية ابن عباس المتناقضة تقولان: إن علياً «عليه السلام» وأبا بكر
مضيا إلى مكة، ولم يرجع أبو بكر إلى المدينة، فإن ثبت رجوعه، فذلك يكون
دليلاً آخر على عدم سقوط هاتين الروايتين عن الاعتبار، يضاف إلى سائر
الأدلة على ذلك.

هل نقض النبي ' العهد؟!:

تقول بعض الروايات: «نزلت سورة «براءة» لكي تنقض العهد الذي كان بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين المشركين. ثم بينت: أن المقصود هو العهد العام الذي كان بينه وبين أهل الشرك، وهو: أن لا يصد عن البيت أحد جاءه، وأن لا يخاف أحد في الشهر الحرام.. وكان بين ذلك عهود بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين قبائل من العرب إلى أجل مسمى. فنزلت «براءة» لتنقض العهد العام منها^(١)..

ونقول:

إن هذا كلام باطل، إذ لم يكن عهد بين النبي «صلى الله عليه وآله» وبين أحد، بل فتحت مكة في سنة ثمان، وبقيت الأمور على حالها هذه المدة القصيرة، ثم جاء هذا الحكم الإلهي الصريح، وكان لا بد من إبلاغه وتطبيقه.. وحاشا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن ينقض عهداً مع أحد، عاماً كان أو خاصاً.

بل لقد صرحت الروايات والآيات: بأن من كان بين النبي «صلى الله

(١) راجع: جامع البيان ج ١٠ ص ٤٢ عن ابن إسحاق، وراجع ص ٤٣ عن الضحاك ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٤٥ عن فضل بن رزوهان، وراجع: المغني لعبد الجبار ج ٢٠ ص ٣٥١ وراجع: البحار ج ٢١ ص ٢٦٨ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢٥٨ وتفسير مجمع البيان ج ٥ ص ١٢ وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٣٧ وتفسير الألوسي ج ١٠ ص ٤٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٤٢٠.

عليه وآله» وبينهم عهد فعهدهم باق إلى انتهاء مدتهم، لكنه منع من تجديد العهد معهم، وهذا ليس نقضاً، كما هو ظاهر. ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر.

ولعل الهدف من إعطاء هذه المهلة للمشركين هو إفساح المجال لهم للسؤال عن هذا الدين، والعيش مع أهله لكي يحسموا خياراتهم بروية وهدوء، بعيداً عن أي ضغط أو إكراه.

ليس للمشرك أن يأتي بيت الله:

وقد كان المشركون يرفضون الإعتراف بالحق، والقبول بعبادة الله الواحد الأحد، فتحققت بذلك المنافرة والمناقضة بينهم وبين التوحيد، وكل ما يمت إليه بصلة، وهذا يفرض إقصاءهم ومنعهم من دخول حرم الله تعالى وبيته، وسيكون دخولهم إليه دخول المبغض الحانق، الذي لا يطيق رؤية أي من مظاهر هذا التوحيد وتجلياته، ولولا أنهم يريدون الحصول على منافع دنيوية، أو أنهم يريدون الكيد للإسلام وأهله، لما راق لهم المجيء إلى حرم الله تعالى، ولما استساغوا التعامل مع أهله..

والخلاصة: أنه لا يحق لهم المطالبة أو التفكير بدخول الحرم والمسجد، إذ لا شيء يربطهم به، أو يشدهم أو يخولهم الدخول إليه، بل إن دخولهم هذا يمثل عدواناً، وأذى، وربما يصاحبه استهزاء، وإظهار حق وبغض لبيت الله وحرمة.

يضاف إلى ذلك: أنهم إنما كانوا يدخلونه لعبادة أصنامهم، لا لعبادة الله، وقد أزيلت تلك الأصنام فيه، وأصبح موضعاً لعبادة الله وتوحيده، وليس

لهم في هذا الأمر نصيب.

كيف يتبدل رأي النبي '!؟:

وقد يعترض بعض قاصري النظر، فيقول: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» معصوماً فما معنى أن يتبنى رأياً، ويبدأ بتنفيذه، ثم يبدل رأيه هذا بغيره، ويلغي ما كان قام به، ويستبدله بما يتوافق مع هذا الرأي المستجد؟! فيرسل أبا بكر أولاً، حتى إذا قطع مسافة لا يستهان بها، أرسل إليه من يكون بديلاً عنه..

ثم ألا يُضعف ذلك ثقة الناس بالنبي «صلى الله عليه وآله»، ويخل بمكانته في نفوسهم؟!.

والجواب:

إن القضية لم تكن قضية رأي ظهر خطؤه، وبأن أن غيره هو الصواب، أو الأصوب، أو حتى الأفضل منه.. وإنما كان المطلوب أمران: أحدهما: إرسال أبي بكر إلى المكان الذي وصل إليه، ثم إرسال علي «عليه السلام» ليأخذ منه كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن في هذا الأمر مصلحة يراد تحقيقها. وقد كان بوحى من الله، لا برأى ظهر خطؤه من رسول الله «صلى الله عليه وآله». وذلك لأنه «صلى الله عليه وآله»: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (١)،

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

الثاني: إرجاع أبي بكر وإرسال علي «عليه السلام» دونه، وكان هذا بوحى من الله تعالى أيضاً..

لا ينقض العهد إلا العاقد أو رجل منه:

وقد حاول المشفقون على أبي بكر تبرير ما جرى، فادّعوا - كما تقدم -: أن العقود والعهود لا يحلها إلا المطاع والعاقد لها، أو رجل من أهل بيته^(١).

وهذا كلام مرفوض:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرسل أبا بكر ولا علياً «عليه السلام» لحل عقد، أو نقض عهد، كما أوضحناه تحت عنوان: «هل نقض النبي «صلى الله عليه وآله» العهد؟».

ثانياً: لو سلمنا: أن الأمر كان كذلك، فلماذا أرسل أبا بكر من أول الأمر؟! فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن جاهلاً برسوم المجتمعات في زمانه، وبين قومه، وبالأعراف القائمة التي يفترض فيه أن يراعيها. ولا كان هناك من هو أعرف منه بها.

ثالثاً: إن دعوى أن من عادات العرب أن العهد لا ينقضه إلا العاقد أو رجل من أهل بيته، دعوى كاذبة على أهل الجاهلية، ولم نجد لها شاهداً، ولا مؤيداً ولا دليلاً، إلا نفس دعواهم لها في هذا المورد.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: ذلك غير معروف من عادة العرب، وإنما هو تأويل تأوله المتعصبون لأبي بكر، لانتزاع سورة براءة منه، وليس

(١) راجع: دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٤٥ عن فضل بن روزهان وبقيّة المصادر تقدمت في بداية الحديث عن موضوع تبليغ سورة «براءة».

بشيء^(١).

فالذي قاله المرتضى أصح وأظهر، وما نسب إلى عادة العرب غير معروف، وإنما هو تأويل تأول به متعصبو أبي بكر لانتزاع براءة منه، وليس بشيء.

ولم نسمع أن أحداً توقف في نقض عقد أو عهد حتى يبلغه إياه عاقده أو أحد أقاربه^(٢)، بل المطلوب هو الوثوق بأن صاحب العلاقة قد نقض العهد، وحل العقد.

رابعاً: لو كان الأمر كذلك، فلماذا يخاف أبو بكر من أن يكون قد نزل فيه شيء؟!.

خامساً: لماذا لا يعترض أبو بكر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في المدينة، ويقول له: أرسل أحد أقاربك، فإن أعراف العرب تمنع من إرساله.. وقد عهدناه هو وعمر يكثران من الاعتراض على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والإقتراح عليه..

أو لماذا لم يعترض أحد من الصحابة عليه في ذلك؟!.

سادساً: هناك ما يدل على: أن تبليغ براءة لا يمكن أن يقوم به حتى جميع أقارب النبي «صلى الله عليه وآله»، بل هو خاص بعلي «عليه السلام»، فقد رووا عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «لا يؤدي عني إلا أنا أو علي». روي ذلك عن يحيى بن آدم السلولي، وعن حبشي بن جنادة، وعن حنش،

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٠٠ والبحار ج ٣٠ ص ٤٢٢ وج ٣٥ ص ٣١٢ عنه.

(٢) راجع: الشافي ج ٤ ص ١٥٠ والصراط المستقيم ج ٢ ص ٦ والبحار ج ٣ ص ٣١٩.

وعمران، وأبي ذر الغفاري^(١)، وروي أيضاً عن ابن عباس^(٢) فراجع.

(١) إعلام الوری ص ١٣٢ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٦٦ ومسند أحمد ج ٤ ص ١٦٤ و
١٦٥ وج ١ ص ١٥٠ والرياض النضرة ج ٣ ص ١١٩ والدر المنثور ج ٣ ص ٢١٠
عن ابن الشيخ، وكنز العمال ج ٢ ص ٤٢٢ وج ١١ ص ٦٠٣ وتذكرة الخوا ص
ص ٣٦ والمقاصد الحسنة ص ١٢٤ وجامع البيان ج ١٠ ص ٤٦ ومطالب السؤل
ص ١٨ والجامع الصغير ج ٢ ص ١٧٧ والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٤٩٥
والسنن الكبرى ج ٥ ص ١٢٨ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٤ وخصائص علي بن أبي
طالب للنسائي ص ٩١ ومصابيح السنة ج ٤ ص ١٧٢ والمعجم الكبير ج ٤ ص ١٦
والروضة الندية ص ٢٥٧ وینایع المودة ج ١ ص ٥٢ ونور الأبصار ص ١٦٠ ونزل
الأبرار ص ٣٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج ١٢ ص ٥٩ والصواعق المحرقة ص ١٢٢
ومشكاة المصابيح ج ٣ ص ٣٥٦ ومناقب الإمام علي بن أبي طالب ص ٢٢٢ وكفاية
الطالب ص ٢٧٦ وتهذيب الأسماء ج ١ ص ٣٤٨ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٤٥٥
وكنوز الحقائق ج ٢ ص ١٦ وفرائد السمطين ج ١ ص ٥٩ والبدایة والنهاية ج ٧
ص ٣٥٦ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) وعن ابن قانع، وابن أبي عاصم،
والضياء المقدسي، والجارودي، والعقد النبوي للشيخ ابن العيدروس، والبحار
ج ٢١ ص ٢٧٤ و٢٧٥.

(٢) البرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٠٥ عن ابن شهر آشوب وعلل الشرائع ج ١ ص ١٩٠
والبحار ج ٣٥ ص ٢٨٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ١١ ص ٣٢٥ والغدير ج ٦ ص ٣٤٤
والمعجم الكبير للطبراني ج ١١ ص ٣١٦ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٧٩ وجامع
البيان للطبري ج ١٠ ص ٨٤ وشواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٣١٧ والكامل لابن
عدي ج ٣ ص ٢٥٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات)
ج ١٤ ص ٦٥٢ وج ٢٢ ص ٤٢٣ وج ٢٣ ص ٢٠٦ وج ٣٠ ص ٦٢٠.

لماذا أرجع أبا بكر؟:

وعن سبب إرجاع أبي بكر عن تبليغ سورة «براءة»، وسائر الأحكام التي أرسلها رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المشركين، وأهل مكة نقول:

لعل سبب ذلك يعود إلى بعض أو كل الإحتمالات التالية:

١ - قد يقال: إن المقصود هنا هو إظهار أن أبا بكر لا يؤتمن على إبلاغ الرسالة التي وكل بإبلاغها، ولذلك قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني»، ولم يقل: إنك لا تقدر على التبليغ..

غير أننا نقول:

إن كلمة النبي «صلى الله عليه وآله»: «لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني» لا تحتم أن يكون سبب عدم تبليغ غيره عنه هو عدم أمانته، لاحتمال أن يكون المقصود: هو النهي عن تولية غير علي «عليها السلام» لتبليغ شيء عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

غير أن هذا الإحتمال يبقى موضع جدال ونقاش.

فإنه - كما أوضحه بعض الإخوة - إذا كان الرسول «صلى الله عليه وآله» هو المبلغ عن الله تعالى إلى الناس كتابه وشرائعه، وقال: «لا يبلغ عني إلا علي» كان من المحتمل جداً - إن لم يكن هو الظاهر - إرادة أنه لا يقوم مقامي في التبليغ عني - الذي هو تبليغ بالواسطة عن الله تعالى - إلا علي، وهذا دليل إمامته «عليه السلام» وعدم صلاح غيره لهذا المقام.

وأما الرواة والفقهاء وحفظ القرآن بعد رسول الله «صلى الله عليه

وآله» فإنهم وإن كانوا يبلغون عنه إلا أن المرجعية العليا في ذلك هي للإمام بعده «صلى الله عليه وآله»، لأنه هو الحافظ للشرعة وأحكامها والكتاب وآياته. وكل ما يتداولونه حينذاك إنما يصح الإعتماد عليه لأنه تحت إشرافه وبإمضائه «عليه السلام» وهذا غير ما سيأتي تحت رقم (٥) فإن المذكور هناك هو الاستدلال بالأولوية، فإذا كان لا يصلح للنيابة في تبليغ رسالة فكيف يصلح للنيابة في الرئاسة العامة، وأما هنا فإنه استدلال مباشر على أصل المسألة التي هي مقام النيابة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حفظ الشريعة وتبليغها، ويكون المورد - أي تبليغ براءة - من مصاديقها.

٢ - إنه «صلى الله عليه وآله» خاف أن يضعف أبو بكر في أداء مهمته، وربما ينكل عن مواجهة المشركين بهذا الإعلان القوي. حيث إنه قد يخشى من المشركين أن يغتالوه أو أن يؤذوه، ولا يثق بنصرة أهل مكة له، لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام.

وقد أشار المعتزلي إلى ذلك فقال: لعل السبب في ذلك، أن علياً «عليه السلام»، من بني عبد مناف، وهم جمة قريش في مكة، وعلي «عليه السلام» أيضاً شجاع لا يقام له، وقد حصل في صدور قريش منه الهيبة الشديدة، والمهابة العظيمة، فإذا حصل مثل هذا البطل وحوله من بني عمه من هم أهل العزة والقوة والحمية، كان أدعى إلى نجاته من قريش، وسلامة نفسه الخ..^(١).

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٠٠ والبحار ج ٣٠ ص ٤٢٣.

ولكنّ علماءنا^(١) ناقشوا في ذلك، فقالوا: لو كان الغرض من استبدال أبي بكر بعلي «عليه السلام» هو سلامة من أرسله رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الأذى كان الأحرى أن يرسل «صلى الله عليه وآله» العباس، أو عقيلاً، أو غيرهما ممن لم يكن لدى قريش حقد عليهم، لأنهم لم يشاركوا في قتل آبائهم، وإخوانهم.

وحديث الخوف من شجاعة علي «عليه السلام» لا ينفع هنا، فإن قريشاً كانت تجترئ على علي «عليه السلام» وتسعى لقتله في الحروب، وإن كانت تُمنى دائماً بالخزي والخيبة، فهل تكف عنه إذا وجدته وحده في مكة بالذات وكان معها ألوف من أهل الشرك؟!!

على أنهم قد زعموا: أن أبا بكر قد ذهب إلى مكة أميراً على الحاج^(٢)، فلماذا لم يخف من قريش ومن المشركين أن يغتالوه إذا كان قد خاف من القتل، بسبب حملته لرسالة النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم؟!!

٣- ولا نريد أن نوافق بعضهم حتى على إبداء احتمال أن يؤدي ضعف أبي بكر به إلى مصانعة الأعداء، وممالأتهم، والتآمر معهم.. فإن أبا بكر كان يعلم: أن النبي والمسلمين كانوا هم الأقوى، كما أظهرته الوقائع وكما ظهر من غزوة مؤتة، وتبوك، والفتح، وحنين، وخيبر، وأحد، وبدر، والخندق.. وما إلى ذلك.. وهو لن يجازف بالغدر بهم، ويعرض نفسه لأخطار سيكون

(١) راجع البحار ج ٣٠ ص ٤٢٣.

(٢) فتح العزيز ج ٧ ص ٣١ والبحار ج ٣٠ ص ٤١٨ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢٦٠ وتحفة الأحوذ ج ٨ ص ٣٨٧ وجامع البيان للطبري ج ١٠ ص ٧٧ والتفسير الكبير للرازي ج ١٥ ص ٢١٩ والمعارف لابن قتيبة ص ١٦٥.

علي «عليه السلام» هو مصدرها، وربما يهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه.. ولا يجد بعد هذا ملاذاً له في أي مكان.

٤ - هناك من يطرح احتمال أن يكون أبو بكر غير قادر على الإجابة على أسئلة الناس، وعن أحكام حجهم، ودينهم، وسياساته، وحقائقه، وشرائعه..
٥ - لعل الهدف من إرجاع أبي بكر: هو تجسيد حقيقة حاله، وأنه لا يصلح لأن ينوب عن النبي «صلى الله عليه وآله» أو غير قادر حتى في إبلاغ رسالة له إلى أهل مكة، فهل يصلح للرياسة العامة التي يرشح نفسه لها، أو يقدر على القيام بمقتضياتها، ولا سيما مع وجود علي أمير المؤمنين «عليه السلام»..

وهذا ما صرحت به الرواية التي وردت في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري «عليه السلام»، حيث تقول: إن جبرئيل قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عن «براءة»: «ما أمرك ربك بدفعها إلى علي، ونزعها من أبي بكر سهواً، ولا شكاً، ولا استدراكاً على نفسه غلطاً، ولكن أراد أن يبين لضعفاء المسلمين: أن المقام الذي يقومه أخوك علي «عليه السلام» لن يقومه غيره سواك يا محمد، وإن جلّت في عيون هؤلاء الضعفاء من أمتك مرتبته، وشرفت عندهم منزلته»^(١).

الله لا يؤاخذ على النوايا:

وهنا سؤال يقول:

إننا نعلم: أن الله تبارك وتعالى لا يؤاخذ الناس على نواياهم، فإذا كان

(١) البحار ج ٣٥ ص ٢٩٧ عن التفسير المنسوب للإمام العسكري ص ٢٣١ و ٢٣٢.

أبو بكر لم يقترب ذنباً، فلماذا يعرضه لهذا الإمتحان العسير، ويفضحه أمام الناس، ويظهر ضعفه، أو يظهر عدم أمانته، أو نحو ذلك؟..

وهل تصح العقوبة بالفضيحة قبل الجناية؟!

ويمكن أن يقال في الجواب: إنه لا شك في أن أبا بكر، قد هباً مقدمات كثيرة، وقام باتصالات مختلفة، وتعددت مساعيه لمنع تحقق ما يريد الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، من أن يكون علي «عليه السلام» هو الإمام والخليفة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وكفى بذلك ذنباً يستحق العقوبة عليه بفضح نواياه، وابتلائه بهذا الإمتحان العسير..

غير أننا نقول:

إن ذلك قد لا يقنع أولئك الذين يهتمون بالذنب عن أبي بكر، وابتغاء الأعداء له، ولذلك نقول:

لعل الأقرب إلى الاعتبار أن يقال هناك جوابان آخران:

أحدهما: أن هذا الذي جرى قد كان امتحاناً لأبي بكر، ولله ورسوله الحق في امتحان الناس، وإظهار قدراتهم، واستعداداتهم، حتى لا يحملهم ما لا طاقة لهم به، ولكن أبا بكر قد فشل في تحقيق أدنى درجات النجاح في هذا الإمتحان، حيث إنه حين أرجعه النبي «صلى الله عليه وآله» في قضية براءة بكى، وانزعج، واغتم واهتم، وعاتب واشتكى، وأكثر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكلام.

ولم يرض بما رضى الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، ولم نره سلم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» تسليماً. وكان أبعد ما يكون عن القاعدة

التي أطلققتها زينب «عليه السلام»: «رضا الله رضانا أهل البيت»^(١).

ويدل على ذلك خوف أبي بكر من أن يكون قد نزل في حقه شيء من القرآن، مع أنه يعلم أن الله تعالى أعذل العادلين وأكرم الأكرمين، فلو لم يكن قد صدر منه شيء خشي المؤاخذه عليه، أو أضمر شيئاً خشي افتضاحه، لم يكن معنى لخوفه، ولا لسؤاله عن ذلك..

ولعل مما يدل على ذلك ما صرحت به الرواية عن علي «عليه السلام»: من أن أبا بكر كان قد تثاقل عن حمل الكتاب كما تثاقل غيره، حتى لجأ النبي «صلى الله عليه وآله» إلى فرض ذلك عليه، وإلزامه به^(٢).

الثاني: إن أبا بكر كان يرشح نفسه لأخطر موقع، وأسمى مقام، فإذا لم يكن أهلاً لما يرشح نفسه له، بل كان من موجبات الهلاك والدمار، والفساد والبوار، وسيلحق بالإسلام وأهله ضرراً عظيماً، وهائلاً، فإنه يجب تعريف الناس بعدم أهليته لهذا المقام، وإفهامهم أنه فاقد للمواصفات التي تؤهله لما هو أدنى من ذلك بدرجات، ويكون نفس طموحه وسعيه لهذا الأمر ذنباً عظيماً وخطأً جسيماً يصحح إجراء العقوبة عليه، ولا أقل من أنه يوجب سقوط حقه في كل ما تكون مراعاته من أسباب تقويته على الوصول إليه.. وبعد أن يتم هذا البيان، وتقوم به الحجة، يتحمل الناس أنفسهم

(١) راجع: البحار ج ٤٤ ص ٣٦٧ واللهوف لابن طاووس ص ٣٨ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٣٩ ومعارج الوصول ص ٩٤ ومثير الأحزان ص ٢٩ ولواعج الأشجان ص ٧٠ ونزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص ٨٦ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص ٢٠٧ عن مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٨٦.

(٢) راجع: الخصال ج ٢ ص ٣٦٩ والبحار ج ٣٥ ص ٢٨٦ وج ٣٨ ص ١٧٢.

..... :
مسؤولية أي عمل يقدمون عليه، وإلى الله يكون إياهم، وعليه حسابهم..

لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك:

قد صرحت الروايات: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر أبا بكر، بأن جبرئيل قال له: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك..
وصرحت نصوص أخرى: بأنه لا يؤدي عن النبي «صلى الله عليه وآله» إلا هو أو علي..

مع أنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسل عشرات، أو مئات الرسائل مع مختلف الأشخاص إلى الملوك، وإلى القبائل، والبلاد، والفئات والجماعات. وهذا تبليغ عنه. ولم يكن هو المبلغ ولا رجل منه..
ويمكن أن يجاب:

أولاً: بأن المقصود حينئذ التبليغ عنه فيما هو من شأنه كمبلغ عن الله، وهذا يرتبط بالشرعية والكتاب، وليس ما كان «صلى الله عليه وآله» يبعث الرسل فيه من هذا القبيل.

ثانياً: بأن الذين كان يرسلهم إلى الملوك والجماعات برسائله لم يكونوا هم الذين يبلغون عنه، بل كانت الرسالة هي التي توصل مرادات رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الأشخاص أو الجماعات..

وأما في تبليغ سورة «براءة»، فالمطلوب من حامل الآيات أن يتولى هو مهمة التبليغ عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأن يعلن الحرب على من يصر على انتهاك حرمة المسجد الحرام بعد ذلك العام، وإبلاغ أحكام وقرارات حازمة، وحاسمة، ترتبط بالتدبير للشأن العام.. وقطع دابر

الخلاف والمخالفة فيه، بما في ذلك: أن لا يطوف بالبيت عريان. وإبطال عادات الجاهلية فيما يرتبط بعرفات، وإنذار المشركين وإعطائهم مهلة إلى أربعة أشهر، والإعلان عن عدم تجديد عهد مع مشرك..

وذلك كله يحتاج إلى حزم وحسم، وتصميم، واعتبار هذه القرارات نهائية، لا مجال للمساومة ولا للماطلة فيها..

ومن جهة أخرى لا بد من أن ينقطع أمل كل أهل الشرك ومن يعينهم هذا الإعلان من أن يجدوا في القائم بعد النبي «صلى الله عليه وآله» أدنى تعاطف معهم، بعد وفاته «صلى الله عليه وآله»، بنقض هذه القرارات، أو بأن يخفف من حدتها..

فإذا كان علي «عليه السلام» الذي لم يشرك بالله طرفة عين، وكان هو حامل راية التوحيد الخالص منذ خلقه الله تعالى، والذي هو نفس الرسول «صلى الله عليه وآله» بنص القرآن، وهو أخوه، وهو منه بمنزلة هارون من موسى، فإذا كان علي هو المبلغ عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه يكون هو الأعمق أثراً، وهو الأولى بإعلان براءة الله ورسوله من الشرك والمشركين.

أما أبو بكر الذي عاش أجواء الشرك طيلة عشرات السنين من حياته، فلن يكون قادراً على إعلان البراءة الحقيقية من الشرك والمشركين بنفس القوة والحزم والفاعلية، أو هذا ما سيفكر به المشركون على أقل تقدير.

ويؤكد هذه الحقيقة الشواهد التالية:

ألف: قد تقدم: أن بعض الروايات عن علي «عليه السلام» تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» كتب الكتاب، وعرض على جميع أصحابه المضي به إلى

المشركين، فكلهم يرى التناقل فيهم، فلما رأى ذلك ندب منهم رجلاً، فوجهه به، فأتاه جبرئيل «عليه السلام»، فقال: يا محمد، لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فأنبأني رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك، ووجهني بكتابه ورسالته إلى مكة الخ..^(١).

ب: قد صرحت بعض نصوص الرواية بأكثر من ذلك، فعن الإمام الباقر «عليه السلام» قال: لما سرح رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا بكر بأول سورة «براءة» إلى أهل مكة أتاه جبرئيل «عليه السلام»، فقال: يا محمد، إن الله تعالى يأمرك أن لا تبعث هذا، وأن تبعث علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وإنه لا يؤديها عنك غيره..

فأمر النبي «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فلحقه، فأخذ منه الصحيفة، وقال: ارجع إلى النبي.

فقال أبو بكر: هل حدث في شيء؟!

فقال: سيخبرك رسول الله.

فرجع أبو بكر إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، ما كنت ترى أني مؤد عنك هذه الرسالة؟!

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»، أباي الله أن يؤديها إلا علي بن أبي طالب «عليه السلام».

فأكثر أبو بكر عليه من الكلام، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»:

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٦٩ والبحار ج ٣٥ ص ٢٨٦ وج ٣٨ ص ١٧٢.

كيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار؟!^(١).

فإن قوله الأخير: «كيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار»، قد جاء على سبيل التقرير والتشنيع والذم، وبيان السبب والمبرر لهذا الإجراء. ولعل الوجه في ذلك: أن أبا بكر كان في الغار خائفاً فزعاً، مع أنه كان يرى الآيات الدالة على حفظ الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»، مثل نسج العنكبوت، ونبات شجرة السدر، ووضع الحمامة الوحشية بيضها، ووقوفها على باب الغار.

ومع وجوده إلى جانب النبي «صلى الله عليه وآله».

ومع تطمينات نبي الرحمة له.

ومع عدم علم أحد من المشركين بمكانهما. و.. و..

فإذا كان أبو بكر في الغار، مرعوباً خائفاً إلى هذا الحد، وكل الشواهد تشير إلى أنه في مأمن، فكيف سيكون حاله إذاً أمام مئات أو ألوف المشركين، وهم يرونه ويعرفون مكانه، وهو في بلدهم وفي قبضتهم، وجموعهم تحيط به، وليس النبي «صلى الله عليه وآله» إلى جانبه، ليهدئ من روعه، ولا تظهر الآيات والمعجزات المطمئنة له. مع العلم: بأن أهل الشرك قد أصبحوا موتورين من الإسلام، الذي قتل صناديدهم، وآباءهم، وإخوانهم، وأبناء عشائريهم، وفتح بلادهم، وغنم أموالهم..

ج: ثم إن هذه الكلمة من رسول الله «صلى الله عليه وآله» توضح: أن الأمر بالنسبة إلى علي «عليه السلام» كان هو الأصعب، وأن إرساله هو

(١) إقبال الأعمال ج ٢ ص ٣٩ والبحار ج ٣٥ ص ٢٨٨.

الأشد خطراً على شخصه، فإن أبا بكر لم يكن له أثر يذكر في ساحات الحرب، وفي مواقع الطعن والضرب، بل كان مقامه مقام أهل الفرار، والذين كانوا بكلماتهم وبآرائهم يخذلون الناس عن الدخول في حرب مع المشركين - كما كان الحال في بدر والفتح، وسواهما، وقد سعى لحفظ حياة أسارى المشركين في بدر، ولم يعرف له قتل ولا جريح في أي من الحروب التي شهدتها طيلة حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما أن دأبه كان الفرار من الزحف في مواقع الشدة والحدة، كما جرى في أحد وفي حنين، وفي قريظة، وخيبر، ولم يجرؤ على الظهور في الخندق.. وفي سائر المقامات..

أما علي «عليه السلام» فهو لم يزل يجمعهم، ويفتك فيهم، طيلة عشر سنين حتى أباد خضراءهم، وقتل صناديدهم، وأذل عزيزهم، وأكذب أحدوثنهم، وكانوا يتربصون به الدوائر، وكان حقدهم عليه لا يقل عن حقدهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان نومه على فراش النبي «صلى الله عليه وآله»، ومواجهتهم بالقتال هو السبب في نجاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفي تمكنه من الهجرة إلى المدينة..

وإذا واجههم علي «عليه السلام» بهذا القرار الحاد، المتضمن لهذا التهديد والوعيد الشديد بالقتل، وإعلان الحرب على الشرك وأهله، ووجدوه وحيداً فريداً بينهم، وفي عقر دارهم، وموضع قوتهم، ومحل اجتماعهم، فسوف لن يدخروا وسعاً في الانتقام منه لو أمكنهم ذلك، ولن يجرؤ أحد من بني هاشم على إظهار نفسه في هذه المعمة الهائلة، لأن مصيرهم سيكون الدمار والبوار.

د: على أنهم قد زعموا: أن أبا بكر لم يتعرض إلى التعذيب في مكة، لأنه

كان محبباً في المشركين، مقرباً إليهم.

بل يزعمون: أنه كان أول من بنى مسجداً في الإسلام في بني جمح، ولم يعترض عليه أو لم يبالي بإعتراض أحد لأجل مكانته وعزته، كما ذكرناه في جزء سابق من هذا الكتاب، فراجع.

فلم يكن الأمر بالنسبة إليه يمثل أي خطر، ولا سيما بعد أن أسلم قومه، وأصدقائه ومحبيه. وإن كنا قد ذكرنا فيما سبق عدم صحة هذا الزعم.

أما علي «عليه السلام» فكانوا يحرقون عليه الأثر، وكانت هند قد طلبت من وحشي أن يقتله هو والنبي «صلى الله عليه وآله» أو حمزة.

الحدة بين علي × وبين المشركين:

ويلاحظ هنا: أن الأمور حين إبلاغ سورة براءة قد انقلبت رأساً على عقب، فبدلاً من أن يخاف علي «عليه السلام» المشركين على نفسه، كان هو الذي يتهددهم ويتوعدهم ويتحداهم، حتى لقد أبلغهم سورة براءة وكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد «لمع بسيفه»!!^(١). وفي نص آخر: «لما دخل مكة اخترط سيفه وقال: والله لا يطوف بالبيت عريان إلا ضربته بالسيف»^(٢).

(١) البحار ج ٣٥ ص ٢٨٨ وإقبال الاعمال ج ٢ ص ٣٩.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٢٧٥ و ٢٦٧ وج ٣٥ ص ٢٩٦ وإعلام الوری ص ١٣٢ والحدائق الناضرة ج ١٦ ص ٩٤ وجواهر الكلام ج ١٩ ص ٢٧٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٣ ص ٤٠١ و (ط دار الإسلامية) ج ٩ ص ٤٦٤ وجامع أحاديث =

..... :

وعن علي «عليه السلام»: «فأتيت مكة، وأهلها من قد عرفتم، ليس منهم أحد إلا ولو قدر أن يضع على كل جبل مني إرباً لفعل، ولو أن يبذل في ذلك نفسه وأهله، وولده، وماله، فبلغتهم رسالة النبي «صلى الله عليه وآله» وقرأت عليهم كتابه، فكلهم يلقاني بالتهديد والوعيد، وييدي لي البغضاء، ويظهر الشحنة من رجالهم ونسائهم، فكان مني في ذلك ما قد رأيتم»^(١).

وقالوا أيضاً: «لما وصل علي «عليه السلام» إلى المشركين بآيات براءة لقيه خراش بن عبد الله أخو عمرو بن عبد الله وهو الذي قتله علي «عليه السلام» مبارزة يوم الخندق - وشعبة بن عبد الله أخوه، فقال لعلي «عليه السلام»: ما تسيرنا يا علي أربعة أشهر، بل برئنا منك ومن ابن عمك، إن شئت إلا من الطعن والضرب».

وقال شعبة: ليس بيننا وبين ابن عمك إلا السيف والرمح، وإن شئت بدأنا بك.

فقال علي «عليه السلام»: أجل، أجل، إن شئت فهلموا^(٢).

= الشيعة ج ١١ ص ٣٢٦ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٥٩٧ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٧٤ وتفسير جوامع الجامع ج ٢ ص ٤٥ وتفسير مجمع البيان ج ٥ ص ٩ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٢١ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٨٢.

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٦٩ و ٣٧٠ والبحار ج ٣٥ ص ٢٨٦ وج ٣٨ ص ١٧٢ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٧٨ والإختصاص للمفيد ص ١٦٨.

(٢) البحار ج ٣٥ ص ٢٩٠ وج ٣٥ ص ٣٠٤ عن إقبال الاعمال ص ٣٢٠ و ٣٢١ و (ط) مكتب الإعلام الإسلامي) ج ٢ ص ٤١ وراجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٩٢ والصوارم المهرقة ص ١٢٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٤٢٢.

وعن أبي جعفر الباقر «عليه السلام»: «خطب علي «عليه السلام» الناس: واختلط سيفه، وقال: لا يطوفن بالبيت عريان الخ..^(١)».

وعن الامام الصادق «عليه السلام»: أخذ علي «عليه السلام» الصحيفة، وأتى الموسم، وكان يطوف على الناس، ومعه السيف، ويقول: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ...}^(٢). فلا يطوف بالبيت عريان بعد عامه هذا، ولا مشرك، فمن فعل، فإن معاتبتنا إياه بالسيف.

قال: وكان يبعثه إلى الأصنام فيكسرها، ويقول: «لا يؤدي عني إلا أنا أو أنت»^(٣).

نحن في حيرة من أمرنا:

ونريد ان نعترف هنا: أننا في حيرة شديدة في امر أبي بكر، حيث نجد

(١) البحار ج ٣٥ ص ٢٩٦ و ٣٠٣ عن تفسير العياشي ج ٢ ص ٧٥ والمناقب ج ١ ص ٣٢٦ - ٣٢٨ والحدائق الناضرة ج ١٦ ص ٩٤ وجواهر الكلام ج ١٩ ص ٢٧٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٣ ص ٤٠١ و (ط دار الإسلامية) ج ٩ ص ٤٦٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١١ ص ٣٢٦ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٥٩٧ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٧٤ وتفسير جوامع الجامع ج ٢ ص ٤٥ وتفسير مجمع البيان ج ٥ ص ٩ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٢١ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٨٢ وتفسير الميزان ج ٩ ص ١٦٣.

(٢) الآيتان ١ و ٢ من سورة براءة.

(٣) البحار ج ٣٥ ص ٢٩٩ وتفسير فرات ص ١٥٩.

..... :

محييه، إذا رأوا أن إظهار الفخامة والعظمة هو المفيد، فإنهم يجعلون حتى فراره من الزحف شجاعة، ويجعلون ابتعاده عن المعركة في بدر رياسة، ويدعون: أن من دلائل عظمته اقناعه عمر بن الخطاب بموت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وينسبون له نفوذ الكلمة والإحترام والرياسة بين المشركين في مكة، فلم يعذبه المشركون لمكانته فيهم، ولم يمنعوه من إقامة المسجد من أجل ذلك، كما أن قريشاً تبذل فيه مائة ناقة لمن يمكنها منه حين الهجرة كما بذلت في رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وعلى هذا فقس ما سواه.

وإذا احتاجوا لتخليصه من بعض المآزق إلى ادعاء ضعفه، وخوفه، وكونه بلا نصير، ولا عشيرة، ولا ظهير.. فإنهم يبادرون إلى ذلك، ويبالغون فيه ما شاؤوا، وبلا رقيب ولا حسيب.

قصة براءة دليل إمامة أبي بكر:

قال الرازي: «قيل: قرر أبا بكر على الموسم، وبعث علياً خليفة (خلفه) لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي خلف أبي بكر، ويكون ذلك جارياً مجرى تنبيه على إمامة أبي بكر، والله أعلم».

قال: «وقرر الجاحظ هذا المعنى، فقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث أبا بكر أميراً على الحاج، وولاه الموسم، وبعث علياً يقرأ على الناس سورة براءة، فكان أبو بكر الإمام وعلي المؤتم، وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع، وكان أبو بكر الرافع بالموسم، والسائق لهم، والأمر لهم، ولم يكن

ذلك لعل^(١).

وقد أجاب العلامة المجلسي على هذا بما ملخصه^(٢):

أولاً: إن تولي أبي بكر للموسم ممنوع، كما أظهرته النصوص.

ثانياً: إن جعل شخص أميراً لا يلزم الناس بالصلاة خلفه..

ثالثاً: إن علياً «عليه السلام» لم يكن من أهل الموسم ليكون أبو بكر أميراً عليه، بل هو مرسل إليهم برسالة.. وليس في الأخبار ما يدل على أن علياً «عليه السلام» صلى خلف أبي بكر.

رابعاً: إن الصلاة خلف أبي بكر لا تعني ثبوت فضيلة له، على ما زعموه من جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر^(٣).

خامساً: إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعل «عليه السلام»: «لا

(١) تفسير الرازي ج ١٥ ص ٢١٨ والبحار ج ٣٥ ص ٢٩٩ عن تفسير فرات ص ٥٤ وراجع: تحفة الأخوذي ج ٨ ص ٣٨٧.

(٢) البحار ج ٣٠ ص ٤١٨ فما بعدها.

(٣) راجع: سنن أبي داود كتاب الصلاة: الباب ٦٣ وراجع: فتح العزيز ج ٤ ص ٣٣١ والمجموع للنووي ج ٥ ص ٢٦٨ ومغني المحتاج ج ٣ ص ٧٥ والمبسوط للسرخسي ج ١ ص ٤٠ وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج ١ ص ٢٢٩ و ٢٤٨ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج ١ ص ١٥٦ و ٣١١ و ٣١٢ والجواهر النقي للمارديني ج ٤ ص ١٩ والبحر الرائق ج ١ ص ٦١٠ وحاشية رد المحتار لابن عابدين ج ٢ ص ٢٢٤ والمغني لابن قدامة ج ٢ ص ٢٥ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٢ ص ٢٥ وج ١١ ص ٣٧٩ وكشاف القناع للبهوتي ج ٦ ص ٣٦٦ وتلخيص الخبير ج ٤ ص ٣٣١ وسبل السلام ج ٢ ص ٢٩.

يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني»، يدل على أنها تأدية خاصة لا ينالها أحد من البشر، أما إمارة الحاج فيتولاها أي كان من الناس، براً كان أو فاجراً، وقد تولاها عتاب بن أسيد قبل أبي بكر، ولا تحتاج إلى أكثر من المعرفة بما هو الأصلح في سوق الإبل، والبهائم، ومعرفة المياه، والتجنب عن مواضع اللصوص ونحو ذلك.. فهو أمر إداري صرف..

سادساً: إن إمارة الحاج لا تستلزم خطابة، تستلزم الإستماع.
سابعاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يأمر علياً «عليه السلام» بطاعة أبي بكر، ومجرد رفاقته له - لو صحت - لا تعني ائتماره بأمره..

أبو بكر وعمر إلى مكة:

والشيء الذي قلما أشار إليه الباحثون هو: أن النصوص قد صرحت: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل أبا بكر وعمر معاً ببراءة إلى أهل مكة، فانطلقا، فإذا هما براكب، فقال: من هذا؟! قال: أنا علي. يا أبا بكر هات الكتاب الذي معك. فأخذ علي الكتاب، فذهب به، ورجع أبو بكر وعمر إلى المدينة، فقالا: ما لنا يا رسول الله؟! قال: «ما لكما إلا خيراً، ولكن قيل لي: لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»^(١).

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٥١ وتخریج الأحادیث والآثار ج ٢ ص ٥٠ وشواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٣١٨ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ١٢٤.

ويؤيد شراكة عمر في هذا الأمر: أن بعض الروايات قد صرحت: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عرض حمل الكتاب إلى المشركين على جميع أصحابه فكلهم تثاقل عن حمله، والمضي به إلى مكة، فندب منهم رجلاً فوجهه به^(١).

وهذا معناه: أن عمر كان ممن تثاقل أيضاً.. وقد كان تثاقل الناس هذا هو السبب في أنه «صلى الله عليه وآله» قد فرض حمل الكتاب إلى مكة على رجل بعينه!!.

وبذلك يكون حال عمر كحال أبي بكر في جميع ما يترتب على إرجاع النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي بكر من آثار، وما يمكن أن يكون له من دلالات..

وفي مقابل ذلك نلاحظ: أن بعض الروايات تذكر: أن عمار بن ياسر هو الذي رافق علياً «عليه السلام» إلى مكة، ولعل عدم ذكر عمر وعمار في غالب الروايات قد جاء اكتفاءً بذكر من هو أهم منهما، فذكر علي «عليه السلام» يكفي عن ذكر عمار، كما أن ذكر أبي بكر يغني عن ذكر عمر، لا سيما وأن عمر يستمد شرعية حكومته من شرعية حكومة أبي بكر، لأنه تلقاها منه بوصية كتبها.

ولعل عمر كان أيضاً مرغماً على الذهاب معه، فإنه لم يكن ليجازف بنفسه مختاراً، وقد سبق أن امتنع عمر عن امتثال أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالذهاب إلى مكة ليلبلغ أشراف قريش بما جاء له في غزوة

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٦٩ والبحار ج ٣٥ ص ٢٨٦ وج ٣٨ ص ١٧٢.

الحديبية، فلم يرض بالذهاب وقال: يا رسول الله إني أخاف قریشاً على نفسي^(١).

محاولة فاشلة:

وتبذل محاولة للزعم: بأن أبا بكر قد سأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن سبب إرسال علي «عليه السلام» بعد أدائه مناسك الحج.. لأجل الإيهام بأن أبا بكر قد مضى مع علي «عليه السلام» إلى مكة وأقام الحج للناس، فلما رجع سأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن سبب استبداله بعلي «عليه السلام» في حمل الرسالة.

ولكنها محاولة فاشلة، فإن عدداً من الروايات الأخرى تصرح: بأنه حين لقي علياً رجع، ومضى علي «عليه السلام» إلى مكة.. وبعضها يقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» بأن يردّ أبا بكر..

(١) راجع تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٧٨ وإقبال الأعمال ج ٢ ص ٣٨ عنه، وعين العبرة في غبن العترة لأحمد آل طاووس ص ٢٤ والبحار ج ٣ ص ٢٨٧ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٣١٠ وجامع البيان للطبري ج ٢٦ ص ١١١ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٤٧ وتفسير البغوي ج ٤ ص ١٩٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٠ و ٢١٠ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٢٥٤ والثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٩٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٧٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩١ وعيون الأثر ج ٢ ص ١١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦.

والروايات متفقة على رجوعه، وإن اختلفت في بعض الخصوصيات الأخرى، التي يمكن حل اختلافاتها بأدنى تأمل.

وحتى لو كان قد سار الى مكة مع علي «عليه السلام»، فإن ذلك لا يستلزم الحكم بأنه هو الذي حج بالناس، فإنه يكون قد ذهب ليحج عن نفسه، وتحت إمرة علي «عليه السلام»، ولا مضايقة من أحد في ذلك.

أبو بكر لم يعزل:

وحين ضاقت الأمور على بعض المتعصبين لأبي بكر، وجدوا أنفسهم في موقع الإنكار لأصل الواقعة، وهذا ما فعله عباد بن سليمان، والقوشجي، وأضراهما^(١).

واستدل بعضهم على ذلك: بأن عزل أبي بكر عن تأدية براءة قبل الوصول إلى موضعها يلزم نسخ الفعل قبل حضور وقت العمل، وهو غير جائز^(٢).

غير أننا نقول:

أولاً: إن إنكار أصل الواقعة لا يلتفت إليه، لأنه إنكار لما هو أوضح من الشمس، وأبين من الأمس، كما اعترف به القاضي عبد الجبار^(٣).

(١) المغني للقاضي عبد الجبار ج ٢٠ ص ٣٥٠ والبحار ج ٣٠ ص ٣١٥ و ٣١٨ وراجع: منار الهدى ص ١٨٧ عن القوشجي، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٠٠.

(٢) المغني ج ٢٠ ص ٣٥٠ والبحار ج ٣٠ ص ٣١٥ و ٣١٨.

(٣) البحار ج ٣٠ ص ٣١٥ و ٣١٨.

ثانياً: حديث عدم جواز النسخ قبل حضور وقت العمل في هذا المقام.. غير سديد.

فإن هذا ليس نسخاً، فإن المورد ليس من الأحكام الشرعية الكلية ليتعلق به النسخ، بل هو أمر مرتبط بشخص بعينه، وإنما كانت هناك مصلحة في إعطاء أبي بكر الكتاب والآيات إلى أن يبلغ بها ذلك الموضع من الطريق لكي يكون ذلك مقدمة لبلورة مصلحة أخرى تكمن في أخذ علي «عليه السلام» الآيات والكتاب منه، وإيصاله إلى مكة وأهل الموسم، ولعل هذه المصلحة هي إظهار فضل علي «عليه السلام» على أبي بكر، وأن أبا بكر لا يصلح لما يَعْمَلُ من أجله..

ثالثاً: قد جوز جمهور الأشاعرة وكثير من علماء الأصول النسخ قبل حضور وقت العمل^(١).

رابعاً: إن عزل أبي بكر ليس من قبيل الأحكام، لكي يجري فيه النسخ، فإدخاله في هذا الباب غريب وعجيب.

خامساً: لو سلمنا: أنه من قبيل النسخ قبل حضور وقت العمل، فنقول:

إذا دلت الأخبار المتواترة على وقوعه - وأجمع نقلة الأخبار على حصوله كان ذلك دليلاً على جوازه.. وبه يعلم خطأ من ذهب إلى عدم الجواز..

(١) هداية المسترشدين ج ١ ص ٥٩٠ وبداية الوصول ج ٤ ص ٢٥٦ وعناية الأصول ج ٢ ص ٣٣٤.

من لم يصلح لتبليغ سورة لا يصلح للخلافة:

هذا، وقد استدلل علماء الشيعة بهذه الواقعة على عدم صلاحية أبي بكر للخلافة، فضلاً عن الإمامة، فقالوا: من لم يصلح لأداء سورة واحدة إلى أهل بلدة. فهو لا يصلح للرئاسة العامة، المتضمنة لأداء جميع الأحكام إلى عموم الرعايا في سائر البلاد^(١).

أضاف الشريف المرتضى «رحمه الله» قوله: «لو سلمنا أن ولاية الموسم لم تنسخ (أي لو سلمنا أنه ولي الموسم) لكان الكلام باقياً، لأنه إذا كان ما ولي مع تطاول الأزمان إلا هذه الولاية، ثم سلب شطرها، والأفخم، والأعظم منها، فليس ذلك إلا تنبيهاً على ما ذكرنا»^(٢).

ويؤكد ما قاله علماؤنا هنا ما ذكرناه فيما سبق، من أنه «صلى الله عليه وآله» قد استبدله بعلي «عليه السلام» الذي كان خطر بطش المشركين والحاquدين به قوياً جداً، بخلاف أبي بكر الذي لم يكن لهم عنده ثارات، وكانت له مواقف إيجابية خلصت أسراهم وصناديدهم من خطر محتم، كما جرى في غزوة بدر وفي غيرها..

بل إن نفس قوله «صلى الله عليه وآله» حكاية عن جبريل «عليه السلام»: «لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك»، يتضمن اتهاماً خطيراً

(١) راجع: البحار ج ٣٠ ص ٢١١ وج ٣٥ ص ٣١٠ ومنهاج الكرامة ص ١٨١ ونهج

الحق ص ٢٦٥ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٢٢٢.

(٢) الشافي ج ٤ ص ١٥٥ والبحار ج ٣٠ ص ٤١٧ عنه، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧

ص ١٩٧ والصوارم المهرقة ص ١٢٦.

..... :

لأبي بكر بعدم أدائه للأمانة، وأن القضية لم تكن بسبب الخوف، وإلا لكان قال لأبي بكر: إنك إن أبلغتهم الرسالة قتلوك، إذ إن الخطر إنما يتوجه إليه بعد إبلاغها.

فاتضح: أن هذا التعبير من رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرمي إلى إفهام أمر آخر، ليس هو الخوف على أبي بكر من أن يلحقه أذى.

نحن في حيرة من أمرنا:

والمناسبة تفرض علينا أن نعترف بأننا في حيرة من أمرنا.

علي × وعمار:

وقد تقدم: أن بعض النصوص أشارت إلى أن عمار بن ياسر قد رافق علياً «عليه السلام» إلى مكة، وتقول: إن فلاناً وفلاناً قد انزعجا من إرسال علي «عليه السلام»، وأحبا أن يرسل من هو أكبر سنّاً، فقالا: بعث هذا الصبي، ولو بعث غيره إلى أهل مكة، وفي مكة صناديد قريش ورجالها. والله، الكفر أولى بنا مما نحن فيه.

ثم إنهما سارا إلى علي «عليه السلام» وإلى عمار، وخوفاهما بأهل مكة، وغلظا عليهما الأمر، وقالا لهما: إن أبا سفيان، وعبد الله بن عامر، وأهل مكة قد جمعوا لهم..

فقال علي «عليه السلام»: حسبنا الله ونعم الوكيل، ومضيا، فلما دخلا مكة أنزل الله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ

اللَّهُ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ»^(١) «^(٢). ولعل انزعاج فلان وفلان قد كان بعد تثاقلهما أولاً، وبعد الإنتداب القسري لأبي بكر للمهمة، ثم عزله عنها، حيث فاجأهما هذا العزل، وأزعجهما أن يكون علي «عليه السلام» هو البديل، واستفاقا على ضربة معنوية هائلة، وموجعة جداً، فأحبا تدارك الأمر، ولو بأن يعلن علي «عليه السلام» انصرافه، أو تردده، وخوفه، بسبب تخويفهما إياه بجمع الناس.. كما أن نفس إظهار شيء من الحرص على تولي هذه المهمة قد يعيد شيئاً من الاعتبار لمن فقدته، مهما كان قليلاً وضيئلاً..

عودة علي × :

وعن عودة علي «عليه السلام» من سفره تقول الرواية التي لخصناها: إن علياً «عليه السلام» انصرف إلى المدينة يَقْصِدُ في السير، وأبطأ الوحي عن النبي «صلى الله عليه وآله» في أمر علي «عليه السلام»، وما كان منه، فاغتم لذلك غماً شديداً..

وكان من عادته «صلى الله عليه وآله» أنه إذا صلى الغداة استقبل القبلة، واستقبل علي «عليه السلام» الناس خلف النبي «صلى الله عليه وآله»، فيستأذنون في حوائجهم، وبذلك أمرهم «صلى الله عليه وآله».

(١) الآيتان (١٧٣ و ١٧٤) من سورة آل عمران.

(٢) راجع: تفسير العياشي ج ١ ص ٢٠٦ و ٢٧٩ والبحار ج ٣٠ ص ٢١٧ وج ٣٥ ص ٢٩٤ عنه، وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤١١ و ٥٦٢ وتفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٢٨٩ و ٦٥٤ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٢٧.

فلما غاب علي «عليه السلام» إلى مكة لم يجعل أحداً مكان علي «عليه السلام»، بل كان هو نفسه «صلى الله عليه وآله» يستقبل الناس. فأذن للناس.. فاستأذنه أبو ذر، فأذن له. فخرج يستقبل علياً «عليه السلام»، فلقيه ببعض الطريق، فالتزمه وقبلة، وسبقه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبشره بقدومه، فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي ذر: «لك بذلك الجنة»^(١).

ثم ركب النبي «صلى الله عليه وآله» وركب معه الناس، فلما رآه أناخ ناقته، ونزل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتلقاها، والتزمه وعانقه، ووضع خده على منكب علي «عليه السلام». وبكى النبي «صلى الله عليه وآله» فرحاً بقدومه. وبكى علي «عليه السلام» معه..

ثم سأله عما صنع، فأخبره، فقال «صلى الله عليه وآله»: «كان الله عز وجل أعلم بك مني حين أمرني بإرسالك»^(٢).. ونقول:

يلفت نظرنا في هذا النص أمور عديدة، فلاحظ على سبيل المثال ما يلي:

١- النظام والانضباط:

إن هذا النظام الذي ذكرته الرواية عن استئذان الناس من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من شأنه أن يؤكد حالة الانضباط في الحركة، المفضي

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ج ٢ ص ٤٠ والبحار ج ٣٥ ص ٢٨٩.

(٢) البحار ج ٣٥ ص ٢٨٨ - ٢٩٠ وإقبال الأعمال ج ٢ ص ٤٠.

إلى طمأنينة القائد وإشرافه مباشرة على حركة الذين معه، الأمر الذي يزيده قدرة على التصرف، وفق معطيات دقيقة، ومعرفة تفصيلية بما سوف ينتجه تصرفه أو موقفه، وبما سيؤول إليه الحال بعد ذلك. وسيكون قراره متوافقاً مع قدراته، ومتوافقاً مع كل فرص النجاح والفلاح..

٢- تأكيد الارتباط بالقيادة:

إن هذا الإجراء من شأنه أن يبلور بعفوية شعوراً لدى الناس بارتباطهم الفعلي والمستمر بقيادتهم، وإعطاء القيمة، والأهمية لدورهم، ولواقعهم في المنظومة الاجتماعية، ويدركي لديهم الشعور بالحياة، وبالتأثير الإيجابي والفاعل في الحياة..

٣- الجنة هي ثمن البشارة:

وقد أظهر النبي «صلى الله عليه وآله» اهتماماً بالغاً بسلامة علي «عليه السلام»، حتى صار همُّ أبي ذر هو: أن يكون له دور في إدخال السرور على قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاعتبر أن التعجيل في استجلاء خبر علي «عليه السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله» من أعظم القربات..

وقد ظهر مصداق ذلك في الثمن الذي تلقاه أبو ذر على بشارته بقدوم علي «عليه السلام»، حيث قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «لك بذلك الجنة».

وهو ثمن عظيم ربما لم يكن يتوقعه أبو ذر، ولا أحد ممن حضر.. لأنهم ما عرفوا قيمة علي «عليه السلام» عند الله تعالى، وعند رسوله «صلى الله

عليه وآله».

وكيف يعرفون قيمته، وهم لا يعرفونه حق معرفته؟ إذ ما عرف علياً
«عليه السلام» إلا الله تعالى، وإلا رسوله «صلى الله عليه وآله»..

٤- استقبال علي × :

وإنه لمن غير المألوف ولا المعروف أن يستقبل النبي «صلى الله عليه
وآله» أحداً بهذه الصورة، إلا ما وجدناه من أنه استقبل جعفرًا بخطوات
يسيرة..

ولكننا لم نجده يخرج من المدينة، ويركب راحلته، ويسير ما شاء الله أن
يسير، لاستقبال قادم سوى علي «عليه السلام»..
ثم هو يضع خده على منكبه «عليه السلام»، ويبكي علي «عليه
السلام» فرحاً بقاء النبي «صلى الله عليه وآله»، ويبكي النبي «صلى الله عليه
وآله» فرحاً بقدوم علي «عليه السلام»..

جزع قريش:

وقالوا: لما أذن علي «عليه السلام» «ببراءة» في مكة أن لا يدخل المسجد
الحرام مشرك بعد ذلك العام. جزعت قريش جزعاً شديداً، وقالوا: ذهبت
تجارتنا، وضاعت عيالنا، وخربت درونا، فأنزل الله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ
أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

.....
الْفَاسِقِينَ {^(١)»^(٢)}.
/

نعم، إن هذا هو ما يهم أهل الدنيا، وطلاب زخرفها، والمهتمين بزيارتها
وبهارجها، مع أن دعوة إبراهيم الله تعالى بأن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى
ذلك الوادي، وأن يرزقهم وأهله من الثمرات، كانت أقوى من كل تجارتهم،
وعلاقاتهم، وأوسع وأكبر من كل آمالهم وتوقعاتهم، وبهذه الدعوة يرزقهم
الله، لا بكدهم وجدّهم، لو كانوا يعقلون..

(١) الآية ٢٤ من سورة التوبة.

(٢) البحار ج ٣٥ ص ٢٩٣ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٨٤ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٢١٦
والتفسير الأصفى للفيض الكاشاني ج ١ ص ٤٥٧.

الفصل الثاني:

حجة الوداع

الإهتمام بحجة الوداع لماذا؟!

إن من الطبيعي: أن يهتم المسلمون بما جرى في حجة الوداع، وأن يفردوها بتصانيفهم، وبحوثهم، لأنها تضمنت التأكيد على أمور أساسية وحساسة جداً، ومصيرية، أهمها: ما جرى في عرفة، أو في منى من تحد سافر من قبل قريش ومن هم على رأيها، تجاه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم التهديد الإلهي لهم الذي أدى إلى إنجاز نصب علي «عليه السلام» ولياً وإماماً، وأخذ البيعة منهم له بذلك يوم غدير خم، في طريق عودة النبي «صلى الله عليه وآله» من حجته تلك إلى المدينة.

أما دوافع هذا الإهتمام، فلعلها مختلفة إلى حد التباين.. بين من يريد الإثبات، ومن يريد النفي، أو على الأقل التشكيك بما حصل، أو بدلالته على ما سيق للدلالة عليه.

ومهما يكن من أمر، فقد قال بعضهم عن حجة الوداع:

أفردھا بالتصنيف محمد بن المنذر، وأحمد بن عبد الله المحب الطبري، وإبراهيم بن عمر البقاعي الشافعيون.

وعلي بن أحمد بن حزم الظاهري.

وبسط الكلام عليها محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الحنبلي في «زاد

المعاد».

وإسماعيل بن كثير الشافعي في كتاب السيرة في تاريخه المسمى «البداية والنهاية»، وهو أوسع من الذي قبله.
كل منهم ذكر أشياء لم يذكرها الآخر، وهناك أشياء وظفرت بأشياء لم
لم يذكروها^(١).

إعلان المسير.. جاء بخلائق لا يحصون:

قالوا: أقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالمدينة عشر سنين يضحي كل عام، ولا يخلق، ولا يقصر، ويغزو المغازي ولا يحج، حتى كان في ذي القعدة سنة عشر أجمع الخروج إلى الحج. فأذن في الناس أنه حاج في هذه السنة.

فسمع بذلك من حول المدينة، فلم يبق أحد يريد، وفي لفظ: يقدر أن يأتي راكباً، أو راجلاً إلا قدم، فقدم المدينة بشر كثير، ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، وكانوا من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، مد البصر، كلهم يلتمس أن يأتهم برسول الله «صلى الله عليه وآله» ويعمل مثل عمله^(٢).

حجرات رسول الله :

قد جزم في النص الأنف الذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» كان بعد

(١) راجع: سبيل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٠.

(٢) المصدر السابق.

الهجرة يضحى، ولا يخلق ولا يقصر. في أيام الحج، ويغزو ولا يحج.. وأنه لم يحج من المدينة سوى حجة الوداع.

مع أنه قد روي: أنه «صلى الله عليه وآله» قد حج عشرين حجة مستسراً^(١). وفي الكافي: عشر حججات^(٢).

والسبب: أنه كان يستسر بحجه، إما لأجل النسيء، لأنهم كانوا يحجون في غير أوان الحج، أو لمخالفة أفعاله لأفعالهم، للبدع التي أبدعوها في حجهم^(٣)..

وهناك نصوص أخرى أشرنا إليها في الجزء الرابع عشر من هذا الكتاب، في فصل: «متفرقات في السنة الخامسة» تحت عنوان: «فرض الحج».

وفي موضع آخر من هذا الكتاب، ذكرنا عدد حجاته، وهي تدعو إلى عدم التسرع في إطلاق القول: بأنه «صلى الله عليه وآله» لم يحج سوى حجة الوداع..

(١) البحار ج ٢١ ص ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠١ و ج ١ ص ٢٨٠ عن علل الشرائع ص ١٥٤ وعن المناقب ج ١ ص ١٥٢ وعن السرائر ص ٤٦٩ وعن الكافي ج ١ ص ٢٣٣ و ٢٣٥ والدروس للشهيد الأول ج ١ ص ٤٧٤ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٣٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٣ ص ٢٨٥ و (ط دار الإسلامية) ج ٩ ص ٣٨٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٢٠١ و ج ١١ ص ٥٠٤.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٣٩٩ عن الكافي في الفروع ج ١ ص ٢٣٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٢٠١ والكافي ج ٤ ص ٢٤٤ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ١٢٤ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٨٨.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٣٩٨.

فإن من القريب جداً: أن تكون بعض هذه العشرين حجة، قد حصلت بعد الهجرة، وبصورة سرية، بالطريقة التي تناسب حال رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ويؤيد ذلك قوله: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يستسر بها جميعاً، فإذا كان في أيام النسيء، لم يحج مع الناس، ويتنظر إلى الوقت الحقيقي، فيحج سراً..

الإعلان.. أم الأذان؟:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكتف بإعلام الناس بأنه حاج في تلك السنة، بل أمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحج في عامه هذا^(١)، حتى «بلغت دعوته إلى أقاصي بلاد الإسلام، فتجهز الناس للخروج معه، وحضر المدينة، من ضواحيها، ومن حولها، ويقرب منها خلق كثير، وتهيأوا للخروج معه، فخرج بهم»^(٢)..

(١) البحار ج ٢١ ص ٣٩٠ عن الكافي (الفروع) ج ١ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ و (ط دار الكتب الإسلامية) ج ٤ ص ٢٤٥ والحدائق الناضرة ج ١٤ ص ٣١٦ والفصول المهمة ج ١ ص ٦٤٩ ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٩٨ والتفسير الصافي ج ٣ ص ٣٧٤ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ١٤٦ وج ٣ ص ٤٨٧ وتفسير كنز الدقائق ج ١ ص ٣٨٦.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٣٨٣ و ٣٨٤ عن الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٧١ وعن إعلام الوري ص ٨٠ ص ٣٩٦ ومستدرك الوسائل ج ٨ ص ٨٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٣٣١ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٨٣.

.....

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: ذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحج، فكتب إلى من بلغه كتابه، ممن دخل الإسلام: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد الحج، يؤذنه بذلك ليحج من أطاق الحج، فأقبل الناس^(١)..

عدد الذين حجوا مع الرسول :

قد ذكر النص المتقدم: أن الذين قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في تلك السنة ليحجوا معه كانوا بشراً كثيراً، ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، وكانوا من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، مدّ البصر.

وقد ذكرت الروايات: أن الذين خرجوا معه «صلى الله عليه وآله» كانوا سبعين ألفاً^(٢).
وقيل: تسعون ألفاً^(٣).

-
- (١) الكافي (الفروع) ج ٤ ص ٢٤٩ و (ط دار الكتب الإسلامية) ج ٤ ص ٢٤٩ والبحار ج ٢١ ص ٣٩٦ والحدائق الناضرة ج ١٥ ص ٥٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٢٢٤ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ١٥٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٣٥٩ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٨٢ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج ٣ ص ٤٥ ومنتقى الجمان ج ٣ ص ١٦٣
- (٢) البحار ج ٣٧ ص ٢٠٢ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٥٣ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٧٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨.
- (٣) الغدير ج ١ ص ٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨.

ويقال: مائة ألف، وأربعة عشر ألفاً^(١).

وقيل: مائة وعشرون ألفاً^(٢).

وقيل: مائة وأربعة وعشرون ألفاً. ويقال أكثر من ذلك^(٣).

قال العلامة الأميني: «هذه عدة من خرج معه، أما الذين حجوا معه، فأكثر من ذلك، كالمقيمين بمكة، والذين أتوا من اليمن مع علي «عليه السلام» (أمير المؤمنين)، وأبي موسى^(٤).

قالوا: «وأخرج معه نساء كلهن في الهودج، وسار معه أهل بيته، وعامة المهاجرين والأنصار، ومن شاء الله من قبائل العرب، وأفناء الناس»^(٥).

لماذا هذا الحشد؟!

ونقول:

إن حشد الأمة إلى الحج، وإرسال الكتب إلى أقصى بلاد الإسلام، وأمر المؤذنين بأن يؤذنوا بأعلى أصواتهم: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحج

(١) الغدير ج ١ ص ٩ والمجموع للنووي ج ٧ ص ١٠٤ ومغني المحتاج ج ١ ص ٣٤٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨.

(٢) البحار ج ٣٧ ص ١٥٠ والغدير ج ١ ص ٩ و ٢٩٦ والعدد القوية ص ١٨٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨.

(٣) الغدير ج ١ ص ٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨.

(٤) الغدير ج ١ ص ٩.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٣ ص ٢٢٥ وإمتاع الأسماع ص ٥١٠ وإرشاد الساري ج ٦ ص ٤٢٩ والغدير ج ١ ص ٩ عنهم.

.....

في عامه هذا، وإخراج النبي «صلى الله عليه وآله» نساءه كلهن في الهودج إلى الحج، واجتماع هذه الأعداد الهائلة، لتسير معه، سوى من سار إلى مكة من دون أن يمر بالمدينة، وما والاها، وسوى الذين جاؤوا من اليمن مع ذلك، إن ذلك لم يكن أمراً عفويّاً، ولا مصادفة، ولا كان استجابة لرغبة شخصية تقضي بجمع النبي «صلى الله عليه وآله» الناس حوله. فحاشاه من ذلك، ولا لغير ذلك من أمور دنيوية، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يفكر ولا يفعل إلا وفق ما يريد الله تبارك وتعالى.. وحاشاه من أي تفكير أو موقف أو عمل في غير هذا الاتجاه..

ولعل الهدف من كل هذا الحشد هو تحقيق أمور كلها تعود بالنفع العميم على الإسلام والمسلمين، ويمكن أن نذكر منها، ما يلي:

١ - إنه أراد للناس المتمردين، بل والمنافقين، والذين يحملون بالإرتداد على الإسلام وأهله عند أول فرصة تسنح لهم، يريد لهم أن يروا عظمة الإسلام، وامتداداته الواسعة، وأنه لم يعد بإمكان أحد الوقوف في وجهه، أو إيقاف مده، فليأس الطامحون والطامعون، وليراجع حساباتهم المتوهمون، وليعد إلى عقولهم المتهورون والمجازفون..

٢ - إنه يريد أن يربط على قلوب الضعفاء، ويشد على أيديهم، ويريمهم عياناً ما يحصنهم من خدع أهل الباطل، وكيد أهل الحقد والشنآن.. ومن كل ما يمارسونه معهم من تخويف، أو تضعيف..

٣ - أن ينصب علياً «عليه السلام» إماماً وخليفة من بعده أمام كل هذه الجموع الهائلة، ليكونوا هم الشهداء بالحق على أنفسهم وعلى جميع الناس، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..

ثم أن يقطع الطريق على قلة من الناس من أن يتمكنوا من خداع الآخرين ببعض الإدعاءات أو الإشاعات كما سنرى حين الحديث عما جرى في عرفات، ومنى، وفي طريق العودة، في غدير خم. وأما أخذه لجميع نسائه معه فلعله لأن فيهن من يريد أن يقيم عليها الحجة في ذلك كله، لأنها سيكون لها دور قوي في الاتجاه الآخر الذي يريد أن يحذر الناس من الإنغماس والمشاركة فيه..

وباء الجدري والحصبة:

وقالوا: إن وباء الجدري والحصبة أصابت الناس فمَنعت من شاء الله أن تمنع من الحج الخ..^(١). وهذا يؤيد ما قدمناه تحت عنوان: «نقل الوباء إلى خم»، من أن حديث نقل الوباء من المدينة إلى خم، أو إلى غيرها، لا يصح، غير أن ما يهم هؤلاء هو أن يوهنوا أمر غدير خم، وأن يثيروا اشمئزاز الناس ونفرتهم منه، بمجرد سماع اسمه، حتى لقد قرنوه بالوباء، وبالحُمى، وبالجدري، وما إلى ذلك..

هكذا خرج النبي ' إلى الحج:

قالوا: وصلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الظهر بالمدينة أربعاً،

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٤١ وحجة الوداع لابن حزم الأندلسي ج ١ ص ١١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٠ والغدير ج ١ ص ٩.

.....

وخطب الناس وعلمهم ما أمامهم من المناسك ثم ترجل وادهن بزيت،
واغتسل قبل ذلك، وتجرد في ثوبين صحاريين: إزار ورداء^(١).
زاد الواقدي: وأبدلها بالتنعيم بثوبين من جنسهما، ولبس إزاره،
ورداءه، وركب - كما قال أنس - على رحل وكانت زاملته، وقال أيضاً: حج
رسول الله «صلى الله عليه وآله» على رحل رث، وقطيفة خلقة.
ثم قال: «اللهم اجعله حجاً مبروراً، لا رياء فيه، ولا سمعة»^(٢).
وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة نهراً بعد الظهر،
لخمس بقين من ذي القعدة^(٣).

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥١ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد
ج ٢ ص ١٧٣ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ١٠٢.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥١ عن البخاري، وابن ماجه، والترمذي في
الشمال، وأبي يعلى في هامشه عن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٦٥ وحاشية الدسوقي ج ٢
ص ١٠ ومجمع الزوائد للهيثم ج ٣ ص ٢٢١ والشمال المحمدية للترمذي
ص ١٨٠ والعهود المحمدية للشعراني ص ٢١٥ وإمتاع الأسماع ج ٧
ص ٢٣٧ والشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ١٣٢.
- (٣) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥١ وسبل السلام ج ٢ ص ١٨٨ وراجع: كتاب
الأم ج ٢ ص ١٣٨ وموطأ مالك ج ١ ص ٣٩٣ ونيل الأوطار ج ٥ ص ١٩١
والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٢٣٥ و (ط دار الإسلامية) ج ٨
ص ١٦٨ والإرشاد ج ١ ص ١٧١ والبحار ج ٢١ ص ٣٨٤ وج ٣٠ ص ٦١٠
وكتاب المسند للشافعي ص ١١١ ومسند أحمد ج ٦ ص ٢٧٣ وصحيح البخاري
ج ٢ ص ١٨٤ وصحيح مسلم ج ٤ ص ٣٢ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٩٣
والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٥ ومسند الحميدي ج ١ ص ١٠٤ ومسند ابن =

والصحيح: أنه «صلى الله عليه وآله» خرج لأربع بقين منه^(١).

وقيل: خرج يوم السبت^(٢).

وعند ابن حزم: يوم الخميس^(٣).

وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» على طريق الشجرة، وكان يخرج منها، وصلى في مسجد^(٤).

= راهويه ج ٢ ص ٤٢٥ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٣٢٧ و ٤٥٣ وصحيح ابن حبان ج ٩ ص ٢٣٨ وراجع: فتح الباري ج ٣ ص ٣٢٣ وج ٦ ص ٨١ وج ٨ ص ٨٠.

(١) البحار ج ٢١ ص ٣٨٩ و ٣٩٠ عن السرائر ص ٤٧٧ وعن الكافي (الفروع) ج ١ ص ٢٣٣ ومنتهى المطلب (ط.ق) للحلي ج ٢ ص ٨٨٦ والكافي ج ٤ ص ٢٤٥ و ٢٤٨ وعلل الشرائع للصدوق ج ٢ ص ٤١٢ وتهذيب الأحكام للطوسي ج ٥ ص ٤٥٤ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٢١٤ و ٢٢٢ وج ١٣ ص ١٩٩ و (ط الإسلامية) ج ٨ ص ١٥١ و ١٥٧ وج ٩ ص ٣١٨ ومستطرفات السرائر لابن إدريس ص ٥٩١ والبحار ج ٢١ ص ٣٨٩ و ٣٩٥ وج ٩٦ ص ٨٨ وتفسير العياشي ج ١ ص ٨٩ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ١٨٥ وتفسير كنز الدقائق ج ١ ص ٤٦٦ وتفسير الميزان ج ٢ ص ٨٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥١ عن ابن القيم، وابن كثير، والدمياطي، والحاكم في الإكليل، وابن سعد، وسبل السلام ج ٢ ص ١٨٨ وفتح الباري ج ٣ ص ٣٢٣ وج ٦ ص ٨ وج ٨ ص ٨٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥١ وفتح الباري ج ٣ ص ٣٢٣ وج ٦ ص ٨١ وج ٨ ص ٨٠ وعمدة القاري ج ٩ ص ١٦٨.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥١ عن البخاري.

ولما أراد الخروج جعل على المدينة أبا دجانة سهاك بن خرشة الساعدي^(١).
ويقال: بل سباع بن عرفطة^(٢).
ودخلها لأربع مضيّن من ذي الحجة^(٣).
ودخل مكة من أعلاها، من عقبة المدنيّن، وخرج من أسفلها^(٤).

النبي 'بذي الحليفة':

قالوا: فسار «صلى الله عليه وآله» حتى أتى ذا الحليفة، وهو من وادي
العقيق فنزل به، تحت سمرة في موضع المسجد، ليجمع إليه أصحابه،
وصلى بهم العصر ركعتين.
وأمر بالصلاة في ذلك الوادي.
فعن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٠ والدرر لابن عبد البر ص ٢٥٩ والبداية
والنهاية ج ٥ ص ١٢٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٢٠.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٠ عن ابن هشام، والدرر لابن عبد البر ص ٢٥٩
والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٢٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٢٠.
(٣) البحار ج ٢١ ص ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩٥ وج ٣٠ ص ٦١٨ وج ٩٦ ص ١٩٣
والسرائر ص ٤٧٧ وعن الكافي (الفروع) ج ١ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ والمجموع
للنووي ج ٧ ص ١٥٤ وكشاف القناع للبهوتي ج ٢ ص ٤٨٢ وتلخيص الخبير
ج ٧ ص ١٠٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٣ ص ١٩٩ و (ط دار
الإسلامية) ج ٩ ص ٣١٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ١١ ص ٢٧١.
(٤) البحار ج ٢١ ص ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩٥ والسرائر ص ٤٧٧ وعن الكافي (الفروع)
ج ١ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٦.

بوادي العقيق: «أتاني آت من ربي»، ولفظ البيهقي: «جبريل» فقال: «صل في هذا الوادي المبارك».

وقال: «عمرة في حجة، فقد دخلت العمرة في الحج، إلى يوم القيامة والله تعالى أعلم»^(١).

ثم بات بذى الحليفة، وصلى المغرب والعشاء، والصبح والظهر، فصلّى بها خمس صلوات، وكان نساؤه معه كلهن في الهودج، وكن تسعة، وطاف عليهن تلك الليلة، واغتسل.

وعن عائشة: أنها طيبتة قبل طوافه عليهن تلك الليلة، واغتسل^(٢).
ونقول:

لماذا إفشاء أسرار رسول الله :

إن من القبيح جداً أن نتحدث عائشة أو غيرها عن مباشرة النبي «صلى الله عليه وآله» لزوجاته، ما دام أن ذلك لا يفيد في كشف حكم شرعي، أو أخلاقي، بل هو مجرد كشف لستر لا يريد الله سبحانه أن يكشف.
ومن الذي يرضى: أن تخبر زوجته الناس بمجامعته إياها واغتساله،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥١ ورواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، وابن ماجه، والبيهقي، وفي هامشه عن: أحمد ج ١ ص ٢٥٧ وابن ماجه ج ٢ ص ٩٩١ وراجع: المعتبر للحلي ج ٢ ص ٧٨٦ والمبسوط للسرخسي ج ٤ ص ٤ وبدائع الصنائع ج ٢ ص ١٤٤ و ١٧٥ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٧١ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٩١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥١ عن مسلم، والبيهقي.

كلما فعل ذلك؟! ..

دخلت العمرة في الحج:

وعن حديث: «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة» نقول: سيأتي: أن ذلك يرتبط بتشريع حج التمتع، الذي بدأ في سنة عشر، وبهذه الكلمة بالذات. غير أن الظاهر أن قول الرواية: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك بوادي العقيق غير دقيق، بل قاله في مكة نفسها، كما سنرى في الفقرات التالية إن شاء الله تعالى..

ولادة محمد بن أبي بكر:

وولدت أسماء بنت عميس - زوجة أبي بكر - بذي الحليفة (بالبدا) محمد بن أبي بكر، فأرسلت أبا بكر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» تقول: كيف أصنع؟ فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اغتسلي، واستثفري بثوب، وأهلي»، وفي رواية: «وأحرمي»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٣ عن مسلم، وفي هامشه عن المصادر التالية: مسلم ج ٢ ص ٨٨٦ حديث (١٢١٨/١٤٧) والشافعي في المسند ج ١ ص ٢٩٦ (٧٧٠) وأبو داود ج ٢ ص ١٨٢ (١٩٠٥) والنسائي ج ١ ص ٦٥٤ وابن ماجه ج ٢ ص ١٠٢٢ (٣٠٧٤) وأحمد ج ٣ ص ٣٢٠ وراجع: المغني لابن قدامة ج ٣ ص ٢٦١ و تلخيص الحبير ج ٧ ص ٢٤٢ ونيل الأوطار ج ١ ص ٣٠١ والبحار ج ٢١ ص ٤٠٣ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٤٥ وصحيح مسلم ج ٤ ص ٣٩ وسنن =

وزاد في نص آخر، عن أبي بكر: وتصنع ما يصنع الناس، إلا أنها لا تطوف بالبيت^(١).

ونقول:

لا معنى لأن يأمرها بالغسل، وهي لا تزال نفساء، إلا إن كان المراد أن تغسل الدم.

والصواب هو: ما روي عن أهل البيت «عليهم السلام»، من أنه «صلى الله عليه وآله» أمرها فاستثفرت، وتنظفت بمنطقة، وأحرمت^(٢).

والإستنفار هو: أن تشد المرأة فرجها بخرقعة عريضة بعد أن تحتشي. فلما قدموا مكة، وقد نسكوا المناسك وقد أتى لها ثمانية عشر يوماً،

= ابن ماجه ج ١ ص ٢٠٤ وسنن النسائي (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١٦٤ وشرح مسلم للنووي ج ٨ ص ١٧٢ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٣٤١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٣٥٦ و مسند أبي يعلى ج ٤ ص ٢٤ و ٩٣ والمنتقى من السنن المسندة ص ١٢٣.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٣ عن النسائي، وابن ماجه، وفي هامشه عن: النسائي ج ٥ ص ٩٧ وابن ماجه ج ٢ ص ٩٧٢ وراجع: الأحاد والمثاني ج ١ ص ٤٧٤ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٣٣١ وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ١٦٨ وكنز العمال ج ٥ ص ٢٧٦.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٣٧٩ عن الكافي (الفروع) ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج ١ ق ٣ ص ٥٨٨ والكافي ج ٤ ص ٤٤٤ وج ٥ ص ٣٨٩ و ٣٩٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٢ ص ٤٠٢ و (ط دار الإسلامية) ج ٩ ص ٦٦ وجامع أحاديث الشيعة ج ١١ ص ٢٩ وج ١١ ص ٤٢٩ ومنتقى الجمان ج ٣ ص ١٦٧.

.....
أمرها رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن تطوف بالبيت، وتصلي، ولم ينقطع عنها الدم، ففعلت ذلك^(١).

قصة الحمار الوحشي والظبي:

قالوا: فلما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالروحاء رأى حمراً وحشياً عقيراً، قال: «دعوه يوشك أن يأتي صاحبه»، فجاء صاحبه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «شأنكم بهذا الحمار»، فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا بكر فقسمه بين الرفاق.

ثم مضى «صلى الله عليه وآله» حتى كان بالأثاية، بين الروثة والعرج، إذا ظبي حاقف في ظل، وفيه سهم، فأمر رجلاً - قالوا: هو أبو بكر الصديق - أن يقف عنده، لا يريه أحد من الناس حتى يجاوزوه^(٢).

(١) البحار ج ٢١ ص ٣٧٩ عن الكافي (الفروع) ج ١ ص ٢٨٩ ورسائل الشريف المرتضى ج ١ ص ١٧٣ والمعتبر للمحقق الحلي ج ١ ص ٢٥٤ ومنتهى المطلب (ط.ج) للعلامة الحلي ج ٢ ص ٤٣٨ و (ط.ق) ج ١ ص ١٢٤ ومشرق الشمس ص ٣٢٦ وكشف اللثام (ط.ج) ج ٥ ص ٤٠٦ و (ط.ق) ج ١ ص ٣٣٣ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج ١ ق ٣ ص ٦٤٤ ومستند الشيعة ج ٢ ص ٤٤٢ والكافي ج ٤ ص ٤٤٩ و تهذيب الأحكام ج ١ ص ١٧٩ وتهذيب الأحكام ج ١ ص ١٨٠ وتهذيب الأحكام ج ٥ ص ٣٩٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ٣٨٤ و ٣٨٨ و (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٦١٢ و ٦١٦ وعوالي اللآلي ج ١ ص ٣٠٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٩ وفي هامشه عن: أحمد ج ٣ ص ٤٥٢ والنسائي ج ٥ ص ١٤٣ وراجع: كتاب الموطأ لمالك ج ١ ص ٣٥١ والمغني لابن قدامة =

قالوا: والفرق بين قصة الظبي، وقصة الحمار: أن الذي صاد الحمار كان حلالاً، فلم يمنع من أكله، وهذا لم يعلم أنه حلال، وهم محرمون، فلم يأذن لهم في أكله، ووكل من يقف عنده لئلا يأخذه أحد حتى يجاوزوه^(١).

ونقول:

أولاً: لم يظهر لنا من قصة الظبي الحاقف أنه كان ميتاً، فلعله كان لا يزال جريحاً وحيّاً..

بالنسبة للحمار العقير، وتوظيف رجل بحراسته، وحفظه نقول:

١- إنه أراد أن يحفظ حق صاحبه الذي صاده.

٢- إنه أراد أن يفهم من معه أن عليهم أن يراعوا الأحكام الشرعية، حتى لا يعتدوا على مال الغير، ولكي لا يرتكبوا مخالفة نهى الشارع المحرمين عنه..

٣- وربما يكون من الصحيح القول أيضاً بأنه فعل ذلك رفقاً لذلك الحيوان حتى لا يتعرض لأذى المتطفلين والعابثين..

ثانياً: حتى لو كان ميتاً، فإنه لا يجوز أكله لأحد إذا لم يذَّك بفري الأوداج، أو كان قد اصطيد بنحو يؤدي إلى ذكاته، وحلية أكله.

ولو جاز أكله لم يجز ذلك للمحرم، حتى لو وصاده المُحل.

ثالثاً: إن قصة حمار الوحش إنما كانت بالروحاء، وهي على بعد أربعين

= ج ٣ ص ٢٩١ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٢٩١ والمحل لابن حزم ج ٧

ص ٢٥١ ومسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٤٥٢ وسنن النسائي ج ٥ ص ١٨٣

والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٦٢٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ١٨٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٩.

.....
مَيْلاً أَوْ نَحْوَهَا مِنَ الْمَدِينَةِ^(١)، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهَا بَعْدَ الْمِيقَاتِ، وَقَدْ كَانُوا مُحْرَمِينَ عِنْدَهَا.

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» لَمَّا صَارَ بِالْأَبْوَاءِ أَهْدَى لَهُ الصَّعْبُ بْنُ جَثَامَةَ حِمَارٌ وَحْشٍ.

وَفِي رَوَايَةٍ: (عَجَزَ حِمَارٌ وَحْشٍ).

وَفِي رَوَايَةٍ: (لَحْمُ حِمَارٍ وَحْشٍ، يَقْطُرُ دَمًا).

أَوْ: (شَقَّ حِمَارٌ وَحْشِي).

أَوْ: (رَجُلٌ حِمَارٌ وَحْشٍ، فَرَدَهُ)، وَقَالَ: إِنَّا لَمْ نَرْدِهِ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حَرَمٌ^(٢).

رَابِعًا: إِنَّهُ يَظْهَرُ أَنَّ الَّذِي رَمَى الظُّبْيَ بِسَهْمٍ لَمْ يَحْضُرْ لِيَرْخِصْهُمْ فِي الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ لَحْمِ ذَلِكَ الظُّبْيِ، وَلِيُؤَكِّدَ لَهُمْ ذَكَاتَهُ أَيْضًا.

مساجد بناها الناس:

قَالُوا: وَمَضَى «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» يَسِيرَ الْمَنَازِلَ، وَيُؤَمُّ أَصْحَابَهُ فِي الصَّلَوَاتِ فِي مَسَاجِدَ لَهُ، بَنَاهَا النَّاسُ، وَعَرَفُوا مَوَاضِعَهَا^(٣).

(١) وفاء الوفاء ج ٤ ص ٩٢٢٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٦٠ وفي هامشه عن: البخاري ج ٤ ص ٣١ (١٨٢٥ و ٢٥٧٣) ومسلم ج ٢ ص ٨٥٠ (١١٩٣/٥٠) وراجع: فتح العزيز ج ٧ ص ٤٩٦ والمجموع للنووي ج ٧ ص ٣٠٦ و ٣٢٥ ومغني المحتاج ج ١ ص ٥٢٥ وكتاب الموطأ لمالك ج ١ ص ٣٥٣ و ٣٢٧ والمغني لابن قدامة ج ٣ ص ٢٩٠ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٢٩٠.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٩ عنه.

أي أن الناس كانوا يبنون مساجد في المواضع التي كان يصلي فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهذا دليل آخر على صحة التبرك والتأسي برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلى هذا جرت سيرة المسلمين والمؤمنين، ولم يعترض أحد من الصحابة على ذلك، بل كان الصحابة أنفسهم يفعلون ما يؤكده، بمرأى من الناس وبمسمع من النبي نفسه «صلى الله عليه وآله».

فما معنى أن تظهر في آخر الزمان شرذمة تمنع الناس من التبرك بهذه الآثار المباركة وتسعى في هدمها وإبطائها.

ضياع زاملة رسول الله !!'

قالوا: ثم سار «صلى الله عليه وآله» حتى إذا نزل بالعرج، وكانت زاملته وزاملة أبي بكر واحدة، وكانت مع غلام لأبي بكر، فجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأبو بكر إلى جانبه وعائشة إلى جانبه الآخر، وأسماء بنت أبي بكر إلى جانبه، وأبو بكر ينتظر الغلام أن يطلع عليه، فطلع وليس معه البعير، فقال: أين بعيرك؟ فقال: أضللت البارية.

فقال أبو بكر - وكان فيه حدة -: بعير واحد تضله، فطفق يضرب الغلام بالسوط، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يتبسم ويقول: «انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع»؟

وما يزيد رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أن يقول ذلك

ويتيسم؟!^(١).

قال الصالحى الشامى: سبق أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حج على رحل، وكانت زاملة. أي أن الرحل والزاملة شيء واحد، وكان الرحل والزاملة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وليس لأبي بكر، فقول الرواية هنا: إن زاد النبي «صلى الله عليه وآله» كان على زاملة أبي بكر ينافي ذلك. فأجاب عن ذلك بقوله: قال المحب الطبرى: يحتمل أن يكون بعض الزاملة عليها (أي على رحله «صلى الله عليه وآله»)، وبعض الزاملة مع زاملة أبي بكر.

ولما بلغ آل فضالة الأسلمى، أن زاملة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ضلت، حملوا له جفنة من حيس، فأقبلوا بها حتى وضعوها بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «هلم يا أبا بكر، فقد جاء الله تعالى بغذاء أطيب». وجعل أبو بكر يغتاز على الغلام.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هون عليك يا أبا بكر، فإن الأمر ليس إليك، ولا إلينا معك، وقد كان الغلام حريصاً على ألا يضل بغيره. وهذا خَلَفٌ مما كان معه».

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٦٠ وقال: ترجم أبو داود على هذه القصة في باب «المحرم يؤدب»، وفقه السنة للسيد سابق ج ١ ص ٦٧٠ ومسند أحمد ج ٦ ص ٣٤٤ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٧٨ وسنن أبي داود ج ١ ص ٤٠٩ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٤ ص ٩٠ وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٤٦ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٣٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٢٠.

ثم أكل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأهله، وأبو بكر، ومن كان معه يأكل حتى شبعوا.

فأقبل صفوان بن المعطل، وكان على ساقية الناس، والبعير معه، وعليه الزاملة، فجاء حتى أناخ على باب منزل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأبي بكر: «أنظر هل تفقد شيئاً من متاعك؟». فقال: ما فقدت شيئاً إلا قعباً كنا نشرب فيه.

فقال الغلام: هذا القعب معي.

فقال أبو بكر لصفوان: أدّى الله عنك الأمانة.

وجاء سعد بن عباد، وابنه قيس ومعهما زاملة تحمل زاداً يؤمان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوجدا رسول الله «صلى الله عليه وآله» واقفاً بباب منزله، قد رد الله عز وجل عليه زاملته، فقال سعد: يا رسول الله، بلغنا أن زاملتك ضلت الغداة، وهذه زاملة مكانها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قد جاء الله بزاملتنا، فارجعا بزاملتكم بارك الله فيكما»^(١).

ونقول:

ويعود الحديث هنا من جديد عن ضياع زاملة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفق ما تعودناه في رواياتهم لأسفار رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ونحن وإن كنا لا نمانع في أن تضيع زاملته أو ناقتة «صلى الله عليه وآله»

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٦٠ وإمتاع الأسماع المقرئ ج ٢ ص ١٠٦ و ٢١٤
وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٢٠ ص ٢٥٨.

.....

وآله» أكثر من مرة، غير أننا نَلْمَحُ في كثير من الأحيان أن ثمة رغبة في التسويق لأشخاص هم من فريق واحد، من خلال إظهار خصوصية، لهم في أنفسهم، أو الإيحاء، بأن لهم نحو اختصاص برسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولم نجد لأي من الفريق الآخر في رواياتهم أي حضور في جميع تلكم المواقع والمواضع، ولا في سواها إلا عندما يعجزون عن تغطية دور ذلك الفريق، أو أحد رموزه الكبار، أو عن تحريفه وتزييفه، أو عن نسبته إلى مناوئي علي «عليه السلام» وشائتيه..

ومهما يكن من أمر، فإن هناك العديد من النقاط التي تستوقفنا في حديث ضياع الزاملة هنا، ونذكر منها ما يلي:

زاملة النبي ' وزاملة أبي بكر واحدة:

وقد ادّعت الرواية السابقة: أن زاملة النبي «صلى الله عليه وآله» وزاملة أبي بكر كانت في حجة الوداع واحدة، وكانت مع غلام لأبي بكر.. وتضمنت الرواية: أنه «صلى الله عليه وآله» جلس، فجلس أبو بكر إلى جانب الرسول «صلى الله عليه وآله» وعائشة إلى جانبه الآخر.. وأسماء إلى جانب أبي بكر الخ..

ونقول:

أولاً: لماذا كانت أسماء بنت أبي بكر حاضرة معهم في بيت الرسول «صلى الله عليه وآله»، ولم تكن عند الزبير بن العوام زوجها؟! ثانياً: أين كانت أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر، فإنها كانت معهم

في ذلك المسير، وقد ولدت محمد بن أبي بكر بذي الحليفة؟!
ولماذا تركها أبو بكر وحدها، وجاء بابتته أسماء دونها؟!
ولماذا يدخل أبو بكر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» النساء
الأجانب اللواتي يتخرج «صلى الله عليه وآله» منهن؟!
وأيّن كان سائر نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنهن كن جميعاً
برفقتة؟ وهل كان جميع طعام النبي «صلى الله عليه وآله» وطعام جميع نسائه
محمولاً على جمل واحد بالإضافة إلى طعام أبي بكر وطعام من معه من
العيال والنساء؟!!

ثالثاً: بالنسبة للزاملة نقول:

إن ما نعرفه عن النبي «صلى الله عليه وآله» هو أنه لم يرض بركوب ناقة
أبي بكر حين الهجرة إلا بعد أن اشتراها منه بالثمن، فهل كان أبو بكر قد
وضع زاده مع زاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واستفاد من زاملة النبي
«صلى الله عليه وآله»؟!!

أم أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي استفاد من زاملة أبي بكر،
وحين استفاد منها هل أعطاه أجرتها؟!!

أم اشتراها منه؟! أم رضي بوضع زاده على زاملة غيره، دون مقابل؟!
فإن كان الخيار الأخير هو الصحيح، فلماذا رضي في حجة الوداع بما لم
يرضه يوم الهجرة من مكة. وإن كانت الخيارات الأخرى هي الصحيحة،
فلماذا لم يبينها لنا الرواة؟!!

أبو بكر يضرب الغلام والنبي ' يتسم:

وعن ضرب أبي بكر لغلامه بالسوط نقول:

أولاً: لماذا يضرب أبو بكر غلامه بمحضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، دون أن يستأذنه «صلى الله عليه وآله»؟! ألا تعد مبادرته إلى ضرب الغلام إساءة أدب تجاه رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!!

ثانياً: إذا كان ضرب الغلام مما لا ينبغي للمحرم، كما ظهر من قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع»، فقد كان ينبغي أن يغضب النبي «صلى الله عليه وآله»، أو أن يظهر الإنقباض، وأن يزجره عن فعله هذا، لا أن يتسم!!

ثالثاً: من أين ثبت لأبي بكر أن الغلام كان مقصراً في مهمته، وأنه يستحق الضرب، وهو لم يسأله عما جرى، ولا عرف منه سبب غفلته عنه؟! فلعل الغلام سها أو غلبته عيناه فنام، فانسل البعير إلى جهة مجهولة، فانتبه، فلم يجده.

رابعاً: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» يعلم أن الغلام كان حريضاً على البعير كما صرحت به الرواية، فلماذا ترك أبا بكر يضربه بالسوط، ويواصل تغيظه عليه، ولماذا لا يدفعه أو يردعه عن ضرب ذلك الغلام المسكين؟! أو لماذا لم يقل ذلك لأبي بكر من أول الأمر؟!!

خامساً: إذا كان الأمر ليس لأبي بكر، ولا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ولا إلى غيره معه كما تقول الرواية، فلماذا لم يعاقب أبا بكر على ظلمه لذلك الغلام المسكين.

سادساً: من أين عرف صفوان بن المعطل أن الزاملة لرسول الله «صلى الله

عليه وآله؟! والحال أن الجمل لأبي بكر! إذ ما أكثر الجمال في ذلك المسير..

هود وصالح يحجان:

قالوا: فلما مر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بوادي عسفان، قال: «يا أبا بكر أي واد هذا؟»
قال: «وادي عسفان».

قال: «لقد مر به هود، وصالح، (ونوح) على بكرين أحمرين (بكرات حمرة) خطمهما ليف، وأزرهم العباء، وأرديتهم النار، يلبون، يحجون البيت العتيق^(١)».

ونقول:

إن هذا النص يحتاج إلى ما يؤكد ويقويه، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يجهل ذلك الموضع، فقد مر به عدة مرات، ولا سيما حين الهجرة، وحين فتح مكة، فلماذا يسأل أبا بكر عنه، في حين أن السائل أعلم بالأمر من المسؤول؟!!

وسؤال آخر وهو: أنه هل لم يحج البيت ماراً بوادي عسفان سوى هود وصالح؟! أليس قد حج قبلهما إبراهيم وإسماعيل حسبما جاء في القرآن الكريم؟!!

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٦١ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٣٢ والعهود المحمدية للشعراني ص ٢١٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٤٠ والدر المنثور ج ٣ ص ٩٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٢ ص ٢٧٥ والبداية والنهاية ج ١ ص ١٥٨ وقصص الأنبياء لابن كثير ج ١ ص ١٦٣.

.....
إلا إذا كان «صلى الله عليه وآله» يريد التذكير بما جرى لهذين النبيين
العظيمين مع قومهما، وأنه سيجري من أصحابه على خليفته ما يشبه ذلك،
والله هو العالم بحقيقة الحال.

وما فائدة ذكر البكرين الأحرين؟! وذكر خطامهما، وأنها من ليف؟!
وما فائدة ذكر أزهرهما، وأرديتهما؟!
ولماذا؟! ولماذا؟!

متى حج النبي ' متمتعاً؟!:

ويلاحظ هنا: أن بعض الروايات تقول عن التمتع بالعمرة إلى الحج:
أمرنا بها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو فعلناها مع رسول الله «صلى
الله عليه وآله» أو نحو ذلك، وهو تعبير منسجم مع ما جرى، وليس فيه ما
يريب، أو ما يدعو إلى التساؤل..

لكن هناك تعابير وردت ربما تكون مثاراً للسؤال، كقول بعض
الروايات: تمتع نبي الله و تمتعنا معه^(١).
وفي رواية: أعلم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جمع بين حج
وعمرة، ثم لم ينزل فيها كتاب، ولم ينهنا عنهما الخ..

(١) الغدير ج ٦ ص ١٩٩ عن صحيح مسلم ج ٣ ص ٧١ ح ١٦٩ - ١٧١ وراجع:
تلخيص الخبير ج ٧ ص ١١٣ وصحيح مسلم ج ٤ ص ٤٨ و سنن النسائي ج ٥
ص ١٥٥ و ١٧٩ و شرح مسلم للنووي ج ٨ ص ٢٠٥ والسنن الكبرى للنسائي
ج ٢ ص ٣٥٠ و ٣٦٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ٧ ص ١٣٦ وسبل الهدى
والرشاد ج ٨ ص ٤٥٦.

أو قول عمر عن حج التمتع: قد علمت أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد فعله وأصحابه.

أو قول سعد بن مالك عن المتعة: قد صنعها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وصنعناها معه.

أو قول ابن عمر: قد فعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأمر به وغير ذلك^(١).

ويمكن أن يجاب: بأنه بعد أن ثبت أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حج قارناً لا متمتعاً، فلا بد أن تحمل هذه الروايات على أن ثمة تصرفاً تعرض له النص الأصلي، بأن يكون الرواة قد بدلوا الحديث الذي كان عن متعة النساء ليصبح عن متعة الحج، أو لا بد من طرح النص وإهماله، والأخذ بما يتوافق مع الثابت عنه «صلى الله عليه وآله»، وهو تلك النصوص المتواترة التي صرحت بأنه «صلى الله عليه وآله» قد فرض عليهم فسخ حجهم إلى عمرة، ليكون حجهم حج تمتع، وأنه «صلى الله عليه وآله» بقي على حج القران، لأنه ساق الهدي.

وقد يُحمل بعض النصوص على أن قوله: جمع بين حجة وعمرة: أنه أمر بذلك، وشرعه، وقرره..

أما النصوص المطلقة، فيمكن حملها على إرادة متعة النساء، أيضاً.. وبعض نصوص قول ابن عمر قد جاء على صورة القضية التعليقية، التقديرية، فلا تدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد فعل ذلك على الحقيقة..

(١) راجع النصوص في كتاب الغدير ج ٦ ص ١٩٨ وما بعدها.

الطيب للمحرم حرام:

وقد زعمت الروايات المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» تطيب، وأن عائشة كانت ترى الطيب في مفرق رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أيام، أو بعد ثلاثة وهو محرم.

ونقول:

لا ريب في عدم صحة ذلك، قال ابن قدامة: «أجمع أهل العلم على أن المحرم ممنوع من الطيب. وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله» في المحرم الذي وقصته راحلته^(١): «لا تمسوه بطيب» رواه مسلم.

وفي لفظ: «لا تخطوه» متفق عليه.

فلما منع الميت من الطيب لإحرامه فالحي أولى. ومتى تطيب فعليه الفدية^(٢) انتهى.

أحرم بعد صلاة الظهر:

ولا نرى تناقضاً بين قولهم في النص المتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» لما صلى الصبح أخذ في الإحرام.. وبين قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» أحرم بعد صلاة الظهر، فإن

(١) أي رمت به فدقت عنقه.

(٢) المغني لابن قدامة (ط دار عالم الكتب سنة ١٤١٧ هـ) ج ٥ ص ١٤٠ و (ط دار الكتاب العربي) ج ٣ ص ٢٩٣ عن مسلم، وراجع الشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٢٧٩ وكشاف القناع للبهوتي ج ٢ ص ٤٩٨ و تذكرة الفقهاء (ط.ج) للعلامة الحلي ج ٧ ص ٣٠٣.

المقصود بأخذه في الإحرام هو التهيؤ له، بفعل مقدماته، مثل الغسل المستحب قبله، وإزالة الشعر ونحو ذلك..

الأمر بفسخ الحج إلى العمرة:

وقد تقدم: أن أربعة عشر من الصحابة قد رووا عن النبي «صلى الله عليه وآله» أمره بفسخ الحج إلى العمرة، فحل الناس كلهم إلا النبي «صلى الله عليه وآله» ومن كان معه هدي، لأنه كان قد ساق الهدي، فصار حجهم حج قران.

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» أخبرهم: أن حج التمتع الذي نزل الأمر به بعد أن ساق النبي «صلى الله عليه وآله» الهدي أفضل من حج القران، وأنه بعد حجه هذا سوف يختار الأفضل، وأنه لو كان استقبل من أمره ما استدبر لما ساق الهدي ولجعلها عمرة..

وقد ادعى ابن القيم حسبا تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خير من لم يكن معه هدي بين حج القران وحج التمتع في سرف، فلما وصل إلى مكة ألزم من ليس معه هدي بجعلها عمرة، وأن يحج متمتعاً، ومن معه هدي ألزمه بحج القران في مكة.

وهو كلام غير دقيق.. فإن الذين لم يسوقوا الهدي، وقد احرموا من الميقات لم يكونوا مخيرين بين القران والتمتع. بل كان فرضهم التمتع حصراً، ولكن ذلك لم يكن يروق لهم، بل كانوا يعارضونه أشد المعارضة، وقد عارضه عمر بن الخطاب في مكة. فأحب «صلى الله عليه وآله» أن يتدرج معهم في إبلاغهم هذا الحكم. فقال لهم أولاً: من أحب. ثم لما

وصلوا إلى مكة ألزمهم بما فرضه الله تعالى عليهم، ولم يلتفت إلى كلام عمر، ولا إلى كلام غيره..

وسأتي الحديث عن موقف عمر هذا إن شاء الله..

دخلت العمرة في الحج إلى الأبد:

وقد فسر البعض قوله «صلى الله عليه وآله»: «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة»، بأن العمرة جزء من حج القران، فمن ثم قيل: قرن، أي قرن بين الحج والعمرة وقالوا: إنه «صلى الله عليه وآله» كان مفرداً أولاً، ثم أحرم بالعمرة بعد ذلك، وأدخلها على الحج فصار قارناً، واكتفى بطواف الحج وسعيه عنه وعنهما، كما زعم ابن كثير.

ونقول:

إن دعوى وجود عمرة في ضمن حج القران، من دون أن يكون لها طواف ولا صلاة، ولا سعي، ولا تقصير تحتاج إلى إثبات قاطع للعدر.. وما قولهم: إنه اكتفى بطواف الحج وسعيه عن طواف العمرة وسعيها إلا اقتراح وافتراس إلا إن لم يقترن بالدليل والحجة..

وكلمة: «دخلت العمرة في الحج إلى الأبد»، قد قيلت في جواب سراقه عن حكمة تحويل وفسخ حج الناس الذين لم يسوقوا الهدي إلى العمرة التي تسبق حج التمتع، فأجابه «صلى الله عليه وآله» بالتأكيد على أن فرض الذين لا يسكنون داخل المواقيت إلى جهة مكة ما إذا لم يسوقوا الهدي هو التمتع، ولزوم تقديم العمرة على الحج. وأن هذا الحكم ثابت إلى الأبد.

التلويح ثم التصريح:

وتقدم قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» خرج من المدينة لا يسمى حجاً ولا عمرة، ينتظر القضاء، فنزل عليه القضاء بين الصفا والمروة، فأمر من لم يكن معه هدي يجعلها عمرة.
ونقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان عالماً بالحكم، وقد صرحت النصوص: بأنه «صلى الله عليه وآله» أهل بحج القران كما تقدم، ولكنه لم يكن يصرح للناس بشيء، لأنه كان يتصرف وفق خطة إلهية تهدف إلى تكريس حج التمتع الذي كان يلقي معارضة شديدة.. فأشار عليهم بحج التمتع بسرف، فلم يستجيبوا له، فلما بلغ مكة أمرهم به بصورة جازمة، فاعترض عليه عمر، فلم يلتفت إليه، وأمضى ذلك عليهم..
وقد ميز نفسه عنهم بحج القران، ليؤكد لهم ولكل أحد تحديد ما يرمي إليه، ولا يفسح المجال لأي تأويل أو افتئات، فإنه كان يعرف أن هذا الحكم سيلقى معارضة قوية.

وكان لا بد أن يتخذ الإجراءات المناسبة ليكسر حالة اللجاج والعناد التي ظهرت آثارها في اعتراض عمر الذي استمر على المعارضة الشديدة حتى في زمن خلافته..

دخلت العمرة في الحج:

وعن جوابه «صلى الله عليه وآله» لسراقة بن مالك عن فسخ الحج إلى العمرة بقوله: «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة» نقول:

.....

إن فسخ الحج إلى عمرة قد لا يصدق على كثيرين، فقد قالت عائشة: «خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا نذكر حجاً ولا عمرة»^(١).. فإذا كانت عائشة وأمثالها لا يذكرون شيئاً منهما، فما بالك بالآخرين، الذين كان أكثرهم بعيدين عن التدقيق في مثل هذا الأمر.

عمر لا يرضى بحكم الله!!:

ورغم أن الآية القرآنية الكريمة تنص على تشريع التمتع بالعمرة إلى الحج، في قوله تعالى: {فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ}^(٢).. ورغم أن الناس قد فعلوا حج التمتع في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبالذات في السنة العاشرة من الهجرة، وذلك قبل استشهاد النبي «صلى الله عليه وآله» بقليل، الذي كان في الثامن والعشرين من شهر صفر..

نعم، رغم ذلك، فإن عمر بن الخطاب قد أصر على مواصلة إنكاره لحج التمتع، حتى إذا نال ما تمناه من الإمرة على الناس بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» منعهم عنها بالقوة، وقد تقدم حديث منعه عن متعة

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٦ و ٣٩ و شرح مسلم للنووي ج ٨ ص ١٣٨ معرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٣ ص ٥١٢ و ٥٥٥ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٤ ص ٣٧١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٦٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٨١ و ٢٨٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١١.

(٢) الآية ١٩٦ من سورة البقرة.

الحج ومتعة النساء، وتوعده بعقوبة من يفعل أية واحدة منها..

ونشير فيما يلي إلى نصوص أخرى ذكرت منعه عن متعة الحج بالخصوص، فقد روي عن أبي موسى: أنه سأل عمر عن متعة الحج، فأجابه بقوله: «قد علمت أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد فعله وأصحابه، ولكنني كرهت أن يظلوا معرسين بهن في الأراك، ثم يروحون في الحج تقطر رؤوسهم»^(١).

وقد فسرت بعض الأحاديث الرجل الذي لم يرضى بحكم الله في النسك بعمر^(٢).

وقد اعترض الضحاك على سعد بن مالك: بأن عمر قد نهى عن حج التمتع، فقال له سعد: قد صنعها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وصنعناها معه^(٣).

(١) الغدير ج ٦ ص ٢٠٠ عن مسلم في صحيحه ج ٣ ص ٦٧ ح ١٥٧، وابن ماجه ج ٢ ص ٩٩٢ ومسنده أحمد ج ١ ص ٥٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٢٠ وسنن النسائي ج ٥ ص ١٥٣ وتيسير الوصول ج ١ ص ٣٤٠ وشرح الزرقاني على موطأ مالك، والبحار ج ٣٠ ص ٦١٧.

(٢) الغدير ج ٦ ص ٢٠٠ وعن صحيح مسلم ج ٣ ص ١٧٠ ح ١٦٥ و١٦٦ و١٦٧.

(٣) الغدير ج ٦ ص ٢٠١ عن كتاب الأم للشافعي ج ٧ ص ١٩٩ والموطأ لمالك ج ١ ص ١٤٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٧ وسنن النسائي ج ٥ ص ١٥٢ والجامع الصحيح للترمذي ج ٣ ص ١٨٥ والمواهب اللدنية ج ٤ ص ٤١٢ وعن زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٨٤ وعن الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٥٨ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٣٣٥.

.....

وسئل سعد بن مالك أيضاً عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال: حسنة جميلة.
فقيل: قد كان عمر ينهى عنها، فأنت خير من عمر؟!^(١).
قال: عمر خير مني، وقد فعل ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو
خير من عمر.
وعن سالم قال: إني لجالس مع ابن عمر في المسجد، إذ جاء رجل من أهل
الشام، فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال ابن عمر: حسن جميل.
قال: فإن أباك كان ينهى عنها.
فقال: ويلك! فإن أبي نهى عنها، وقد فعله رسول الله «صلى الله عليه
وآله»، وأمر به، أفبقول أبي آخذ؟ أم بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!
قم عني^(٢).
وثمة نصوص أخرى تدل على منع عمر من متعة النساء، في أيام
خلافته فلتراجع في مظانها^(٣).

(١) سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥.

(٢) الغدير ج ٦ ص ٢٠١ و ٢٠٢ عن الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٣٦٥ عن
الدارقطني، وعن الجامع الصحيح للترمذي ج ٣ ص ١٨٥ وزاد المعاد ج ١
ص ١٨٩ وعن هامش شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٢ ص ٢٥٢ والسنن
الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٢١ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٢٨٥ والتمهيد لابن عبد
البر ج ٨ ص ٢٠٩ والجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٣٨٨ وإمتاع الأسماع
للمقرئزي ج ٩ ص ٣٢.

(٣) مسند أحمد ج ١ ص ٤٩ وج ٥ ص ١٤٣ والغدير ج ٦ ص ٢٠٢ فما بعدها عن زاد
المعاد ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٢٠ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٤٦ وكنز العمال =

وقد صرح في بعضها: بأنه سوف يعاقب من يحاول أن يخالف أمره الصارم في متعة النساء ومتعة الحج، ومصادر ذلك تأتي في الفقرة التالية..

أول من نهى عن حج التمتع:

وزعمت النصوص المتقدمة: أن معاوية هو أول من نهى عن حج التمتع بالعمرة إلى الحج^(١).

وفي نصوصٍ أخرى: أن عثمان هو الذي نهى عنها^(٢).
ونقول:

أولاً: إن هذا الكلام غير صحيح، فإن عمر بن الخطاب هو أول من نهى عن حج التمتع، وذلك في قوله المشهور: «متعتان كانتا على عهد رسول «صلى الله عليه وآله» أنا أحرمهما، وأعاقب عليهما: متعة النساء، ومتعة الحج»^(٣).

= ج ٥ ص ١٦٧ والدر المنثور ج ١ ص ٢١٦ عن أحمد، وعن مسند ابن راهويه،
وراجع: إرشاد الساري ج ٣ ص ٢٠٤ وعن جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٦
ومختصر جامع بيان العلم ص ١٩٩ ح ١٨٠ والآثار لأبي يوسف ص ٩٧.
(١) راجع: بالإضافة إلى ما تقدم: مسند أحمد ج ١ ص ٢٩٢ و ٣١٣ والجامع الصحيح
للترمذي ج ٣ ص ١٨٤.

(٢) راجع: الغدير ج ٦ ص ١٩٩ فما بعدها عن شرح مسلم للنووي على صحيح
مسلم ج ٨ ص ٢٠٥ وإرشاد الساري ج ٤ ص ٨٨ وعن فتح الباري ج ٣ ص ٤٣٣
وغير ذلك.

(٣) مسند أحمد ج ١ ص ٣٣٧ وج ٣ ص ٣٢٥ و ٣٥٦ و ٣٦٣ والغدير ج ٦ ص ٢٠٨ و
٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ ونقل أيضاً عن الجمع بين الصحيحين، وعن زاد=

.....

= المعاد، وجامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٣٩ وعن مختصر جامع بيان العلم
ص ٢٢٦ وكنز العمال (ط الهند) ج ٢٢ ص ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و (ط مؤسسة
الرسالة) ج ١٦ ص ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ عن الطبري، وأبي صالح، والطحاوي،
وابن عساكر، وعن ضوء الشمس ج ٢ ص ٩٤. وشرح النهج للمعتزلي ج ١
ص ١٨٢ وج ١٢ ص ٢٥١ وج ١٦ ص ٢٦٥ والأم ج ٧ ص ٢١٩ وسنن البيهقي
ج ٧ ص ٢٠٦ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٦ ص ٤٠٤ ومراة
العقول ج ٣ ص ٤٨١ والأوائل لأبي هلال العسكري ج ١ ص ٢٣٨ وتفسير
النيسابوري (بهامش الطبري) ج ٥ ص ١٧ والبيان والتبيين (ط سنة ١٣٨٠ هـ)
ج ٤ ص ٢٧٨ و (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٢٠٨ و ٢٢٣ وزاد المعاد ج ١ ص ٢١٣
وج ٢ ص ١٨٤ وفيه (ثبت عن عمر) والتفسير الكبير للرازي (ط سنة ١٣٥٧ هـ)
هـ - مستدلاً به - ج ١٠ ص ٥١ وراجع ص ٥٢ وفي (ط أخرى) ج ٢ ص ١٧٢
وج ٣ ص ٢٠١ و ٢٠٢ ووفيات الأعيان، وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٣١ وتلخي
صالشافي ج ٣ ص ١٥٣ وج ٤ ص ٢٩ ومجمع البيان ج ٣ ص ٣٢ وكنز العرفان
ج ٢ ص ١٥٦ و ١٥٨ عن الطبري في المستنير، والجواهر ج ٣٠ ص ١٣٩ و ١٤٠
و ١٤٥ و ١٤٨ و ١٤٩ ونفحات اللاهوت ص ٩٨ والإيضاح ص ٤٤٣ ودلائل
الصدق ج ٣ ص ١٠٢ و ١٠٣ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٧٠ وبداية
المجتهد ج ١ ص ٣٤٢ والمحلى ج ٩ ص ١٠٧ والتمهيد للقرطبي ج ٢٣ ص ٣٦٤
و ٣٦٥ بسندين، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة ج ٩ ص ٥٤ والمرأة في
القرآن والسنة لدروزة أيضاً ص ١٨٢ عن المغني لابن قدامة (ط دار الكتاب
العربي) ج ٧ ص ٥٢٧ وعن شرح معاني الآثار باب مناسك الحج ص ٣٧٤ وج ٢
ص ١٤٤ والمبسوط للسرخسي ج ٥ ص ١٥٢ باب القرآن من كتاب الحج
وصححه، والبحار (ط قديم) ج ٨ ص ٢٧٣ عن جامع الأصول لابن الأثير،
وتحريم نكاح المتعة ص ١٠٦ و ١٠٥ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٦ وأخبار القضاة لوكيع =

ثانياً: إن معاوية نفسه يقول: إنه هو الذي قصر للنبي «صلى الله عليه وآله» بمشقص بعد طوافه وسعيه في أيام العشرة^(١).

لكن قيس بن سعد، الراوي عن عطاء قال: والناس ينكرون هذا على معاوية^(٢).

فإذا كان معاوية يروي: أنه هو الذي قصر لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في عمرة حج التمتع، فكيف يكون هو نفسه الناهي عن حج التمتع كما نقله لنا ابن عباس؟! غير أننا نقول:

إن معاوية كاذب في دعواه: أنه قصر للنبي «صلى الله عليه وآله» بعد طوافه وسعيه للعمرة في حجة الوداع.. لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد

= ج ٢ ص ١٢٤ وقد أشار المعلق في هامشه إلى أن نهي عمر عن المتعة رواه ابن ماجه، والبيهقي، وابن المنذر، ومحاضرات الراغب ج ٢ ص ٢١٤ والمسالك ج ١ ص ٥٠٠ والمتعة للفكيكي ص ٧٢ وشرح التجريد للقوشجي مبحث الإمامة ص ٤٨٤ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٢٧٧ عن الطبري، وجواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار ج ٢ ص ١٩٢ عن التفتازاني في حاشيته على شرح العضد، والتمهيد ج ١٠ ص ١١٢ و١١٣ والمتقى للفقهي ج ٢ هامش ص ٥١٩ والدر المنثور ج ٢ ص ١٤١ وراجع: الإيضاح ص ٤٤٣ وسنن سعيد بن منصور ج ١ ص ٢١٩.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٧ عن البخاري ومسلم، وعن النسائي، وأبي داود، وقد تقدمت الإشارة إلى مصادر أخرى فراجع.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٧ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ١٣١ وسنن النسائي ج ٥ ص ٢٤٥ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٤١٦.

.....

حج قارناً، فلا معنى للتقصير بعد الطواف والسعي في أيام العشر.
وعلى فرض كونه صادقاً أو كاذباً، فإنه متجرب على الله تعالى ورسوله
«صلى الله عليه وآله» عن علم وعمد في منعه الناس عن فعل ما شرعه الله
تعالى لهم.

تأويلات للخروج من المأزق:

وحين رأوا: أن ما فعله عمر قد جاء واضحاً وفاضحاً، ولا مجال للتسويق
له، حاولوا تلطيف الأجواء بطرح بعض التعليلات، ومن هذه التأويلات:

١ - ما زعم ابن عمر: أن أباه لم يقل: يحرم التمتع بالعمرة إلى الحج،
وإنما قال: أفردوا العمرة من الحج، لكي يزور الناس البيت في غير أشهر
الحج، أي أن العمرة لا تتم في شهر الحج إلا بهدي، قال: «فجعلتموها أنتم
حراماً، وعاقبتم الناس عليها، وقد أحلها الله عز وجل الخ...»^(١).

وفي نص آخر عن ابن عمر: أن عمر لم يقل لك: «إن العمرة في أشهر
الحج حرام، ولكنه قال: إن أتمَّ العمرة أن تفردوها من أشهر الحج»^(٢).

(١) السنن الكبرى ج ٥ ص ٢١ والمجموع للنووي ج ٧ ص ١٥٨ والغدير للشيخ ج ٦
ص ٢٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٢١ والإستذكار لابن عبد البر ج ٤
ص ٦١ و ١٠٧ والتمهيد لابن عبد البر ج ٨ ص ٢١٠ وإمتاع الأسماع ج ٩
ص ٣٣.

(٢) السنن الكبرى ج ٥ ص ٢١ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٢٨٥ والغدير ج ٦ ص ٢٠٢
وج ١٠ و ٦٦ وشرح معاني الآثار ج ٢ ص ١٤٧ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي
ج ٣ ص ٥٣٨ وكنز العمال ج ٥ ص ٣٠١.

وعن ابن عمر أيضاً: أن عمر بن الخطاب قال: افصلوا بين حجكم وعمرتكم، فإن ذلك أتم لحج أحدكم، وأتم لعمرته أن يعتمر في غير أشهر الحج^(١).

ونقول:

إن هذه التأويلات لا تصح ولا تجدي وذلك لما يلي:
أولاً: إن عمر نفسه كان يتبجح بأنه إنما ينهاهم عن نفس ما أمر الله به في كتابه، وفعله رسوله «صلى الله عليه وآله».

فعن ابن عباس قال: سمعت عمر يقول: والله إني لأنهاكم عن المتعة، وإنها لفي كتاب الله، ولقد فعلها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يعني العمرة في الحج^(٢).

ثانياً: عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب نهى عن المتعة في أشهر الحج، وقال: فعلتها مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنا أنهى عنها.

إلى أن قال: لو خلدنا بينهم وبين ذلك لعانقوهن تحت الأراك، مع أن أهل البيت - يعني أهل مكة - ليس لهم ضرع ولا زرع، وإنما ربيعهم في من

(١) الموطأ ج ١ ص ٢٥٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٥ وتيسير الوصول ج ١ ص ٣٣٠ والدر المنثور ج ١ ص ٢٨١ عن ابن أبي شيبة، وكتاب الأم للشافعي ج ٧ ص ٢٢٦.

(٢) سنن النسائي ج ٥ ص ١٥٣ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٢٣٨ وسنن النسائي ج ٥ ص ١٥٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٣٤٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٤٦.

يطراً عليهم^(١).. أي أنه يريد أن يعتمر الناس في غير أشهر الحج لينتفع بهم أهل مكة، إذ ليس لهم ضرر.

ثالثاً: إن جعل العمرة في غير أشهر الحج، معناه: إلغاء حج التمتع، واختلاف التعابير أو التأويلات لا يفيد شيئاً، وهذا يخالف ما جاء به الكتاب، وأمرهم به الرسول «صلى الله عليه وآله».

ولا ينفع التمسك تارة: بمقولة أنه يريد لأهل مكة أن ينتفعوا بورود المعتمرين عليهم.

وأخرى: بأنه لا يريد للناس أن يذهبوا إلى عرفات ورؤوسهم تقطر من ماء غسل الجنابة، أو خوفاً من أن يعرسوا بالنساء في أراك عرفات، أو خوفاً من أن يذهبوا إلى عرفات وذكورهم تقطر منياً، على حد تعابير عمر بن الخطاب في الموارد المختلفة. فإن ذلك لا يدفع غائله إقدام عمر على تغيير أحكام الشرع، وعدم الرضا بها..

بل إنه حتى لو أراد إدخال أي تعديل عليها، ولو بمقدار ترجيح حج القران على حج التمتع، أو ترجيح الفصل بين العمرة وبين الحج، بفاصل زمني محدد، ولو كان يسيراً.. فإن ذلك سيكون أيضاً إدخالاً لما ليس من الدين في الدين، وهو محرم قطعاً، واستدراك على الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، وإظهاره وكأن من يفعل ذلك ويصر عليه ويرتأي ويستحسن، ثم يعاقب من يخالفه - إن هذا الشخص - يرى نفسه أعرف من الله ورسوله

(١) حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٠٥ وكنز العمال ج ٥ ص ١٦٤ عنه، وعن أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، والبيهقي.

«صلى الله عليه وآله» بما يصلح الأمة، أو بالأرجح والأولى.. وهذا مرفوض جملة وتفصيلاً من أي كان من الناس..

وخلاصة الأمر: لقد حاول عبد الله بن عمر أن يدافع عن أبيه، بادعاء: أنه لم يحرم حج التمتع، ولم يعاقب عليه، وإنما رجح للناس أن يفصلوا العمرة عن الحج، ويجعلوها في غير أشهر الحج..

وهي محاولة فاشلة وباطلة، وأما فشلها فلما ذكرناه آنفاً من أنه لا يحق لأحد أن يتصرف في التشريع برأيه. وأما بطلانها فلما تقدم من أنه حرم المتعة في الحج، ومتعة النساء بصورة باتة وقاطعة وتوعد المخالف بالعقوبة.

٢- وتأويل آخر قد عكس الدعوى، فقال:

إن عمر لم ينه عن العمرة التي يعقبها الحج، بل نهى عن الحج الذي يؤتى بالعمرة بعده^(١).

وقد رد ذلك العيني:

أولاً: بما جاء في رواية مسلم من التصريح بكونها متعة الحج.
ثانياً: سيأتي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعمار بعض أهله وهي عائشة في العشر، بمجرد فراغه من نفره من منى.
ثالثاً: في رواية له: جمع بين حج وعمرة، ومراده التمتع المذكور، وهو الجمع بينهما في عام واحد^(٢).

(١) راجع عمدة القاري ج ٩ ص ٢٠٥ عن عياض وغيره.

(٢) راجع عمدة القاري ج ٩ ص ٢٠٥ عن عياض وغيره.

ويمكن مراجعة ما قاله العلامة الأميني في الجواب عن ذلك^(١)..
٣ - هناك من حاول أن يصحح موقف عمر بن الخطاب بادّعاء: أن الحكم بالتمتع بالعمرة إلى الحج خاص بالصحابة، فلعممر الحق في أن يمنع غيرهم من حج التمتع، ويعاقب فاعله.
وقد ذكر ذلك في رواية رواها رجل اسمه بلال..

ونقول:

أولاً: قال ابن القيم: إن تلکم الآثار الدالة على الاختصاص بالصحابة، بين باطل لا يصح عمن نسب إليه البتة، وبين صحيح عن قائل غير معصوم، لا يعارض به نصوص المشرع المعصوم^(٢).
ثانياً: صرحت الرواية: بأن سراقه بن مالك قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: متعتنا هذه يا رسول الله، لعامنا هذا، أم للأبد؟.
قال: لا، بل لأبد الأبد^(٣) أو نحو ذلك كما عن سراقه، وابن عباس،

(١) الغدير ج ٦ ص ٢١٤.

(٢) الغدير ج ٦ ص ٢١٤ عن زاد المعاد ج ١ ص ٢١٣.

(٣) الغدير ج ٦ ص ٢١٤ عن المصادر التالية: صحيح البخاري ج ٣ ص ١٤٨ (باب عمرة التنعيم) وصحيح مسلم ج ١ ص ٣٤٦ والآثار لأبي يوسف ص ١٢٦ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٩٢ ومسند أحمد ج ٣ ص ٣٨٨ وج ٤ ص ١٧٥ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٨٢ وصحيح النسائي ج ٥ ص ١٧٨ وسنن البيهقي ج ٥ ص ١٩. انتهى وراجع: الخلاف ج ١ ص ٤٤٤ وتذكرة الفقهاء (ط.ج) للحلي ج ٧ ص ١٧٢ و (ط.ق) ج ١ ص ٣١٨ ومنتهى المطلب (ط.ق) ج ٢ ص ٦٦٠ و٦٦٢ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج ١ ق ٣ ص ٥٥١ والحدائق الناضرة ج ١٤ =

= ص ٣١٢ وإعانة الطالبين للدمياطي ج ٢ ص ٣٢١ وتحفة الفقهاء للسمرقندي
ج ١ ص ٣٨٠ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج ٢ ص ١١٩ والمغني لابن
قدامة ج ٣ ص ٤١٧ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٢٤٧ والمحلى لابن حزم
ج ٧ ص ١٠٠ و ١٢٠ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٥٦ وتهذيب الأحكام
ج ٥ ص ٢٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٢٤٠ و (ط دار
الإسلامية) ج ٨ ص ١٧٢ ومستطرفات السرائر لابن إدريس الحلي ص ٥٥٢
وعوالي اللآلي ج ٢ ص ٢٣٥ والبحار ج ٢١ ص ٤٠٤ وج ٣٠ ص ٦٠٧ وج ٩٦
ص ٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٣٣١ و ٤٥١ والغدير ج ٦ ص ٢١٤
واختلاف الحديث للشافعي ص ٥٦٧ وكتاب المسند للشافعي ص ١١٢ و ١٩٦
ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٩٣ و ٣٢٠ و ٣٦٦ و ٤٠٥ وج ٤ ص ١٧٥ وسنن أبي
داود ج ١ ص ٤٠٢ و ٤٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٢٦ و ٣٣٨ وج ٥
ص ٦ و ٧ وعمدة القاري ج ٩ ص ١٨٦ وج ١٠ ص ١٢٢ وتحفة الأحوزي ج ٣
ص ٥٨٤ وعون المعبود ج ٥ ص ٢٥٨ ومسند أبي داود ص ٢٣٣ والمصنف
للصنعاني ج ٧ ص ٥٠٤ ومسند أبي يعلى ج ٤ ص ٢٦ و ٩٤ وج ١٢ ص ١٠٨
والمتقى من السنن المسندة ص ١٢٢ وشرح معاني الآثار ج ٢ ص ١٩١ و
١٩٢ وصحيح ابن حبان ج ٩ ص ٢٢٧ و ٢٣٢ و ٢٣٥ و ٢٥٢ و ٢٥٥ والمعجم
الكبير ج ٧ ص ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٧ وسنن الدارقطني ج ٢
ص ٢٤٨ ومعرفة السنن والآثار ج ٣ ص ٤٨٨ و ٥١٣ والتمهيد لابن عبد البر
ج ١٠ ص ١٠٦ والدرر لابن عبد البر ص ٢٦٢ و ٢٦٥ وتخريج الأحاديث
والآثار ج ١ ص ٤٢٣ و ٤٢٤ ونصب الراية ج ٣ ص ٢٠٦ وأحكام القرآن
للجصاص ج ١ ص ٣٢١ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٤٩٢ والجامع لأحكام القرآن
ج ٤ ص ١٤٣ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٩٣ وأضواء البيان للشنقيطي
ج ٤ ص ٣٥٩ و ٣٦٤ والمستصفى للغزالي ص ٢١٠ والمحصل للرازي ج ٢ =

وعمر بن الخطاب^(١)..

ثالثاً: قال أحمد عن بلال راوي الحديث لا يعرف هذا الرجل، هذا حديث ليس إسناده بالمعروف، ليس حديث بلال عندي بثبت^(٢).
وقال ابن القيم: نحن نشهد بالله أن حديث بلال هذا لا يصح عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو غلط عليه^(٣)..
٤ - وتأويل رابع تضمنته رواية مزعومة تقول: عن سعيد بن المسيب:

= ص ١٠٣ ومنتقى الجمان ج ٣ ص ١٠٨ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٢١٥ وذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ٢٩٧ وج ٢ ص ١٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٧٠٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٦٠ و ١٦٥ والبداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٩ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٦١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٤٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٨٠ و ٢٩١ وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ١٣٩ وج ٨ ص ٤٦٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢٠ والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ١٣٨ والفتوحات المكية لابن العربي ج ١ ص ٧٦.

(١) راجع: الغدير ج ٦ ص ٢١٥ عن صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٥٦ وعن مسلم ج ٣ ص ٧٠ وج ١ ص ٣٥٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ١٣ وج ٤ ص ٣٤٤ و ٣٥٢ والجامع الصحيح للترمذي ج ٣ ص ٢٧١ و سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٩١ و سنن الدارمي ج ٢ ص ٥١ و سنن أبي داود ج ٢ ص ١٥٦ و سنن النسائي ج ٥ ص ١٨١ وعن تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٢٣٠.

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي ج ٥ ص ١٧١ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج ٢ ص ١٩ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٤ ص ٣٥٩.

(٣) الغدير ج ٦ ص ٢١٥ عن زاد المعاد ج ١ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٦٣ وعون المعبود ج ٥ ص ١٧١.

أن صحابياً أتى عمر بن الخطاب فشهد عنده: أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه الذي توفي فيه ينهى عن العمرة قبل الحج^(١)..

ونقول:

أولاً: قال العيني وغيره: إن هذا الحديث مخالف للكتاب والسنة، والإجماع^(٢)..

ثانياً: وقال أبو سليمان الخطابي: في إسناد هذا الحديث مقال وقد اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته، وجوز ذلك إجماع أهل العلم ولم يذكر فيه خلافاً^(٣).

أو: قد اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرتين قبل حجه، والأمر الثابت المعلوم لا يترك بالأمر المظنون وجواز ذلك إجماع من أهل العلم لم يذكر فيه خلاف^(٤).

ثالثاً: قال الزرقاني: إسناده ضعيف ومنقطع كما بينه الحفاظ^(٥)..

رابعاً: لماذا لم يذكر لنا سعيد بن المسيب اسم ذلك الصحابي الذي أدلى

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ١٥٧ والمجموع للنووي ج ٧ ص ١٥٧ والمغني لابن قدامة ج ٣ ص ٢٣٧ ونيل الأوطار ج ٥ ص ٥٨ وتهذيب الكمال ج ١٥ ص ٤٣٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٧٩ والفتوحات المكية لابن العربي ج ١ ص ٧٤٨.

(٢) عمدة القاري ج ٩ ص ١٩٩ والمغني لابن قدامة ج ٣ ص ٢٣٨.

(٣) شرح الموطأ للزرقاني ج ٢ ص ٢٦٦ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٥٨.

(٤) عون المعبود ج ٥ ص ١٥٢.

(٥) شرح الموطأ للزرقاني ج ٢ ص ٢٦٦.

.....

بهذه الشهادة؟!

خامساً: لماذا لم ينقل هذا الأمر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا ذلك الصحابي؟! وأين كان سائر الصحابة عن مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» في تلك الساعة؟!

وكيف اكتفى النبي «صلى الله عليه وآله» في نسخ حكم ثابت في الكتاب - وقد عمل به عشرات الألوف من الناس بذكره أمام هذا الرجل الوحيد المجهول!!؟

ولماذا لم ينقل هذه الشهادة أمام عمر بن الخطاب إلا سعيد بن المسيب، الذي ولد لستين مضتاً من خلافة عمر كما ذكره ابن عبد البر؟^(١) أو لثلاث سنين بقيت من خلافة عمر كما ذكره غيره^(٢).

فعمن نقل ابن المسيب حديثه هذا يا ترى؟!

سادساً: لماذا لم يستشهد عمر بن الخطاب بهذا النهي على الصحابة الذين انتقدوه على تحريمه للمتعتين، ولم يستشهد به عثمان على حرمة حج التمتع، ليحسم الأمر في احتجاجه على أمير المؤمنين «عليه السلام»، كما سنرى إن شاء الله تعالى؟!

سابعاً: إذا كان ذلك صحيحاً، فلماذا يصر عمر على نسبة النهي عن

(١) الإستذكار ج ٧ ص ٤٨٨ وعمدة القاري ج ١ ص ١٨٦ والتمهيد لابن عبد البر ج ٦ ص ٣٠١ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٥ ص ٢٣٨ والثقات لابن حبان ج ٤ ص ٢٧٣ وتهذيب الكمال للمزي ج ١١ ص ٦٧ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٥٤ وسير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢١٨.

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي ج ١٤ ص ١٩ والتمهيد لابن عبد البر ج ٦ ص ٣٠١.

المتعين إلى نفسه، فيقول: أنا أنهى عنهما، وأعاقب عليهما؟! ألم يكن الأولى أن ينسب ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وينوه بما ذكره له ذلك الصحابي، لكي يدفع عن نفسه غائلة التهمة بتصديه لإبطال أحكام الله، وتشريع ما يخالف الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»؟!.

سبب اختلافهم في حج النبي :

وحاولوا توجيه اختلافاتهم في طبيعة حج النبي «صلى الله عليه وآله»: بأن سببه اختلاف إهلال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتارة: كان يهْلُ بحجة وأخرى: بعمرة، وثالثة: يهْلُ بحجة وعمرة.

ونحن لا نشك في عدم صحة هذا الكلام من أساسه.. فأولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن متحيراً فيما يفعل، بل كان عالماً بأنه يجب حج قرآن، فما معنى أن يهْلُ بالعمرة؟!

ثانياً: تقدم: أن عائشة قالت: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة، لا يسمى حجاً ولا عمرة، ينتظر القضاء، فنزل عليه القضاء بين الصفا والمروة الخ..

وأعجب من ذلك قول النووي والقسطلاني المتقدم: إنه «صلى الله عليه وآله» كان مفرداً بالحج أولاً، ثم أحرم بالعمرة ثانياً، ثم أدخلها في الحج ثالثاً، فصار قارناً.

فإن هذا كله لا معنى له إذا كان قد ساق الهدي وأشعره، حسبما أوضحت الروايات..

تصديق روايات الإعتمار أربعا:

وزعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد اعتمر أربع عمر.

وسياتي: أن هذا غير صحيح.

والصحيح: هو ما روي عن أهل البيت «عليهم السلام»، من أنه اعتمر ثلاث مرات فقط، وهي الحديبية، والقضاء، والجعرانة بعد حنين.. وليس في حج القران عمرة، وما زعموه من أن طواف الحج وسعيه يقوم مقام العمرة كما ذكره ابن كثير في النص المتقدم لا قيمة له من الناحية العلمية، إلا إذا أثبت ذلك بدليل قاطع، ولم يثبت أن الإنسان يعتبر معتمراً حتى حيث لا يوجد شيء من أفعال العمرة، فلا طواف ولا سعي ولا تقصير، ولا غير ذلك..

أهل الجاهلية يمنعون من حج التمتع:

وعن سبب رفض الناس حج التمتع آنئذ نقول:
أولاً: قال الترمذي والعيني وغيرهما - تعليقاً على حديث سراقه - حول ثبوت حكم التمتع إلى الأبد: «معنى هذا الحديث: أن أهل الجاهلية كانوا لا يعتمرون في أشهر الحج، ولا يرون العمرة في أشهر الحج إلا فجوراً، فلما جاء الإسلام رخص النبي «صلى الله عليه وآله» في ذلك، فقال: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة»: يعني: لا بأس بالعمرة في أشهر الحج.. انتهى^(١).. وهو كلام هام جداً.

(١) الجامع الصحيح ج ٣ ص ٢٧١ وعمدة القاري ج ٩ ص ١٩٨ والمجموع لمحيي الدين النووي ج ٧ ص ٨ و ١٦٨ والمغني لابن قدامة ج ٣ ص ٢٣٧ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٢٣٧ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٥٧ وفقه السنة للشيخ سيد سابق ج ١ ص ٧٥٠ والغدير ج ٦ ص ٢١٥ و ٢١٧ وسنن الترمذي ج ٢ ص ٢٠٦.

غير أننا نلاحظ على تعابير الترمذي وغيره:

١ - قولهم: «رخص» أو «أذن» أو «جوز»، مع أن هذا الحكم مفروض على الناس، وقد أعلن النبي «صلى الله عليه وآله» أن حج التمتع أفضل من حج القران، ومن الأفراد.

٢ - إنه نسب الترخيص لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع أن هذا الحكم قد نزل به القرآن، وألزم به رسول الله «صلى الله عليه وآله» كل من لم يسق الهدى..

ثانياً: عن ابن عباس، قال: والله، ما أعمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» عائشة في ذي الحجة إلا ليقطع بذلك أمر أهل الشرك. وقال: كانوا يرون: أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض^(١).

علي × لا يدع السنة لقول أحد:

وقد رووا: أن علياً «عليه السلام» حج في زمن عثمان، حج تمتع،

(١) الغدير ج ٦ ص ٢١٧ عن صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٦٧ ح ١٤٨٩ وعن صحيح مسلم ج ٣ ص ٨١ ح ١٩٨ كتاب الحج، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٤٥ و سنن النسائي ج ٥ ص ١٨٠ والمجموع للنووي ج ٧ ص ٩ والبحار ج ٣٠ ص ٦١٦ والغدير ج ٦ ص ٢١٧ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٦١ و سنن أبي داود ج ١ ص ٤٤٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٤٥ وفتح الباري ج ٣ ص ٣٣٧ وعمدة القاري ج ٩ ص ١٩٩ وصحيح ابن حبان ج ٩ ص ٨١ والمعجم الكبير للطبراني ج ١١ ص ١٨ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٣ ص ٤٩٩ والجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٣٩٣ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٤ ص ٣٥٧.

فأحفظ ذلك عثمان بن عفان، فقال: لعلي «عليه السلام»: تراني أنهى الناس عن شيء، وأنت تفعله؟!!

فقال «عليه السلام»: ما كنت لأدع سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لقول أحد من الناس^(١).

وفي نص آخر: ما تريد إلا أن تنهى عن أمر فعله رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

وفي نص ثالث: أن علياً «عليه السلام» قال لعثمان: عمدت إلى سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورخصة رخص للعباد بها في كتابه، تضيق

(١) الغدير ج ٦ ص ٢١٩ عن صحيح البخاري (ط سنة ١٣٧٢ هـ) ج ٣ ص ٦٩ وسنن النسائي ج ٥ ص ١٤٨ وسنن البيهقي ج ٥ ص ٢٢ وج ٤ ص ٥٢ ومسنند أحمد ج ١ ص ١٣٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٥٢ وج ٥ ص ٢٢ ومسنند سليمان بن داود الطيالسي ص ١٦ ومسنند أبي يعلى ج ١ ص ٣٤٢ وكنز العمال ج ٥ ص ١٦٠ وسير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٤٠٩ والشفاء للقاضي عياض ج ٢ ص ١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٧٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٥٩.

(٢) الغدير ج ٦ ص ٢١٩ وعن صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٦٩ وعن مسلم ج ٣ ص ١٦٨ ح ١٥٩ والمجموع للنووي ج ٧ ص ١٥٦ والبحار ج ٣٠ ص ٦١٣ و ٦٣٣ وصحيح البخاري ج ٢ ص ١٥٣ وفتح الباري لابن حجر ج ٣ ص ٣٣٦ وعمدة القاري ج ٩ ص ١٩٨ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج ٢ ص ١٥ ونصب الراية للزيلعي ج ٣ ص ١٩٩ وأحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ١٨١ والدر المنثور ج ١ ص ٢١٦ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ١٤٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٤٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٤٨ وج ٤ ص ٢٥٣.

عليهم فيها، وتنهي عنها؟! وكانت لذي الحاجة، ولنائي الدار!!
ثم أهلّ بعمرة وحجة معاً.
فأقبل عثمان على الناس، فقال: وهل نهيت عنها؟! إني لم أنه عنها إنما
كان رأياً أشرت به، فمن شاء أخذ به، ومن شاء تركه^(١)..
وحسبنا ما ذكرناه حول هذا الموضوع، فإن الحديث عنه طويل.. والحر
تكفيه الإشارة..

(١) الغدير ج ٦ ص ٢١٩ و ٢٢٠ وجامع بيان العلم ج ٢ ص ٣٠ ومختصر جامع بيان
العلم ص ١٩٨ والأحكام لابن حزم ج ٦ ص ٧٨٥.

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي

١ - الفهرس الإجمالي

الفصل الثامن: جيش الإسلام في تبوك خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. -

٤٨

الفصل التاسع: رسائل.. وأجوبتها.. خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. -

١٠٦

الفصل العاشر: في طريق العودة خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. - ١٥٠

الفصل الحادي عشر: أصح الروايات عن تبوك.. أو زبدة المخض خطأ!

الإشارة المرجعية غير معرّفة. - ١٧٦

الفصل الثاني عشر: النبي ' في المدينة بعد تبوك خطأ! الإشارة المرجعية

غير معرّفة. - ٢٣٢

الباب العاشر: تبليغ سورة براءة وحجة الوداع

الفصل الأول: أبو بكر وسورة براءة: هكذا يزورون الحقائق خطأ! الإشارة

المرجعية غير معرّفة. - ٢٨٤

الفصل الثاني: حجة الوداع خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. - ٢٣٦

الفهارس: خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. - ٣٥١

٢ - الفهرس التفصيلي

الفصل الثامن: جيش الإسلام في تبوك

٧	نزول المسلمين في تبوك:
٩	النبي ' لا يسب أحداً:
٩	الجمع بين الصلاتين وتأخير الصلاة:
١٢	خطبة النبي ' في تبوك:
١٤	الإرتياب من الكفر:
١٤	النياحة من أعمال الجاهلية:
١٥	الشعر من إبليس:
١٥	الشقي من شقي في بطن أمه:
١٦	عباد بن بشر على الحرس في تبوك:
١٩	مسجد تبوك:
١٩	١ - تحديد الجهات:
١٩	٢ - مسجد تبوك وقبلته:
٢٠	٣ - ما هاهنا يمن:
٢٠	النبي ' في تبوك يصلي على ميت في المدينة:
٢٣	المرور بين يدي المصلي:
٢٧	كرامات لرسول الله ' في تبوك:

-
- ٣٠.....الكافر يأكل في سبعة أمعاء:
- ٣٢.....حديث الجراب في ميزان الإعتبار:
- ٣٢.....عرباض ملازم لباب الرسول ':
- ٣٣.....لماذا المعجزة والكرامة هنا؟!:
- ٣٣.....لولا أني أستحي من ربي!!:
- ٣٤.....نفضنا جُربَنَا:
- ٣٥.....يطلع قرن الشيطان من المشرق:
- ٣٦.....تعقلها، ولا ترثها:
- ٣٧.....ها هنا يطلع قرن الشيطان:
- ٤١.....الإيمان يمان:
- ٤٢.....ما ذنب الفدادين؟!:
- ٤٣.....هبوب ريح لموت عظيم النفاق:
- ٤٤.....بئر سعد بن هذيم:
- ٤٥.....أعطيت خمساً:
- ٤٦.....متى بعث النبي للعالمين ':
- ٤٧.....آية التيمم متى نزلت؟:
- ٤٧.....الصلاة في الكنائس والبيع، وحرمة الغنائم:
- ٤٨.....هي! ما هي?!:
- ٤٨.....نقض أول الكلام بآخره:
- ٤٨.....لو تركته لسال الوادي سمناً:

الفصل التاسع: رسائل.. وأجوبتها..

- رسائل بين النبي ' وقصر: ٥١
- نص الراوندي: ٥٨
- لماذا ضمان الجنة؟!: ٥٩
- إذا جاء الليل أين يكون النهار؟!: ٦١
- توضيحات لا بد منها: ٦٢
- لم تحدثه نفسه بشيء: ٦٦
- صاحب الروم.. وعظيم الروم: ٦٧
- بين هرقل وفرعون: ٦٧
- ذهاب ملك النجاشي: ٦٩
- مؤتة هي القوة الرادعة: ٧٠
- الإستكبار الغبي: ٧٣
- كذب عدو الله، وليس بمسلم: ٧٣
- رفض التنوخي للإسلام غير منطقي: ٧٥
- هرقل يمنع الفلاحين من الإسلام، ومن الجزية: ٧٥
- حكم الإسلام واحد: ٧٧
- الخطاب لهرقل دون سواه: ٧٧
- ملك أيلة، وجربا، ومقنا: ٧٨
- كتابه ' لِيُحَنِّة: ٨٠
- كتابه ' لأهل أذرح وجربا: ٨٢
- كتابه ' لأهل مقنا: ٨٣

٨٥	كتاب إلى مالك بن أحر:
٨٦	وفدان لجذام:
٨٧	من بركات تبوك:
٨٧	يريد كتاباً يدعو قومه به:
٨٧	أمان الله، وأمان رسوله:
٨٨	إرفع رأسك:
٨٨	اليهودي والصليب:
٨٩	لمحة توضيحية في كتاب يُحَنَّ:
٨٩	أهل مقنا معتدون:
٩٠	الأمير من أهل البيت فقط:
٩٠	كتاب مزوّر لأهل مقنا:
٩٢	قصة ذي البجادين:
٩٤	إعترض عمر على قراءة القرآن:
٩٥	لم يدع له بالشهادة!:
٩٦	إلى دمشق:
٩٨	حديث الطاعون في الشام:
١٠٤	قتال الملائكة في تبوك:

الفصل العاشر: في طريق العودة

١٠٩	قبل المسير:
١١٢	بعد بدء المسير:
١١٣	نبي يحتاج إلى مرشد!:

-
- ١١٤ صلاة الصبح تفوت النبي ' مرة أخرى:
- ١١٦ النبي ' يلعن أربعة سبقوه إلى الماء:
- ١١٧ النبي ' يسقي الجيش من قربة واحدة:
- ١١٩ لا حاجة إلى الإعادة:
- ١١٩ النبي ' مال إلى شقه فأسنده:
- ١٢٠ أين الجيش؟:
- ١٢٢ لا سبيل للشيطان على الأنبياء ^:
- ١٢٢ لو أطاعوا أبا بكر وعمر لرشدوا:
- ١٢٣ المنفرون برسول الله ' ليلة العقبة:
- ١٣١ المجرمون.. من أي القبائل؟!:
- ١٣٢ الأسماء التي يدعونها:
- ١٣٥ سبب إخفاء الأسماء:
- ١٣٦ إفلات اسم أبي موسى الأشعري:
- ١٣٧ لائحة المجرمين لدى آخرين:
- ١٤١ عرفهم بعلم النبوة، فلا مؤاخذه للمجرمين:
- ١٤٢ حمزة بن عمرو الأسلمي:
- ١٤٢ دباب الحصى، والهوة السحيقة:
- ١٤٣ في تبوك أم في حجة الوداع؟!:
- ١٤٤ لماذا هذه المؤامرة؟!:
- ١٤٥ لمحات أخرى على ما جرى في العقبة:
- ١٤٦ قصة الحفيرة:

- ١٤٧..... سبب منع النبي ' الناس من مرافقته:.....
- ١٤٨..... التخفي بصورة حجر:.....
- ١٤٩..... رؤساء العسكر هم العدو:.....

الفصل الحادي عشر: أصح الروايات عن تبوك.. أو زبدة المخض

- ١٥٣..... بداية:.....
- ١٥٣..... النص الأقرب والأصوب:.....
- ١٦٢..... الانقلاب يبدأ بضرب نقطة الارتكاز:.....
- ١٦٣..... الخطة الملعونة:.....
- ١٦٣..... القرار النبوي في ثلاثة اتجاهات:.....
- ١٦٤..... الإخبار بالغيب، والمعجزات في تبوك:.....
- ١٦٥..... إن تهلك هذه العصابة لا تعبد:.....
- ١٦٦..... قائد السرية خالد؟! أم الزبير وأبو دجانة؟!:.....
- ١٦٧..... مناديل سعد، أم مناديل الزبير؟!:.....
- ١٦٩..... الحرب الإعلامية وأثرها:.....
- ١٧٠..... سياسة الفضائح:.....
- ١٧٢..... عدد سرية أسري أكيدر:.....
- ١٧٣..... المطلوب من الزبير خاصة:.....

الفصل الثاني عشر: النبي ' في المدينة بعد تبوك

- ١٧٩..... بالمدينة أقوام لهم أجر المجاهدين:.....
- ١٨١..... المدينة تنفي خبثها، وخير دور الأنصار:.....
- ١٨٢..... خبث أهل المدينة:.....

١٨٧	نفي الخبث هو فضح المنافقين:
١٨٧	نقل الوباء إلى خم:
١٩٥	أحد جبل يحبنا ونحبه:
١٩٨	خير دور الأنصار حديث مشكوك:
١٩٩	طلع البدر علينا:
٢٠٣	الأجر والحسنة:
٢٠٤	مسجد الضرار:
٢٠٧	بناة مسجد الضرار:
٢٠٨	هدم وحرق مسجد الضرار:
٢٠٩	عاقبة السكنى في مسجد الضرار:
٢١١	عمر، وإمام مسجد الضرار:
٢١٢	بدريون.. في مسجد الضرار:
٢١٣	سبب التسمية بمسجد الضرار:
٢١٧	هدم المسجد، لماذا؟!:
٢١٨	جيش الروم أمل أهل النفاق:
٢١٩	الملاعنة في المسجد:
٢٢٠	إيضاح مفردات:
٢٢١	لعل هذه أمارات شرعية؟!:
٢٢٢	نزول آية اللعان واعتراض سعد:
٢٢٣	متى نزلت آية اللعان؟!:
٢٢٤	جلد هلال بن أمية:

- لولا ما مضى من كتاب الله: ٢٢٥
- آمنة بنت وهب المؤمنة الطاهرة: ٢٢٨

الباب العاشر: تبليغ سورة براءة وحجة الوداع

الفصل الأول: أبو بكر وسورة براءة: هكذا يزورون الحقائق

- أبو بكر يحج بالناس: ٢٣٧
- إرجاع أبي بكر وبعث علي X: ٢٣٧
- وإن مكرهم لتزول منه الجبال: ٢٣٩
- أساس القضية: ٢٣٩
- الثناء على أبي بكر في سورة «براءة»: ٢٤٤
- من بدع الرافضة!!: ٢٤٦
- رجوع إلى روايات غير الشيعة: ٢٤٧
- هل نقض النبي ' العهد؟!: ٢٥١
- ليس للمشرك أن يأتي بيت الله: ٢٥٢
- كيف يتبدل رأي النبي '؟!: ٢٥٣
- لا ينقض العهد إلا العاقد أو رجل منه: ٢٥٤
- لماذا أرجع أبا بكر؟: ٢٥٧
- الله لا يؤاخذ على النوايا: ٢٦٠
- لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك: ٢٦٣
- الحدة بين علي X وبين المشركين: ٢٦٨
- نحن في حيرة من أمرنا: ٢٧٠
- قصة براءة دليل إمامة أبي بكر: ٢٧١

٢٧٣	أبو بكر وعمر إلى مكة:
٢٧٥	محاولة فاشلة:
٢٧٦	أبو بكر لم يعزل:
٢٧٨	من لم يصلح لتبليغ سورة لا يصلح للخلافة:
٢٧٩	نحن في حيرة من أمرنا:
٢٧٩	علي × وعمار:
٢٨٠	عودة علي ×:
٢٨١	١ - النظام والانضباط:
٢٨٢	٢ - تأكيد الارتباط بالقيادة:
٢٨٢	٣ - اللجنة هي ثمن البشارة:
٢٨٣	٤ - إستقبال علي ×:
٢٨٣	جزع قريش:

الفصل الثاني: حجة الوداع

٢٨٧	الإهتمام بحجة الوداع لماذا؟!:
٢٨٨	إعلان المسير.. جاء بخلائق لا يحصون:
٢٨٨	حجرات رسول الله ':
٢٩٠	الإعلان.. أم الأذان؟:
٢٩١	عدد الذين حجوا مع الرسول ':
٢٩٢	لماذا هذا الحشد؟!:
٢٩٤	وباء الجدري والحصبة:
٢٩٤	هكذا خرج النبي ' إلى الحج:

٢٩٧	النبى 'بذي الحليفة:
٢٩٨	لماذا إفشاء أسرار رسول الله ':
٢٩٩	دخلت العمرة في الحج:
٢٩٩	ولادة محمد بن أبى بكر:
٣٠١	قصة الحمار الوحشى والطبي:
٣٠٣	مساجد بناها الناس:
٣٠٤	ضياع زاملة رسول الله '!!:
٣٠٧	زاملة النبى ' وزاملة أبى بكر واحدة:
٣٠٩	أبو بكر يضرب الغلام والنبى ' يتسم:
٣١٠	هود وصالح يحجان:
٣١١	متى حج النبى ' متمعاً؟!:
٣١٣	الطيب للمحرم حرام:
٣١٣	أحرم بعد صلاة الظهر:
٣١٤	الأمر بفسخ الحج إلى العمرة:
٣١٥	دخلت العمرة في الحج إلى الأبد:
٣١٦	التلويح ثم التصريح:
٣١٦	دخلت العمرة في الحج:
٣١٧	عمر لا يرضى بحكم الله!!:
٣٢٠	أول من نهى عن حج التمتع:
٣٢٣	تأويلات للخروج من المأزق:
٣٣٢	سبب اختلافهم في حج النبى ':

-
- ٣٣٢ تصديق روايات الإعتبار أربعاً:
- ٣٣٣ أهل الجاهلية يمنعون من حج التمتع:
- ٣٣٤ علي × لا يدع السنة لقول أحد:

الفهارس:

- ٣٣٩ ١ - الفهرس الإجمالي
- ٣٤١ ٢ - الفهرس التفصيلي